مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

أمير شعراء النبط
محمد بن لعبون

١٢٠٥-١٢٤٧ هـ

سيرته ودراسة في شعره

تأليف

د. عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

يصدر بمناسبة
إقامة ملتقى
ابن لعبون
الكويت
١٩٩٧/١٠/٣٠-٢٧

إهـــداء

إلى كل الباحثين والدارسين والمهتمين والمتذوقين
للشعر النبطي بشكل عام وشعر ابن لعبون بشكل خاص
أهدي هذا العمل المتواضع عن سيرة ابن لعبون وشعره .

المـؤلـــف

ابيض

تصدير

أسعدني كثيرًا أن يتصدى الأخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون للكتابة عن واحد من عباقرة أسلافه ــ الشاعر المبدع محمد بن حمد بن لعبون ــ بكل هذا الحب والحرص والجهد. وقد سررت كثيرًا للنتائج الباهرة التي توصل إليها وللإنجاز الكبير الذي حققه بهذا الكتاب وصنوه ديوان الشاعر الذي أظنه سيكون من أكمل المضان لحفظ تراث الشاعر وإبداعاته المتنوعة ، حيث حفل بكل ما وصلنا ــ حتى الآن ــ من تراث هذا الشاعر المبدع.. ونأمل كثيرًا أن نشهد في القريب من يضيف إضافة أخرى تثري مكتبة الشعر النبطي التي هي بحاجة فعلاً للكثير من الجهود الخلاقة لتسليط الضوء على هذا الأدب الراقي والمعبر بشفافية بالغة عن شؤون وشجون منطقتنا في الخليج والجزيرة العربية في فترة راكدة ومظلمة من تاريخها الحديث..

إن مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري وهي تحتفي بابن لعبون ــ الذي تضعه المصادر ومحبو هذا اللون من الشعر العربي على رأس شعراء النبط وتصفه أكثرها بأمير شعراء النبط ــ ، ترى أن هذا لم يأت اعتباطًا بل جاء نتيجة لقناعة تولدت من استقراء آراء كثيرة حول ضرورة ذلك وأهميته.

وعندما عرض الأمر على مجلس الأمناء في المؤسسة التي اعتادت الاهتمام بالشعر الفصيح فقط، بوصفها مؤسسة قومية الوجه والأهداف، لم يجد هذا الأمر معارضة، بل كان محل ترحيب باعتبار أن هذا الشعر يمثل رافدًا للشعر العربي يثري الأبحاث والدراسات المعمقة حوله لمعرفة خفايا ذلك التراث الأخاذ باعتبار أن

هذه البيئة (الجزيرة العربية) هي التي أعطت أعظم نماذج الشعر العربي على الإطلاق ـ الجاهليات ـ وقد وجد الكثير من الدارسين تشابهًا كبيرًا بين هذا الإبداع (الشعر النبطي) وأصوله.

أشكر للأخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون هذا العمل الكبير، كما أشكر الأمين العام للمؤسسة الأخ عبدالعزيز السريع ومعاونيه على الجهد الكبير الذي بذلوه من أجل إخراج هذا الكتاب بهذا المظهر .. والحمد لله...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ١٩٩٨/٨/٢٠

****

تقديـــم

أحسن بي الأخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون الظَّنَ، فقدم لي مؤلفه عن الشاعر محمد بن حَمَد بن لَعْبُون راغباً مني أن أكتب كلمة حول عمله في ما كتب عن حياة هذا الشاعر، ودراسة شعره وجمعه، والواقع أنني كنت من مُتَذَوِّقِي هذا النوع من شعرنا الشعبي. وحينما طلب الشيخ عبدالله بن سليمان من الأستاذ خالد بن محمد الفرج سنة ١٣٧١هـ جمع طائفة من هذا الشعر العامي لمشاهير شعراء نجد، للقيام بنشرها، كانت لي صلة قوية بالأستاذ خالد، وكثيراً ما كنا نتباحث ونتحاور في موضوعات تتعلق به، وحين صدر الجزء الأول من تلك المجموعة التي تحمل اسم «ديوان النبط» وفيها أشعار حُميدان الشويعر، ومحمد بن لعبون، وعبدالله بن رَبيعة، وعبدالله بن سُبَيِّل سنة ١٣٧١هـ، رتبها وفسر بعض ألفاظها الأستاذ خالد - نَشَرت لي جريدة «البلاد» السعودية (ع ١٢٠١ تاريخ ٢١ شوال ١٣٧١هـ) مقالاً في الموضوع اطلع عليه الشيخ عبدالله السليمان فَكَلَّف الصديق الكريم الشيخ سعد بن رويشد قائلاً له: أبلغ فلاناً (يعنيني) إن كان في الرياض، أو كان غائباً فاكتب إليه، وأبلغه سلامي، وأخبره أنني وقفت على ما نشر في الجريدة، وأنني أشكره على اهتمامه وعنايته بهذه الأشعار، ويرغب مني أن أواصل جهدي في جمع ما لهؤلاء الشعراء الثمانية المذكورين في الجريدة، ولغيرهم من الشعراء، مع القيام بشرح غوامض ما يرد فيها من كلمات أو عبارات، وأنه مستعد لدفع جميع ما ينفق في هذا السبيل.

كما كتب إلي الشيخ محمد العلي العُبَيِّد من أعيان مدينة عُنيزة وهو من المعنيين بجمع هذا النوع من الشعر، والملمين بأطراف من الثقافة العامة، كتب إليّ بتاريخ ٢٥ شوال ١٣٧١هـ كتاباً قال فيه: إنه تصفح جريدة «البلاد» المؤرخة في ٢١ شوال ١٣٧١هـ، فَسُرَّ بما كتبته في الموضوع، وقال إنكم لتحيون كنوزاً دارسة،

أخنى عليها طول الزمن، وقلةُ اعتناء الناس بجمعها، وتدوينها في أوقاتها، حتى كادتْ تتوارى بطيِّ الإهمال وهي والله تراث ثمين، هذه الأشعار النبطية، فشكر الله لكم، ثم نبهني إلى خطأ وقعت فيه ومنه: أنني نسبت إلى عبدالله بن سُبَيِّل قصيدة هي لعبدالله بن ربيعة كان قالها وهو عند بندر السعدون، وكان أولاد الشاعر في إحدى قرى سُدَيْر، قالها يتشوق لاجتماعه بأسرته، وذكر أنه رأى نفسها عند الشيخ عبدالمحسن أبابُطَيْن في بلدة (الزُّبَيْر) ونبهني إلى ضرورة الاهتمام بأشعار أربعة من شيوخ البادية ذوي شجاعة وفصاحة وكرم، تركي بن حُمَيد، ومحمد بن هادي، وراكان بن حِثْلين، وشُليويح بن ماعز الروقي.

ولما صدر ذلك الجزء كتب الدكتور منير العجلاني بحثاً في مجلة (المجمع العلمي العربي) الصادرة بدمشق - الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين - يحمل على تلك الأشعار بشدة وعنف، وبأنها تتنافى مع الحفاظ على اللغة العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم، ولهذا فهي جديرة بأن تُوْأَدَ ولا تنشر، فما كان من الأستاذ خالد الفرج - رحمه الله - إلا أن علق على هذا في مقدمة الجزء الثاني من «ديوان النبط» بقوله: كان الأولى بإدارة (المجمع العلمي) أن تحيل الديوان إلى عضوها النجدي الشيخ حمد الجاسر، ولو فعلت لنشرتْ بحثاً ضدَّ موضوع الدكتور العجلاني، يرتكز على الفهم، والبحث العلميّ الذي هو رائد المجلة، لا حكم الدكتور الذي لا يرتكز إلا على عدم الفهم، ومع احترامنا للدكتور لابُدَّ لنا من الاستشهاد بقول شاعر العرب العظيم:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

ثم ذكر أنني نشرت نقداً مفيداً في جريدة « البلاد» السعودية صحح به أغلاطاً عديدة.

لقد كان اهتمامي بهذا الشعر لما لمست في أشعار متقدميه من حرارة العاطفة وعمق الإحساس والشعور، وصدق التصور، يضاف إلى هذا ما تحتويه من أمور

تعد متممة لثقافتنا، ففيها ذكر بعض الحوادث التي لا يجدها الباحث مدوَّنَةً في ما بين يديه من المؤلفات، وفيها كثير من التعبيرات واللهجات العربية الفصيحة، التي تساعد دارسي أصول اللغة العربية، ومعرفة لهجات القبائل، وغير ذلك من أمور تحدثت عنها بتوسع في مقدمة كتبتها للجزء الأول من «شاعرات من البادية» الذي جمعه الابن الأستاذ عبدالله بن محمد بن رَدَّاس، بناء على اقتراحي، مما لا داعي لإيضاحه هنا، ولقد كان من بين أولئك الشعراء الذين أُعجبت بشعرهم صاحب هذا الديوان محمد بن حمد بن لعبون، فقد كنت أحفظ منه نماذج، منها قصيدته التي مطلعها:

ياركب مـا سـرتم بيـوسف ليـعـقـوب
قـبل الفـجـر ينْجـاب والليل غـربيب

ومنها:

في صَـحْـصَحٍ كنِّهْ قـفـا النِّـرْسْ مـقلوب
يفـرحْ به الجني على فـقـده الذيب

وأستلذ لسماع قصائد أخرى له، ويعجبني فيها سعة الخيال، مع اقتباس الشاعر بعض معانيه من أشعار قديمة، مما يدل على سعة ثقافته واطلاعه على الشعر الفصيح القديم.

وعندما قرأت في تاريخ أبي الشاعر حمد بن لعبون بأن لابْنه محمد أشعاراً في عمر بن عبدالعزيز بن سعود، تمنيت أن تكون تلك الأشعار مما يحويه هذا المجموع، إلا أن الأخ الدكتور الجامع له، ذكر أنه لم يدَّخر وسعاً في البحث عنها، ولكنه لم يستطع العثور عليها، وقد كانت من أوائل شعره، قبل انتقاله من نجد.

لا أُرَانِي بحاجة إلى الاسترسال في الحديث عَمَّا لشعر فحول العامي في نجد،كابن لعبون وابن سُبَيِّل وابن حُمَيْد وابن حِثْلَيْن، وغيرهم من المتقدمين من ميزات، وأخشى ما أخشاه على هذا الشعر أن تتدَاوَلَهُ أفواه الرواة، فتؤثر فيه تأثيراً

يبعده عما كان عليه، إمَّا بتغيير بعض ألفاظه، وإمَّا بإدخال ما ليس منه، كما حدث في الشعر العربي القديم، وهذا مما أحسست به في الآونة الأخيرة منذ منتصف القرن الماضي عند البدء في إذاعة برنامج «من شعر البادية» فقد كان بعض الإخوة الأحبة، المشرفين على هذا البرنامج، ليس على درجة من الحرص على صيانة ذلك الشعر، مع التساهل في تقبل ما يقدم لهم منه من أناس أغلبهم عوام، فقد سمعت من بعضهم تحريفاً في لهجة أحد الشعراء، وزيادة في شعره، مع حذف وتغيير، مما ضعضع ثقتي بكثير من هذا الشعر العامي، منذ منتصف القرن الماضي، وتمنيت اتخاذ الوسائل لحفظه وصيانته من عبث العابثين.

من هنا كنت مسروراً أن يتولى جمع هذا الشعر من المثقفين من أدرك جانباً من الثقافة في تمكنه من إبرازه على وجهه الصحيح، وأنه من التراث الذي يجب الحفاظ عليه، دون المساس به، أو التصرف فيه بزيادة أو نقص.

وإنني لآمل من الأخ الدكتور عبد العزيز أن يكون عمله بالنسبة لشعر هذا الشاعر الفحل ابن لعبون - عند حسن الظن به - سائراً على النهج السويِّ، كما عرفت منه حرصه على المحافظة التامة على الأصل، مع جمع كل ما هو من آثار الشاعر، وتقديمها في هذه المجموعة التي تحوي دراسة وافية عن نشأة الشاعر، وأصله وتاريخ حياته، غير متأثر في جميع ذلك بأي مؤثر يحول دون الوصول إلى الحقيقة.

والله سبحانه يتولاه بالعون والتوفيق،

حمد الجاسر

الرياض - ١٣ ذو القعدة ١٤١٧هـ

****

لا بد من كلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:
قال العماد الأصفهاني:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن ولو زِيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

«معجم الأدباء – ياقوت الحموي»

لقد دفعني حسن الاستقبال الذي لقيه كتابي: «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون مدخل لدراسة سيرته وشعره» ونفاد طبعته، إلى تأليف وإعداد وتحقيق كتابين عن ابن لعبون، الأول سيرته ودراسة في شعره، والثاني ديوان شعره.

إن ما أثاره هذا الكتاب عن ابن لعبون من اهتمام على مختلف المستويات العلمية والإعلامية من خلال ما تلقيته من مكالمات هاتفية ورسائل ومنسوخات (فاكسات) وعبر ما نشر خلال أجهزة الإعلام إذاعية ومرئية ومكتوبة في صحف ومجلات منطقة الخليج والجزيرة العربية، قد جعلني آخذ في الاعتبار جميع ما وصلني من نقد واقتراحات ومعلومات جديدة.

وإنني إذ أكرر ترحيبي بأي نقد بناء وهادف لكل ما كتبته عن ابن لعبون، فإنه ليسعدني تلقي أي اقتراح يساعد على إخراج الطبعات القادمة لأعمالي بحلة أبهى، ومعلومة أدق، وأشمل وأكمل، خدمة لشاعرنا الكبير محمد بن لعبون بشكل خاص، وللأدب الشعبي في جزيرة العرب بشكل عام.

أما منهج البحث عن حياة الشاعر محمد بن لعبون وسيرته فقد اعتمدت خطة بحث اجتهدت في تطبيقها وتتمثل في الآتي:

١- التزام الحياد في جميع مراحل إعداد الكتاب وعند مناقشة جميع مواضيعه، ومن ذلك الانتباه إلى مبالغة معظم الرواة عند سرد الأخبار والطرائف لدرجة تخلط فيها الحقيقة بالخيال، ومع قناعتي بأن ابن لعبون لم يكن بمنأى عن تلك المبالغات التي ربما بلغت حد الأساطير، سواء كانت إعجابًا به أو غيرة منه، إلا أنني ومن باب الأمانة العلمية قد ثبّتّ بعض تلك الروايات عن ابن لعبون كما نقلتها مكتوبة أو مرويّة ولا يُعَد ذلك تصديقًا مني بها أو توثيقًا لها، وإنما العهدة بذلك على من رواها.

٢- الاعتماد في ما يتعلق بسيرة ابن لعبون على مراجع تاريخية موثقة مخطوطة ومطبوعة ورواة ثقات من رجال العائلة والقبيلة.

٣- الاجتهاد عند إبداء وجهة نظري الخاصة حول ما ذكر عن ابن لعبون وسيرته أن أبين تلك الوجهة مستنداً إما إلى منقول أو استنباط معزز بدليل من شعره أو حادثة تاريخية.

٤- بجانب ذكر مرجع كل معلومة أو بيت شعر في الهامش فقد تم في آخر الكتاب ذكر جميع المراجع التي استند اليها واستعين بها في هذا البحث.

رحم الله الشيخ حمد بن محمد بن لعبون - والد الشاعر- فقد وفر علينا الكثير من الجهد وحفظ لنا الكثير من أخبار قبيلتنا ووطد أواشج القربى بين أفرادها بما قام به من أعمال جليلة في هذا الميدان، وامتدت جهوده لتوثيق كثير من أخبار نجد في فترة مهمة من تاريخها. وما مؤلفه الذي أسماه (تاريخ نجد) وعرف لاحقاً بـ (تاريخ حمد بن لعبون) إلا مرجع من مراجع تاريخ المنطقة وسجل لأهم أحداثها وتوثيق لأنساب عوائلها.

لقد دون الشيخ حمد في مؤلفه معلومات قيمة، حول سيرة ابنه الشاعر محمد بن لعبون، وبذا يعد ما كتبه الشيخ القول الفصل في هذا المجال، ويسد باب الاجتهادات والاختلافات التي تفشت بين معظم من كتب عن سيرة الشاعر. رحم الله الشيخ حمد وجزاه الله عنا خير الجزاء.

وجزى الله خيراً جميع شيوخ عائلة الشاعر لما تناقلوه وحفظوه ونقلوه لنا من أخبار الشاعر وعلومه وخاصة من سمعت عنهم ونقلت منهم وبالذات العم ناصر بن حمد بن لعبون والعمة هيا بنت عبدالله بن حمد بن لعبون رحمهم الله.

لا أملك كمطّلع ومهتم بسيرة الشاعر محمد بن حمد بن لعبون ودارس لشعره إلاّ أن أسدي تقديري لعامة الناس وخاصتهم الذين حفظوا لنا الكثير من سيرة الشاعر وتناقلوا قصصه وأخباره فجزاهم الله خيراً إن صح ما نقلوه وعفا الله عنهم إن لم يصح وعفا الله عنا وعنه.

إن أعمال أولئك الأوائل الذين حفظوا لنا شعر ابن لعبون وتناقلوه جيلاً بعد جيل مروياً كان أو مخطوطًا ومنهم فهد الصويغ وحمد بودي وعبدالرحمن الربيعي ومحمد اليحيى وكذلك جهود الذين تجشموا عناء جمع ذلك الشعر وطبعه ومنهم خالد الفرج وعبدالله الحاتم لجديرة بالتقدير والامتنان مع الدعاء لهم من المولى عز وجل بالرحمة والمغفرة.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى كل المعاصرين المهتمين بشعر ابن لعبون، والذين حافظوا عليه وتناقلوه ودرسوه ليبقى أثرًا شاهدًا على تراث هذه المنطقة الأدبي في فترة حرجة من تاريخها. وأخص منهم عبداللطيف بن سعود البابطين وعبدالله بن محمد الفاخري وعبدالله بن محمد بن خميس ومحمد بن سعد بن حسين ويحيى بن عبدالله المعلمي ومحمد بن عقيل الظاهري ويحيى الربيعان وأختص بالشكر عبدالعزيز بن سعود البابطين لجهوده لذكر الشاعر ابن لعبون على مختلف الأصعدة وآخرها تتويجه لها بإقامة ملتقى ابن لعبون.

كما ولا يسعني إلا أن أشكر أستاذنا الفاضل علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر لتفضله بالاطلاع على أصل هذا العمل والتقديم له، أنعم الله عليه بموفور الصحة والعافية وجزاه الله عنا خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كل الذين اطلعوا على كتابي الأول واطلعوا على مسوّدة هذا الكتاب، وأبدوا نقدهم وملاحظاتهم وآراءهم عليه، وأخص منهم إبراهيم بن ناصر المدلج، ومحمد بن علي الزير وعبدالرحمن بن عبدالله اللعبون وفواز بن عبد العزيز اللعبون وعبدالرحمن العقيلي الغربللي.

وشكر خاص مقروناً بالتقدير إلى سليمان الحديثي ومبارك بن عمرو العماري لما قدماه لي من معلومات قيّمة وآراء مفيدة،.

وختاماً لعبدالعزيز السريع ومعاونيه في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين الشكر لما بذلوه من جهد لإخراج هذا العمل وإنجازه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

الخبر - غرة ربيع الثاني ١٤١٨هـ

.

****

الباب الأول
سيرة الشاعر
محمد بن لعبون

ابيض

الفصل الأول

حياة ابن لعبون وسيرته

اختلاف المراجع في سيرة ابن لعبون:

عندما أصدرت كتابي «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره» نبهت إلى ما وقع به من سبقني بالكتابة عن ابن لعبون من أخطاء حول سيرته وقدمت معلومات موثقة لا يرقى إليها شك في تحديد نسب الشاعر ومكان مسقط رأسه وسنة ولادته وسنة وفاته ومكانها، ولكن ما زال الالتباس في سيرة ابن لعبون متوارثاً وما زلنا نرى الكثيرين ومن كبار الكتاب يكررون أخطاء السابقين.

اختلفت المراجع الرئيسة التي كتبت عن «ابن لعبون» في تحديد سنة ولادته ومكانها وأيضًا سنة وفاته وهذا ملخص لما ذكرته هذه المراجع:

ذكر خالد بن محمد الفرج صاحب «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» عند ترجمته حياة ابن لعبون ما نصه :«ولد شاعرنا في حَرْمَة (ولا نعرف سنة ميلاده)»[١] . وحدد سنة وفاته بعام ١٢٤٧هـ، وذكر أن ابن لعبون «بلغ ستاً وأربعين سنة»[٢] وبذلك تكون سنة ميلاده حسب هذه المعلومات هي سنة ١٢٠١هـ.

أما عبدالله بن خالد الحاتم صاحب «أخبار ما يلتقط من شعر النبط» فقد أشار إلى أن «الشاعر الكبير النابغة محمد بن لعبون المدلج الوائلي المولود سنة ١٢٠٠هـ في تويم من نجد والمتوفى سنة ١٢٤٦هـ بالطاعون في الكويت»[٣] .

وعندما قام محمد سعيد كمال بـإفراد شعر ابن لعبون في ديوان واحد ضمن سلسلة «الأزهار النادية من أشعار البادية»[٤] ونشر يحيى الربيعان كتاب «ابن لعبون حياته وشعره»[٥] كررا ما ذكره الفرج في ما يتعلق بسنة ميلاد ابن لعبون ومسقط رأسه.

وأشار عبدالمحسن بن عثمان أبابطين في «المجموعة البهية من الأشعار النبطية» المطبوع عام ١٣٩٨هـ(١٩٧٨م)، إلى أن ابن لعبون «ولد في إقليم سدير ونشأ فيه وتعلم القرآن وكان مولده سنة ١٢٠٠هـ وتوفي في الكويت في سنة ١٢٤٦هـ»[٦].

وأشار عبداللطيف بن سعود البابطين صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام» أن ابن لعبون «ولد في بلدة (حرمة) من مقاطعة سدير»[٧] ولم يأت على ذكر سنة ميلاده، إلاّ أنه ذكر وفاته بالكويت سنة ١٢٤٧هـ.

ولا يذكر عبدالله بن محمد بن خميس سنة ميلاد ابن لعبون، ويكتفي بذكر أنه من مواليد حرمة من مقاطعة سدير[٨ و٩].

وقال طلال بن عثمان السعيد في «الموسوعة النبطية الكاملة» ولد شاعرنا في قرية حرمة وقيل في بلدة تويم حوالي سنة ١٢٠٠هـ وتوفي بالكويت سنة ١٢٤٧هـ[١٠]، وذكر حمد محمد السعيدان «صاحب الموسوعة الكويتية المختصرة» أن ابن لعبون ولد في بلدة سدير[١١] وتبعه في هذه المعلومة غنام الديكان[١٢].

ومؤخراً أشار عبدالرزاق محمد العدساني إلى أن ابن لعبون ولد في حرمة سنة ١٢٠٤هـ [١٣] وذكر «أن جميع الكتب والمؤلفات التي تخص الشاعر محمد بن حمد بن لعبون اتفقت على أن مولده مدينة حرمه بمنطقة نجد»، وعن وفاته أنه «مضى عليها ما يقارب ١٦٣سنة» [١٤]. ولما كانت سنة ميلاده هي سنة ١٢٠٥هـ ووفاته سنة ١٢٤٧هـ، فعليه يكون قد مضى على وفاته ١٧١ سنة.

لقد أخفقت المصادر الرئيسة المذكورة آنفًا – في معظم أو كل ما ذكرته حول سيرة ابن لعبون – في تحديد سنة ومكان مولده وعام وفاته. فليست حرمة ولا

التويم مسقط رأس الشاعر وليس هنالك بلدة اسمها سدير وإنما مقاطعة أو إقليم سدير وما سنة ميلاده بسر ولا أي من السنوات١٢٠٠ هـ أو ١٢٠١هـ أو ١٢٠٤ هـ بسنة ميلاده ولا سنة ١٢٤٦هـ بسنة وفاته رحمه الله.

مولـده:

يرجع القول الفصل في تحديد مكان وسنة ميلاد الشاعر وسنة وفاته ومكانها إلى والده نسابة نجد ومؤرخها الشيخ حمد بن محمد بن لعبون حيث يقول عن ابنه: «محمد الشاعر المشهور، المولود في بلد ثادق سنة ١٢٠٥هـ»[١٥] (الصورة ١ و ٢).

أما الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام صاحب «علماء نجد خلال ستة قرون» فيحدد سنة ميلاد ابن لعبون في ربيع الثاني لسنة ١٢٠٥هـ [١٦] .

إذن فالشاعر محمد بن لعبون ولد في ثادق سنة ١٢٠٥هـ أثناء إقامة عائلته فيها بعد انتقالها من حرمة بسبب أحداث سنة ١١٩٣هـ.

وفاتـه:

وحول سنة وفاة الشاعر ومكانها يحدد ذلك والده الشيخ حمد بن لعبون بقوله: «توفي في بلد الكويت سنة ١٢٤٧هـ في الطاعون العظيم الذي عمَّ العراق والزبير والكويت»[١٧]. وعن عمر الشاعر يقول أبوه «فيكون عمره ٤٢ سنة» [١٨].

سبب اختلاف الرواة في سنة ومكان ميلاده:

السبب في تكرار ذكر التويم أو حرمة كمكان لمسقط رأس الشاعر ابن لعبون هو كونه من المعروف أن آل مدلج ومنهم آل لعبون هم أهل التويم وحَرْمَة، وهذا ما جعل من كتب عن الشاعر ابن لعبون ينسبه إلى إحدى البلدتين، فكلتا البلدتين أسسهما جدود الشاعر ابن لعبون وسكنوا فيهما، فالتويم عمرها الجد مدلج بن حسين الوائلي وبنوه سنة ٧٠٠هـ، وحرمة عمرها الجد إبراهيم بن حسين بن مدلج سنة ٧٧٠هـ وبقيت الإمارة والشرف فيهما لعائلة الشاعر، فقد كانت الإمارة لآل مدلج في التويم إلى عهد قريب ومازالت في حَرْمَة حتى وقتنا الحاضر.

ربما كانت هذه الحقيقة وراء خطأ من كتبوا عن الشاعر ابن لعبون فذكروا أن مسقط رأسه في إحدى هاتين البلدتين التويم أو حرمة، كما وأن عدم إحاطة معظم من كتب عن ابن لعبون بتاريخ عائلته وعدم اطلاعهم على ما كتبه والده العلامة النسابة المؤرخ الشيخ حمد بن لعبون وغيره من كبار المؤرخين في نجد عن الشاعر، ما جعلهم يختلفون في تحديد سنة ميلاد الشاعر ومكان مسقط رأسه وحتى سنة وفاته.

إنها من إفرازات التاريخ فقد اضطرت عائلة الشاعر ابن لعبون لترك حرمة بعد أحداث سنة ١١٩٣هـ، ونزح والده الشيخ حمد إلى القصب ومنها إلى ثادق حيث ولد الشاعر في ربيع الثاني سنة ١٢٠٥هـ، ومنها انتقلت عائلته إلى حوطة سدير وانتهى المطاف بهم في التويم بلد الأجداد، فاستقر بها الشيخ حمد وجعلها مسكنًا له ونسب نفسه إليها.

نسبه:

ذكر النسابة المؤرخ الشيخ حمد بن محمد بن لعبون نسب قبيلته فقال: «أول من سمّي لنا من أجدادنا حسين أبو علي، وهو من بني وائل، ثم من بني وهب من الحسنة، وكان لوهب ولدان وهما منبه وعلي، .. ولمنبه ولدان وهما حسن جد الحسنة، وصاعد جد المصاليخ » [١٩].

أما نسب الشاعر ابن لعبون فهو محمد بن حمد بن محمد بن ناصر بن عثمان (الملقب لعبون) بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي البكري العنزي.

سبب تسمية لعبون:

أما سبب تسمية الجد لعبون فقد وجدت في ما نقلته عن شيوخ عائلتنا أن الجد عثمان بن ناصر بن حمد بن إبراهيم بن حسين بن مدلج ثارت عليه بندقية ابن عمه حمد الملقب بالحربي أثناء ملاقاة بين أهل حرمة وأهل المجمعة، فنظمت شدقيه ثم برئ منها وصار ريقه يسيل، وبسبب ذلك لقب بلعبون، فحمل هذا اللقلب وحملته ذريته من بعده.

نشأته:

ولد ابن لعبون في بلدة ثادق وبها ترعرع ودرس، وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ونشأ في بيت علم وأدب، وقد تهيأت للشاعر محمد الفرصة للاطلاع على أمهات الكتب في التاريخ والأدب التي تزخر بها مكتبة والده.

البيئة السياسية:

ولد ابن لعبون وترعرع في بيئة سياسية مستقرة بعد أن توطدت أركان الدولة وعم الأمن والاستقرار بعد فترات مظلمة من الفتن والاقتتال والبدع. عايش ابن لعبون مجتمع السياسة والحكم منذ صغره، فقد كان أبوه يصطحبه معه إلى مجالس الأمراء من آل سعود ومدحهم بقصائد. ولابد أنه وعى شيئًا من الصراع السياسي وما يترتب على ذلك من عز للمنتصر وذل للمنهزم.

البيئة الدينية والعلمية:

ترعرع ابن لعبون في ظل الدعوة السلفية التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونهل الطفل والشاب ابن لعبون العلوم الشرعية ومبادئ التوحيد والعقيدة والعبادات من مناهلها الصحيحة السليمة. وعاش ابن لعبون في بيت من بيوتات العلم والأدب، ولابد أنه اطلع على أمهات الكتب في التاريخ والأدب، فوالده عالم باحث ومؤرخ ونسابة. تعلم ابن لعبون القراءة والكتابة وبرع في الخط وحفظ القرآن الكريم في صغره.

الغربة:

ولد محمد بن لعبون في السنة التي جلت فيها عائلته من بلدة القصب إلى ثادق من بلدان المحمل بنجد، ومما لاشك فيه أن ابن لعبون عندما أدرك الحياة أحس بمعاناة ومكابدة أهله من جراء أحداث حرمة، وعرف أن عائلته في وضع لا تحسد عليه بعد أن طردت من بلدتها وصودرت دورها وأموالها، وأنها تعيش في ثادق معيشة اللجوء، ولا تدري متى ترحل وإلى أين ترحل. ولابد أنه عرف بأن أبناء قبيلته

وجماعتهم من أهل حرمة قد تفرقوا في بلدان نجد والزبير والهند وغيرها. ولابد للشاب ابن لعبون وأنه قد أحس بوطأة الظروف التي تكابدها عائلته كلاجئين في ثادق، ولابد أنه شارك تطلع أسرته للعودة إلى بلدهم في حرمة، فهاجس النزوح عنها كان يتراءى له كما يتراءى لعائلته كل حين.

الشعر:

إن دراسة سيرة ابن لعبون تثبت لنا أن الشاب ابن لعبون تلبَّسه شيطان الشعر وهو ابن الخامسة، ولابد للشاعر أن ينطلق، ولكن من هم حول ابن لعبون طفلاً أو شاباً، عائلته ومجتمعه لا يسمحون له أن ينطلق.

العشق:

إن القراءة في شعر ابن لعبون تشير إلى أنه وقع في الغرام وهو لم يبلغ السابعة عشرة. لقد أحب مي المطيرية وهام بها.

لم يكن بإمكان هذا الشاب الذي غلبه شيطانا الشعر والهوى أن يغلبهما أو يكبتهما. عرف الشاب ابن لعبون وهو خير من يعرف موقف عائلته ومجتمعه حيال عشقه وشعره، ولابد أنه قاسى بسبب ذلك، وأن والده وأسرته قد أحسوا بمعاناه الشاب الشاعر العاشق. وكأنني أحس بمعاناة الوالد التي لا تقل عن معاناة الابن، فقد وقع الوالد أمام ثلاث قوى لا يستطيع السيطرة حتى على واحدة منها: فورة شباب وانطلاقة شاعر وهوس هوى. وكأنني بالشاب قد أيقن – ومقدماً – بخسارة قضيته بين أمور عدة: عشق لم تتوافر له إمكانات إنجاحه، وبلدة تتلمس منه الخطأ. فهو وإن كان قد ولد فيها، إلا أنه غريب عنها، ومجتمع محافظ، وشعر تمكن منه.

لقد أدرك الشاب ابن لعبون أن معظم أفراد قبيلته وجماعتهم قد تفرقوا بعد هدم حرمة، في بلدان نجد والزبير والهند وغيرها. وكأنني وابن لعبون يعد الأيام يوماً بعد يوم ويسابق الزمن ليحصل على شهادة البلوغ ليقدمها إلى والده ليحصل

منه على تأشيرة السفر والانفلات كبقية جماعته، وليسبق عائلته في رحيلها عن ثادق. أدرك الشاب ابن لعبون أنه لابد له من الهروب من بيئته التي ربما لم تكن موائمة لشاب سكنه سلطان الهوى وتلبسه شيطان الشعر منذ نعومة أظافره.

ولابد له والحالة هذه من تضحية كبيرة، لقد انفلت بشبابه وساقه شيطان شعره، ولكنه ضحى بأهله ومحبوبته. محبوبته التي ظل يردد اسمها طيلة حياته. ورب سائل يسأل ماذا كسب ابن لعبون؟. الإجابة عن مثل هذا السؤال تجدها عند عشاق ابن لعبون والمعجبين بشخصيته وشعره.

انعكاسات بيئته على حياته:

بدأت تأثيرات وانعكاسات بيئة ابن لعبون حال تفكيره في النزوح من نجد، فما هذا التفكير إلا امتداد لمعاناة أسرته في الترحال، وتجلت آثار جميع البيئات التي ذكرنا: سياسية ودينية وعلمية وعائلية على حياة ابن لعبون، وتركت بصماتها واضحة عليه وعلى حياته الشعرية. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة سيرته وقراءة أشعاره.

لقد اتخذ ابن لعبون وحال وصوله إلى الزبير موقفاً سياسياً بوقوفه بجانب أبناء عمومته من آل مدلج وجماعته من أهل حرمة ومن ناصرهم. لقد ثبت ابن لعبون على مواقفه السياسية منذ وصوله إلى الزبير وحتى بعد خروجه منها ودفع بسبب ذلك ثمناً غالياً كالثمن الذي دفعته أسرته من قبل.

وانعكست تربيته الدينية في شعره، فقد بقيت الصلة وثيقة بين ابن لعبون وعقيدته التي نحسبها إن شاء الله سليمة، فلم يردنا من شعره ما يتنافى والعقيدة أو كمال التوحيد. لقد تجلت الخلفية الدينية عند ابن لعبون بكثرة استشهاداته وتضميناته لكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وذكره للأنبياء والملائكة وما إلى ذلك.

وانعكست خلفيته العلمية وبوضوح من خلال بلاغته ومتانة شعره وجزالة مفرداته وابتكاراته لبحور جديدة وتطوير أخرى، وابتكارات فنية ولفتات ذهنية واستدراكات على فحول الشعراء واقتباسات منهم وتضمينات لمفرداتهم وشعرهم وإشارات إليهم.

وانعكست حياة الغربة لعائلته وتنقلاتها في غربته الطويلة منذ خروجه من نجد حتى وفاته في الكويت، وفي تنقلاته بين نجد والزبير والكويت، والبحرين والهند وغيرها.

تجلي شاعريته:

تجلت شاعرية ابن لعبون قبل ولادته فقد ذُكر أن والده الشيخ حمد بن لعبون رأى حلمًا رواه لزوجته – وكانت حاملاً – وفسر ذلك الحلم بأن الله سيرزقهم ولدًا وسيكون شاعرًا[٢٠] وجاء ذلك الولد وسمّي محمدًا تيمنًا باسم جده. ومرة ثانية تأكدت شاعرية الطفل محمد عندما رأى في المنام بحرًا يشرب منه وجاء لأبيه يحكي قصة ذلك الحلم، ففسره والده بأنه إما علم غزير أو شعر، وصدقت نبوءة الأب فكان البحر شعرًا ينهل منه الابن[٢١].

ربما لا نغالي إذا قلنا إن الشعر ولد مع ابن لعبون، فقد قرضه تلقائياً ومنذ صغره، ولم يردنا من شعره وهو في نجد شيء يذكر وربما كان ذلك لأسباب منها:

١ – عدم اكتراث الكبار ممن حوله بتدوين شعره.

٢ – مكانة والده الشيخ حمد العلمية والوظيفية جعلته لا يذكر من أشعار ابنه إلا أبياتًا مدح بها علية القوم، أما الأشعار الأخرى كالهجاء والغزل فربما ظن أنها مشينة ولا داعي لتشجيع الابن عليها ونشرها.

٣ – إدراك الولد الشاعر محمد لمكانة أبيه والبيئة المحافظة من حوله، ما جعله يحجم عن نشر أشعاره والبوح بها.

ومما يرجح ما ذكرنا أنه ليس من المعقول أن تتفتح شاعرية ابن لعبون وبهذه الجزالة والمتانة وسبك المعاني فجأة ولمجرد وصوله إلى الزبير. إن البيئة العلمية للزبير

واحتكاك ابن لعبون بالعلماء والأدباء والشعراء الذين تعج بهم هذه البلدة، صقلت شخصيته وفتحت مواهبه وجعلته ينطلق وبكل قوة، ويقارع فحول الشعراء ويطرق أبواب الشعر ومعانيه ويجدد ويبدع ويبتكر ويكوّن مدرسة جديدة قائمة بذاتها.

انطلاقته:

إن من أوائل ما ذكر عن شعره وهو صغير ربما في الرابعة أو الخامسة من عمره عندما ارتجل أبياتًا من شعر كرد فعل لتمنع أمه أن تعطيه تمرًا، فقد عاد الولد ظهرا من الدرس وكان جائعًا فطلب من أمه تمرًا فتمنعت بحجة أن المفتاح قد ضاع، وربما كان ذلك تعذرًا من الوالدة حتى يأتي والده وتجتمع العائلة كلها للغداء. لم يقتنع محمد بهذا العذر فصعد إلى السطح وركب الجدار وأخذ ينادي بأعلى صوته بحثًا عن المفتاح أو إحراجًا لوالدته لتفتح له مخزن التمر ويقول [٢٢]:

يا من عينّ المفتاح
من فوق وركي طاح
بطني كما الردّاح
يبغي غدا له

وربما كانت هذه أول أبيات قالها، وصادف وصول الأب ورأى ابنه على الجدار يصيح بهذه الأبيات فتحقق للوالد صحة تفسيره بأن ابنه سيكون شاعرًا.

نمت موهبة الشعر عند ابن لعبون ورعاها والده الشيخ حمد الذي كان لا يترك فرصة لصقل مواهب ابنه وتعليمه وزرع الثقة في نفسه إلا وينتهزها، فقد كان يأخذه إلى مجالس الرجال والأمراء من آل سعود وغيرهم ليسلم عليهم وليتعلم كيف يتصرف الكبار ويتحدثون، وخير دليل على ذلك ما ذكره الشيخ حمد أن ابنه محمد قال شعرًا في الأمراء ومنهم عمر بن عبدالعزيز آل سعود ومدحهم بقصائد كثيرة [٢٣]، ولم يصلنا من شعر الصبي ابن لعبون سوى أبيات قليلة منها هذا البيت[٢٤]:

صغيرهم يربى على الشيب بالطيب
لو كان طفل يحمل فوق الاكتاف

و يذكر أن ابن لعبون عند خروجه من ثادق مهاجرًا إلى الزبير وهو في السابعة عشرة من عمره، أشارت إليه امرأة قائلة: «هذا أبو قذيلة اللي يقصد؟» (أي يقول الشعر) فأجابها مرتجلاً بقوله[٢٥]:

أبو قـــــذيلـه مـــــا وقف عند بابك
ولا فـــــصخ واحـــــد من ثيـــــابك(*)
أنتِ حـــــصـــــاة الدرب كل وطا بك
حـــــتى الأجـــــانب يدلون بابك(**)

وما أن سمعت ذلك الهجاء منه، حتى بادرت لإرضائه بهدية تريد بها العافية.

صفاتـه:

ورد في بعض المراجع وما يذكر من أحاديث يتناقلها العامة أن ابن لعبون، رحمه الله، كان حسن الطلعة جميل الصوت فطنًا حسن البديهة، وذكر الشيخ حمد بن لعبون في تاريخه أن ابنه الشاعر محمد كان قد «حفظ القرآن، وتعلم الخط، وكان خطه فائقاً، وتكلم بالشعر في صغره»[٢٦].

نـوادره وفطنته:

اتصف ابن لعبون بالذكاء وحسن البديهة وارتجال الشعر، ويردد العامة الكثير من الحكايات حول نوادر ابن لعبون وغرامياته حتى اختلطت الحقيقة فيها بالخيال.

إن مما يستشهد به على ذكائه القصة التي تروى عنه حين أراد أصدقاء له دعوته لحضور مجلس أنس وطرب، ولكنهم لا يريدون أن يعرف المكان، فدعوه للحضور شريطة أن يغمضوا عينيه حتى لا يستدل على المجلس. وافق ابن لعبون ومضى معهم معصوب العينين إلى المكان، ولما وصلوا رفعوا الغطاء عن وجهه، سمر الجميع وفي آخر الليل أغمضوا عينيه وعادوا به، وهكذا ظن أصدقاء ابن لعبون أنهم طربوا معه دون أن يعرف مكانهم، وفي الليلة التالية فاجأ ابن لعبون الجميع

(*) قذيلة: تصغير قذلة وهي شعر مقدم الرأس. فصّخ: نزع.
(**) الأجانب: الغرباء عنها.

بحضوره إلى المكان، فعجبوا أشد العجب لمعرفة ابن لعبون للمكان واستدلاله عليه، فأخبر ابن لعبون أصدقاءه أنه كان قد ملأ جيبه حبوبًا وخرق خرقًا صغيرًا في الجيب تتساقط منه الحبوب على طريق سيره إلى المكان، وفي الصباح تتبع الحب فاستدل على المكان.

عشقه وهجاؤه:

إن من أهم استنتاجاتي لما اطلعت عليه من شعر ابن لعبون أنه «أينما حل عشق وحيثما رحل هجا». ولنتلمس هذه المقولة من خلال دراستنا لشعر ابن لعبون وتتبعنا لسيرته. للمزيد حول عشق ابن لعبون انظر الفصل الخامس: ابن لعبون العاشق.

أسفاره وتنقلاته:

لم يستقر بابن لعبون القرار في بلد معين، فما أن بلغ السابعة عشرة حتى ترك «ثادق» مسقط رأسه في المحمل من نجد في تنقل وترحال، إما رغبة منه أو رغمًا عنه (الشكل ٣)، ففي هذه السن المبكرة هاجر إلى الزبير، ومنها نفي أو بالأحرى خرج إلى الكويت، وهنالك قول بأن ابن لعبون خرج من ثادق إلى البحرين وبعدها ذهب إلى الزبير وربما تفسر بعض قصائده بما يعزز هذا القول. وسواء قصد ابن لعبون البحرين بعد خروجه من نجد أم قصد الزبير رأساً، فقد زار البحرين أكثر من مرة. وقد ورد في شعره ذكر للقطيف، مما يشير إلى أنه ذهب إليها وإلى الأحساء. كما ذكر أنه ذهب إلى الهند لزيارة ابن عمه ضاحي بن عون في مدينة بومباي، وكان الشيخ ضاحي رجل العرب في الهند علماً وغنى. ويذكر خالد بن محمد الفرج أن ابن لعبون لم يطب له المقام في الهند لكونه غريب الوجه واليد واللسان، فغادرها معرجاً على البحرين وفيها أمضى وقتاً يسيراً (الشكل ٤). هذا ولم يردنا مما يلقي الضوء على سيرة ابن لعبون وتنقلاته في هذه البلدان إلاّ النزر اليسير.

إن هذه الأسفار والتنقلات وما واكبها وتخللها من ظروف وأحداث، أكسبت ابن لعبون ميزة يكاد ينفرد بها عمن سواه من الشعراء، ولا نقصد بها ميزة السفر والترحال، بل ميزة ما اكتسبه منها من خبرة انعكست متانةً في شعره وصقلاً لشخصيته واعتدادًا

بنفسه. لقد وفر السفر للشاعر ابن لعبون الفرصة ليس للتعرف على بلدان مختلفة فحسب، وإنما للتعايش والتكيف مع بيئات تختلف إلى حدٍّ ما في لهجاتها وعاداتها وثقافاتها ومبادئها مع ما ألفه في مجتمع نجدي شبه مغلق، ولد فيه وترعرع.

انطلق ابن لعبون من مجتمع نجدي في قلب جزيرة العرب إلى مجتمع نجدي آخر في الزبير أكثر انفتاحًا وتأثرًا بالساحل، وسافر إلى مجتمعات أكثر بعدًا عن مجتمعات نجد والزبير، فقد سافر إلى الكويت وبلدان الساحل والبحرين والهند، ووجد في مجتمع الكويت وسطًا بين هذه وتلك، فاستقر بها ليقضي أواخر أيامه.

حنينه إلى نجد:

خرج ابن لعبون من نجد وظل قلبه معلقًا بها وبأحبته فيها ونظم في ذلك شعرًا بثه حنينه وشوقه لهم ولديارهم ودعاءه لبلده ثادق (الصورة ٥) وسكانها بالخير العميم والغيوم المرناة، ومن ذلك قوله:

فَـيـا نَادِبِي سِـرْ فِي قـرَاها وَمَـسْنَدِي
إلى حَيْ بَينَ اطلاَلْ نَجْـدٍ جـثُـومَـهَـا
إلىَ سِـرْتـهـا مِنْ دَار مـيٍّ وَغَـربتْ
ونَابَاكْ مِنْ طُفَّـاحْ نَجْـدٍ خـشُـومـهَـا
أوَّلْ مـواري دَارهُـمْ لِكْ جـلاَلَـهْ
حَـاشَـا الإلهْ وَبَاقِي الدَّارْ زُومـهَـا
عـلـمـي بـهـم قـطـن عـلـى جـوْ ثَـادِقْ
سِـقـاهَا مِـرنَّات الْغَـوادِي ركُـومـهَـا
مَـرَابيـع لَـذَّاتِي وَغَـايَاتْ مَطْلبِي
وَمَـخْـصُـوصْ رَاحـاتِي بـهَـا في عـمُـومـهَـا
ألاَ يا خَـبِـيـرٍ بَالْمصـادِيرْ حـثـهـا
وَسِـرْهَا أمَـامَ الدَّارْ تلْقَى علُومـهـا

إلـىَ جِـــيتْ فِي وَادِي ســـدَيرٍ فـــخَلـهَـــا
تِذبَّ الْعَـفـا مـاَ فَـوقـهـا إلاّ وسُـومـهَـا
إلـىَ لاَحْ بَـرْقٍ مِنْ حَـــيـــا نَـجـــد حَـنَّتْ
مِنْ الْوَجـــدْ حَنَّةْ وَالِدين رحُـــومـــهَـــا

علاقاتـه:

ساعدت عبقرية ابن لعبون الشعرية وشخصيته المرحة الطربة في توطيد علاقاته مع كثير من وجهاء وأعيان نجد والزبير والكويت والأحساء والبحرين والهند. وورد في شعره ذكر كبار شخصيات عصره، وفي صغره مدح آل سعود ومنهم عمر بن سعود بن عبدالعزيز بقصائد كثيرة، ومدح شيخ الزبير محمد بن إبراهيم بن ثاقب والشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد، والأمير أحمد السديري، والشيخ جابر العبدالله الصباح، وكانت له علاقات ومراسلات مع عدد من وجهاء المنطقة، كالحاج يوسف اليعقوب البدر والشاعر عبدالجليل الطباطبائي وغيرهما.

ثقافتـه:

إن المتفحص لشعر ابن لعبون يجده ينحو فيه منحى الشعر العربي الفصيح في كل أساليبه ومعاييره ومعانيه وقوافيه وتضميناته واقتباساته، وتجد في شعر ابن لعبون الصور البلاغية وبديعها.

يبدأ ابن لعبون قصائده كما بدأها الأوائل بالنسيب والغزل، ويعرّج على ذكر الركائب والظعائن، ويصف ما تمر به من القفار والفلاة والبلدان، وكأني به يهيئ السامع له، ويحفزه لسماع ما يريد قوله ومتى ما تم له ذلك وضمن التعاطف والاستحسان والثناء، خلص إلى مراده من القصيدة بسلاسة، ثم ختمها في معظم الأحيان بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم .

ويلاحظ القارئ أو السامع لشعر ابن لعبون حسن مطالع قصائده وحسن ختامها، وبين هذه وتلك دقة وصفه، ورقة غزله، وبلاغة مدحه، وعنف هجائه، ومعاناة رثائه.

يتميز شعر ابن لعبون عن شعر معظم شعراء النبط بثرائه اللغوي، فلقد كان للبيئة التي عاش فيها، والظروف الاجتماعية والسياسية التي أحاطت به، أثرٌ كبيرٌ في صقل شخصيته وشاعريته، فقد جمع ابن لعبون بين خلفية عربية نقشت في نفسيته ووجدانه منذ نعومة أظافره وبيئة عامية متباينة من نجد إلى الزبير وبلدان الساحل. عندما كان ابن لعبون في رعاية أبيه العلامة الشيخ حمد بن لعبون، حفظ القرآن وتعلم الخط وبرع فيه وقال الشعر في صغره. إن نشأة ابن لعبون في بيئة علم وأدب مكنته من الاطلاع على أمهات الكتب في لغة العرب وآدابها، مما صقل لغته العربية، وفتح آفاق مداركه الأدبية. وعندما تنقل بين مناطق نجد والساحل ألمَّ بتراثها الشعبي ومفرداتها المحلية. وبهذا الرصيد العلمي وهذه الخلفية الثقافية، اقتحم ميادين الشعر فنبغ فيها، مازجًا فصيحه العربي بعاميّه النبطي، فجاء شعره رصينًا قوياً تجد فيه الكثير من البلاغة اللغوية، واللفتات الذهنية، والمحسنات اللفظية، والاستعارات البديعية، والاقتباسات الأدبية.

انتماؤه السياسي:

بدا انتماء ابن لعبون السياسي واضحا وثابتاً في أكثر من جانب من جوانب حياته وشعره، وكما ذكرنا أن ابن لعبون قدم إلى إمارة الزبير والتنافس على أشده بين حمائل أهلها على السلطة، وما كان لابن لعبون إلا أن يأخذ موقفاً حيال هذه الفئة أو تلك. وعندما حدد ابن لعبون موقفه ثبت عليه حتى النهاية رغم قناعته بما سيدفعه من أجل ذلك من ثمن، لقد وقف ابن لعبون بجانب أبناء عمومته وجماعته ومدح زعماءهم وأطلق العنان لهجاء خصومهم، ووقف موقفاً معادياً لشيخ الزبير علي بن زهير وهجاه هجاء مقذعاً.

لقد دفع ابن لعبون ثمن مواقفه غالياً وتمثل ذلك بخروجه من الزبير التي عشقها وتغنى بها، واضطر لفراق ديار من تعلق بها قلبه وغادر مرابعها.

المؤرخون وابن لعبون:

دخل الشاعر محمد بن لعبون التاريخ من خلال ما كتبه كبار المؤرخين في جزيرة العرب عنه في تواريخهم، فقد أورد معظم هؤلاء المؤرخين نبذة عن حياته

وشعره، ومن أولئك والده الشيخ حمد بن محمد بن لعبون صاحب تاريخ نجد المعروف لاحقا باسم «تاريخ ابن لعبون»، وعثمان بن عبدالله بن بشر صاحب «عنوان المجد في تاريخ نجد»، وعبدالله بن محمد بن بسام صاحب «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»، ومقبل بن عبدالعزيز الذكير صاحب «العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية»، وعبدالله بن عبدالرحمن البسام صاحب «علماء نجد خلال ستة قرون»، وخير الدين الزركلي صاحب «الأعلام» وغيرهم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد ما ذكره ابن بشر والذكير، فقد أورد ابن بشر في حوادث سنة ١٢٤٧هـ ما نصه: «وفي هذا الطاعون مات رئيس الزبير علي بن يوسف الزهير، وفيه أيضًا توفي الشاعر المشهور محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي، مات بالكويت، وكان شعره جيدًا» [٢٧].

أما مقبل الذكير فلم يذكر من حوادث سنة ١٢٤٧هـ إلا وفاة ابن لعبون وذلك بقوله: «هذه السنة كسابقتها ليس فيها من الحوادث ما يوجب الذكر. وفيها توفي محمد بن حمد بن محمد بن لعبون المدلجي الوائلي الشاعر المشهور توفي في بلد الكويت وكان أشعر شعراء النبط المتأخرين وأكثره من الشعر الجيد المقبول ولا زال يتمتع بقصب السبق إلى الآن»[٢٨] (الشكل ٦).

معاناته:

من خلال قراءة ما توافر لنا من معلومات عن حياة ابن لعبون وتنقلاته، وإن كان مقتضبًا، يتبين لنا كم كانت حياته صعبة، قضاها متنقلاً، إن لم يكن طريدًا، لا يقرّ له قرار وكأنه بذلك يعيد سيرة والده، وتنقل عائلته في قرى نجد بعد هدم حرمة، وبقدر ما اكتسبه ابن لعبون من خلال رحلاته من خبرة وصقل لشخصيته، فقد عانى الكثير من متاعب الحياة وهمومها، وصراعه مع الحكام ومنافسته للشعراء، ومعاناته مع من تعلق بها قلبه، وشظف معيشته، لقد سئم ابن لعبون الحياة ونحا منحى أبي العلاء المعري في لزومياته وتمنى أنه لم يوجد بها، وتكرر منه ذلك في عدد من قصائده ومنها قوله:

لو با تمنى قلت يا ليت من غـــــاب
عـــمـــا جـــرى باللوح واللي كـــتب به

امي وابوي اللي رمـــوني بالاســـبـــاب
يا ليـــتـــهـــا بعـــد الحـــمـــال اســـقطت بـه

وقوله:

لـو بـا تمـنـى قـلـت يـا لـيـت مـن مـــــــات
حـــيث الطرب واوصـــال الاحـــبـــاب فـــاتـه

وأخيرًا تداعت قواه أمام المرض العام الذي فشا في المنطقة، واقتنصته يد المنون وهو في عزّ شبابه، فمات بمرض الطاعون في الكويت، رحمه الله وغفر له.

ابن لعبون تزوج ولم يعقب؟:

إن من الشائع لدى الناس أن ابن لعبون لم يتزوج إلاّ أن مما أذكره وأنا في مقتبل العمر أنني سمعت من أحد شيوخ العائلة قوله إن الشاعر قد تزوج بابنة خاله، غير أنني لم أستوثق من هذه المعلومة وقتذاك. ولكنني وجدت في ما ذكره محمد أحمد الثميري والراوية محمد بن عيد الضويحي[٢٩] ما يعزز خبر زواج ابن لعبون من ابنة خاله في معرض ذكره لمناسبة قصيدة توبته، وما ذكره أن ابن لعبون تزوج ابنة خاله في الكويت وأنها أحبته وأحبها.

ومما يعزز صحة خبر زواج ابن لعبون ما ذكره والده المؤرخ النسابة الشيخ حمد بن محمد بن لعبون من معلومات مقتضبة عن ابنه الشاعر محمد بن لعبون بقوله: إن عمره وقت وفاته كان ٤٢ سنة وليس له عقب [٣٠]، وكلمة الشيخ حمد وليس له عقب تعني أنه لم يترك ذرية، ومنها يفهم أن الشاعر ابن لعبون قد تزوج ولكن لم يرزق بذرية تعقبه، وإلا لذكر والده أنه لم يتزوج واكتفى بذلك ولم يأت على ذكر العقب.

وصيته بين الحقيقة والخيال :

مات ابن لعبون في مدينة الكويت ودفن فيها، وهذا لا غبار عليه، ولكن أين يقع قبره رحمه الله؟ لقد أثار هذا الموضوع اهتمام عدد من الناس ونسجت حول قبر ابن لعبون روايات اختلطت فيها الحقيقة بالخيال، ومن ذلك قول بعضهم إن ابن لعبون

أوصى أن يدفن على قارعة الطريق التي تمر بها النساء عند ذهابهن وإيابهن إلى البحر، ومثلها ما يشاع عن أبيات تنسب إلى ابن لعبون في تحديد مواعيد لقائه بالنساء على السِّيف، ربما تكون شيئاً من الأساطير الكثيرة التي حيكت حوله.

وصايا الشعراء :

فقد أوصى عدد من الشعراء وخاصة أولئك الذين أضناهم العشق أن يدفنوا بجانب ما أحبوا أو من أحبوا ومثال ذلك قول الشاعر(*):

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة
تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فإنني
أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

فهل نفذت وصية هذا الشاعر وهل يعقل أنه كان صادقاً في كلامه؟.

وهل نفذت وصية الشاعر (**) الذي قال:

بلغوها إذا أتيتم حماها
أنني مت في الغرام فداها
واذكروني لها بكل جميل
فعساها أن تبكي عليَّ عساها
واصحبوها لتربتي فعظامي
تشتهي أن تدوسها قدماها

وليست وصية ابن لعبون – إن كان فعلاً قد أوصى بها – عن هذه الأمثلة ببعيد.

قبر ابن لعبون في مقبرة:

سبق وأن أبدينا تحفظاً حول ما ذكر عن وصية نسبت إلى ابن لعبون بدفنه في طريق النساء إلى البحر، فمع عدم وجود ما يثبتها سوى ما يتندر به العوام، نقول

---

* البيتان من قصيدة للشاعر أبي محجن الثقفي، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مجلد ١٨، طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩، ص٢٨٩.

** الأبيات من قصيدة للشاعر الأخطل الصغير، شعر الأخطل ، ص١٥١-١٥٢

وعلى فرض أن ابن لعبون فعلاً قد أوصى أن يدفن على طريق النساء، وهذا من باب المبالغات التي اعتاد عليها الشعراء في وصف هيامهم وعشقهم، فمن ذا الذي سينفذ وصيته؟. إذ ليس من المعقول أن يسمح أهل الكويت وحكامها وعلماؤها وأصدقاء ابن لعبون ومعارفه ووجهاء الكويت، كالحاج يوسف اليعقوب البدر وعائلته، أن يدفن مسلمٌ خارج مقابر المسلمين حتى ولو أوصى بذلك، لتنافيها ومبادئ الشرع المطهر وعرف المجتمع السليم، وهل كل من أوصى تنفذ وصيته؟. هذا من جهة، ومن جهة أخرى مات ابن لعبون في وباء الطاعون وفي وقت لا يجد الموتى من يدفنهم وأحياناً يدفن الموتى في قبور جماعية. فمن ذا الذي سيلتفت إلى ابن لعبون لينفذ وصيته (إن كان قد أوصى) ويدفنه في طريق النساء؟. إنها من الأساطير التي حيكت حول ابن لعبون.

ومما يعزز ما ذكرنا ما أورده الدكتور يعقوب الغنيم [٣١] بأن ابن لعبون دفن في مقبرة الرشايدة.

إذن ، دفن ابن لعبون في مقابر المسلمين وليس كما يشاع ويصدق تلك الشائعات العوام.

موقع قبره:

هناك الكثيرون ممن اهتم بالبحث والتحقق عن موضع قبر ابن لعبون، فمن قائل إنه دفن في اليسرة ومن قائل في الوطية، ومنهم من قال إنه دفن في «منطقة سحيلة في القبلة بناء على وصيته» [٣٢]. ربما تكون اليسرة والوطية وسحيلة تسميات محلية لمنطقة واحدة أو قريبة من بعضها الآخر. وعموماً فالمنطقة المذكورة تقع قرب مبنى مجلس الأمة الحالي ومتحف الكويت الوطني.

وقد ذكر لي الأديب عبدالعزيز بن سعود البابطين [٣٣] الذي قام ومنذ مدة طويلة بالاتصال بكبار السن والمهتمين بابن لعبون وشعره من أهل الكويت، وخاصة أولئك الذين يظن أن لهم دراية وعلمًا بالمكان الذي دفن فيه، أن أحمد الجارالله أخبره أن سليمان الجراح كان قد دلَّه على المكان الذي دفن فيه ابن لعبون. كما أن

عبداللطيف الثويني ومنصور الخرقاوي أيضًا يعرفان موقع قبر ابن لعبون، وأنه يقع في منطقة الجسرة (اليسرة) بالكويت التي كانت تعرف بنقعة البحر على ساحل السيف (الصورة ٧)، وهي اليوم حديقة متحف حمود بن يوسف البدر.

وحول موقع قبر ابن لعبون يذكر الشيخ عبدالله بن محمد الفاخري عن عمه أحمد بن عبدالله الفاخري الذي عاش في الكويت خلال الفترة ما بين ١٣٢٥هـ إلى ١٣٦٩هـ، أن ابن لعبون دفن في براحة ابن بحر جنوبي مسجد ابن بحر [٣٤].

ويذكر الأديب خالد سعود الزيد أن ابن لعبون دفن في مقبرة في تلك المنطقة [٣٥].

ويحدد الدكتور يعقوب بن يوسف الغنيم موقع قبر ابن لعبون «ونقعة الصقر بين اليسرة الواقعة غرباً وبيت البدر، وقبر ابن لعبون يقع في المقبرة المزالة في الزاوية الشمالية الغربية منها ويعادل زاوية مدرسة عمر بن الخطاب الشرقية الجنوبية التي هدمت وأدخلت ضمن موقع مجلس الأمة وكانت هذه المقبرة تسمى مقبرة الرشايدة».[٣٦] (الصورتان ٨ و٩).

هذا وقد قمنا وبصحبة الأخ أحمد الجارالله وأخيه الشاعر سليمان الجارالله والشاعر فواز بن عبدالعزيز اللعبون بزيارة ديوانية البدر التي ذكر عبدالله بن خالد الحاتم أن ابن لعبون سكن فيها عند قدومه للكويت أول مرة، وتجولنا في المنطقة التي ذكر أن ابن لعبون دفن فيها. ديوانية البدر ما زالت قائمة (الصورتان ١٠ و١١) ويجاورها بيوت أعيان الكويت مثل الصقر والغانم والعثمان، قبل إزالتها منذ عقود مع بداية تحديث الكويت.

لقد تحفظت في كتابي الأول «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره» حول ما ذكر عن قبر ابن لعبون ووصيته وأكرر تحفظي على هذه المعلومة وأذكر ما يفند مقولة أن قبر ابن لعبون كان متميزاً وعليه قبة وكان مزاراً بالنقاط التالية:

١ - عدم وجود دليل مادي يؤكد وجود القبة.

٢ - عدم وجود إثبات أو ذكر تاريخي موثق لوجود مثل هذه القبة.

٣ - ليس من دين وشيمة أهل الكويت أن يبنوا على القبور قبابًا ويجعلوها مزارات ولن يرضى حكامهم وعلماؤهم بمثل ذلك.

٤ - إن تبني أهل الكويت لمبادئ الدعوة السلفية وقرب عهدهم بها وقتذاك يجعلهم يحاربون البدع وبناء القباب على القبور وجعلها مزارات.

٥ - مات ابن لعبون رحمه الله في فترة كثر فيها الموتى بسبب الطاعون لدرجة أنه في حالات عديدة كان يدفن العشرات في قبور جماعية، وربما لم يجد بعض الموتى من يدفنهم، وليس من المعقول وفي مثل هذه الظروف أن أحدًا يفكر في تمييز ابن لعبون ودفنه بقبر لوحده وعلى قارعة الطريق ويبني عليه قبة.

إيضـــاح:

لقد أساء بعض من اطلع على ما كتبته في كتابي «أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره» في طبعته الأولى، ص ٤٠-٤١ ، فهم ما ذكرته عن وصية ابن لعبون ودفنه على طريق النساء إلى البحر وما ذكر عن قبة على قبره وأنه كان مزاراً .

لست أنا بالقائل إن ابن لعبون أوصى بأن يدفن في طريق النساء، أو أن هنالك قبة على قبره، أو أن قبره كان مزاراً، أرجو أن يكون ذلك واضحاً للقراء. فأنا أدحض هذه المقولات، وخلاصة القول أن ابن لعبون لم يوص بدفنه في طريق النساء، وإن مثل هذه الوصية لم تنفذ (على فرض أنه أوصى)، وأنه دفن في مقابر المسلمين (وليس بقبر لوحده)، وأنه لم يكن على قبره قبة، وأن قبره لم يكن مزاراً.

وأزيد على ما تقدم بالقول بأنه وفي ظل الظروف التي توفي فيها ابن لعبون يكاد يكون من المستحيل أن يعرف قبر ابن لعبون، بل وفي أية مقبرة دفن. فكثرة المقابر وكثرة الموتى ورهبة الموت وفظاعة الوباء تجعل الناس تذهل عن أعز أقربائها. فمن ذا الذي سيلتفت إلى ابن لعبون ليضع على قبره ولو علامة ليستدل بها عليه؟.

****

الهـوامـش

(١)، (٢) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد)، ج١، ص ٨٠- ٨٢.

(٣) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص٢٥٦.

(٤) محمد سعيد كمال (الأزهار النادية من أشعار البادية)، ج١٠، ص ٣.

(٥) يحيى الربيعان (ابن لعبون حياته وشعره)، ص ٩.

(٦) عبدالمحسن بن عثمان أبابطين (المجموعة البهية من الأشعار النبطية)، ص١١٧.

(٧) عبداللطيف بن سعود البابطين (طرائف الكلام من شعر العوام)، ط١، ص ١١، ط٢، ص ١٣٥.

(٨) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص ٩٢.

(٩) عبدالله بن خميس (رموز الأدب الشعبي تنبع من أصلها الفصيح)، ص ٣٧.

(١٠) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج٢، ص٤٢٠

(١١) حمد محمد السعيدان (الموسوعة الكويتية المختصرة)، ج ٣، ص١٢٨٩.

(١٢) غنام الديكان (تحليل الإيقاعات الكويتية في الأغنية الشعبية)، ج١، ص٣٨٤.

(١٣) عبدالرزاق العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون حياته وشعره)، ص ٣٠.

(١٤) عبدالرزاق العدساني، المصدر السابق، ص ٢٨, ٤٧ .

(١٥) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠٠.

(١٦) عبدالله بن عبدالرحمن البسام (علماء نجد خلال ستة قرون)، جـ ص ٢٣٧.

(١٧, ١٨, ١٩) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٧و٨، س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٩٤.

(٢٠) عبدالعزيز بن سعود البابطين، مقابلة شخصية، الكويت ١٩٩٥م.

(٢١) نقلاً عن العم ناصر بن حمد اللعبون، المتوفى بالرياض عام ١٤١٤هـ، عن عمر ناهز المائة عام، رحمه الله.

(٢٢) نقلاً عن عبدالعزيز بن سعودالبابطين، الكويت، ١٤١٦هـ، عن والدته العمة حصة بنت عبدالعزيز اللعبون.

(٢٣) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠١.

(٢٤) محمد بن غنام، مقابلة شخصية، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٢٥) عن العم ناصر بن حمد اللعبون.

(٢٦) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب ج ٧و٨ س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص ٦٠١.

(٢٧) عثمان بن عبدالله بن بشر(عنوان المجد في تاريخ نجد)، ج٢، ص٨٤.

(٢٨) مقبل الذكير (العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية)، ص ٣٨.

(٢٩) محمد بن أحمد الثميري ومحمد بن عيد الضويحي (الفنون الشعبية في الجزيرة العربية) ص ١٥٥.

(٣٠) حمد بن لعبون (بنو وائل ونسب آل مدلج)، تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب، ج ٧و٨، س٥٩٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص٦٠١.

(٣١) يعقوب يوسف الغنيم، بحث ابن لعبون حياته وشعره، ص ٣.

(٣٢) عبدالله بن عبدالعزيز الدويش، الفن والسامري، ص ١٤.

(٣٣) عبدالعزيز بن سعود البابطين، مقابلة شخصية، الخبر، ١٤١٦هـ.

(٣٤) عبدالله بن محمد الفاخري، مقابلة شخصية في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤١٦هـ.

(٣٥) خالد سعود الزيد، مقابلة شخصية في الكويت في ٢٩ / ٣/ ١٩٩٧م.

(٣٦) يعقوب يوسف الغنيم، بحث ابن لعبون حياته وشعره، ص ٣.

✱✱✱✱

الفصل الثالث

الصراع بين ابن لعبون وابن زهير وخروجه من الزبير

تطرقنا تحت موضوع «ابن لعبون الوجه الآخر» إلى ما يتناقله ويتندر به العامة حول أسباب خروج أو هروب ابن لعبون من الزبير، ونتطرق هنا إلى الأسباب الحقيقية وراء اتخاذ ابن لعبون قراره بترك الزبير واتخاذ ابن زهير قراره بنفي ابن لعبون.

ابن لعبون وصراع السلطة:

عايش ابن لعبون مرارة الصراع والتنافس على السلطة في إمارة الزبير ووجدها أشد اضطرابًا من نجد، فالتنافس فيها على الرئاسة قائم على أشده بين آل ثاقب الوطبان يناصرهم السعدون، وآل زهير يناصرهم أهل حَرْمَة وحريملاء، فخاض ابن لعبون غمار هذا الصراع فأطلق العنان لشاعريته لنصرة أبناء عمه وجماعته، وتحمل تبعات ذلك من الحكام وممن شايعهم من الشعراء والعامة. ووقف ابن لعبون في وجه ابن زهير وحرض جماعته عليه ودفع مقابل ذلك أغلى ثمن وهو خروجه من الزبير.

تدهور الوضع في الزبير، بمقتل الشيخ ناصر بن راشد، وشتتت الفتنة الحلفاء وأبناء العم من أهل حرمة وحريملاء، وعايش ابن لعبون هذا الوضع المأساوي وهو في الكويت. ومن هناك بقي في صف جماعته من أهل حرمة

يناصرهم بلسانه متعرضاً بذلك لكل القوى التي تآمرت عليهم بمن فيهم شيخ الزبير والمتسلم العثماني للبصرة وشيوخ المنتفق. وقد أرخ ابن لعبون لأهم أحداث هذه المرحلة من تاريخ الزبير في قصيدة تعد من روائع شعره ومطلعها:

يا عـبـيـد من قـصت يمينه شـمـالـه

يشـوف فـعـلـه ذاك عـدل ولـو مـال

خسر أهل حرمة الصراع بخديعة عزيز آغا متسلم البصرة لهم، وقتله لزعيمهم جاسر بن سميط وتعذيبه لجماعتهم وفرضه عليهم غرامات، كما ونهبت دورهم وهاجر بعضهم إلى الكويت.

أسباب الصراع:

إنه صراع مرير بين ابن لعبون وشيخ الزبير علي بن زهير. لقد كان ابن لعبون عنيداً متصلباً في مواقفه السياسية، فلم يداهن أو يتملق أو يرضَ بالأمر الواقع، لذا فقد دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسية مرارًا، وأغلى ثمن لهذه المواقف خروجه من الزبير رغبة منه أو رغماً عنه.

إننا إذ نناقش هذا الموضوع نستشهد بما تعرضت له صورة ابن لعبون من تشويه وافتراء، وتقديم الدليل على مجانبة الصواب لما أشاعه الناس حول أسباب خروج ابن لعبون من الزبير.

إن ابن لعبون حقيقة لم «يُخرج أو «يُطرد» أو «يُنفى» أو «يهرب» من الزبير وإنما خرج بطوعه ورغبته وبالطريقة التي أرادها والوقت الذي اختاره. وهذه معلومة قد تكون جديدة على كثير من الناس وسنثبتها في مناقشتنا هذه.

إن وراء قرار ابن لعبون الخروج من الزبير أسبابًا عديدة، ووراء اتخاذ الشيخ علي بن زهير قراره بطرد ابن لعبون من الزبير أسباب عديدة أيضًا وكلاهما سعى لذلك. إنها لعبة الطرفين وسنرى من الرابح ومن الخاسر؟.

النقل الشفوي:

تعددت الروايات حول هذا الموضوع وسنذكر روايتين: الأولى سمعتها منذ صغري، وهي أن ابن لعبون ذهب لمعايدة علي باشا الزهير شيخ الزبير فأعطاه الشيخ عيدية وضعها في ردنه «كمه» وعند خروجه من مجلس الشيخ التقى بـ «طقاقة» «ضاربة دف» فصاحت به «الحذية يا ابن لعبون» فأجابها وبسرعة قائلاً «خذي ما طويل ... بأكرم مني» يقصد بذلك الشيخ علي، وأفرغ ما في ردنه في حجرها. ومازال العامة يتندرون بهذه الرواية ويجعلونها سبب «هروب» ابن لعبون من الزبير لأن ابن زهير غضب على ابن لعبون لتصرفه هذا فطلبه فهرب.

لعل هذه الرواية هي من أوهام النقل الشفوي، لأنها ليست السبب في خروج ابن لعبون من الزبير لوجود ما يدحضها من صريح الدلالة واستدلال الاستنباط، وهذا ما سنتطرق إليه في مناقشتنا هذه.

أما الرواية الثانية فذكرها الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري وهي: «إن ابن زهير كافأ ابن لعبون بدراهم عن قصيدة مدحه بها، فلما مرت به الدفافة فريجة قرعت الدف تغني له، فرمى المكافأة في دفها، وقال لا يكون ابن زهير أكرم مني.. أو لا يكون العبد أكرم مني. فطلبه ابن زهير لأجل ذلك فهرب». وهذه الرواية أيضًا من أوهام النقل الشفوي وكما قال أبو عبدالرحمن «لا صحة لها» لأنه لم يذكر أن ابن لعبون مدح ابن زهير بقصيدة.

ومع ما في الروايتين الشفويتين من تشابه واتفاق في المغزى، إلاّ أنني أوردتهما للاستدلال على عدم صحتهما كدليل لما استشهد بهما عليه، وهو سبب خروج ابن لعبون من الزبير. وهذا ما يجعلنا نقف عند معظم - إن لم يكن كل - مصادر النقل الشفوي ونجتهد في تمحيصها قبل الجزم بصحتها، أو اعتمادها.

والآن سننتقل للاستدلال بدليل من شعر ابن لعبون وما أثبته بعض الدارسين لشعره.

صريح الدلالة:

ويقول الأديب عبدالله بن خالد الحاتم في مقالة نشرها في مجلة «البيان» الكويتية [1] إن الشاعر عبدالله بن ربيعة أبلغ الشيخ علي بن زهير أن ابن لعبون نظم

قصيدة جديدة، ولاهتمام ابن زهير بما يقوله ابن لعبون من شعر فقد طلبه ليسمع منه، فحضر ابن لعبون وألقى قصيدته وهو على علم بفطنة وذكاء ابن زهير. ومطلع القصيدة هو:

يَـا خَـــــفِي الِّـلـطْفْ لِـطْـفَـكْ يَـا كـــــرِيمْ
تَـرْحَـمْ الِّـلـيْ الـيُـــومْ عَـــجَّـــزْ لاَ يـقُـــومْ

وذكر الحاتم أن ابن زهير عندما سمع القصيدة التفت إلى من حوله وقال عن ابن لعبون «إنه يحرك رأسًا نائمًا»، وأمر ابن لعبون بمغادرة الزبير وأعطاه مهلة ثلاثة أيام. وذكر الحاتم أن ابن لعبون قال «ولكني سأترك الزبير اليوم وفي هذه الساعة» وخرج ابن لعبون من الزبير في ساعته[٢].

بقي أن نقول إن الحاتم ذكر في كتابه «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» [٣] أن ابن لعبون قال هذه القصيدة يهجو جماعته أهل حَرْمَة ويمدح شيخ الزبير علي بن يوسف الزهير، وحقيقة الأمر أن ابن لعبون لم يهجُ جماعته، ففي هذه القصيدة مدح ابن لعبون ابن عمه واستغرق في ذلك معظمها، أما مدحه للشيخ علي فلم يرد في القصيدة مطلقاً، فالقصيدة ذم له بصورة غير مباشرة، وهذا ما استدركه الحاتم في مقال نشره في مجلة «البيان» بقوله «والذي يقرأ هذه القصيدة يظنها مدحًا للشيخ علي الزهير والحقيقة خلاف ذلك فابن لعبون مدح الشيخ علي الزهير على طريقة ابي الطيب المتنبي مع كافور»[٤].

قراءة في قصيدة: يا خفي اللطف: استدلال الاستنباط

تعد هذه القصيدة من أهم قصائد ابن لعبون لما تضمنته من معان وما ترتب عليها من نتائج تركت أبلغ الأثر في عطاءاته الشعرية ومنعطفًا في سيرته الذاتية. وتمثل هذه القصيدة جانبًا من بلاغة ابن لعبون ودليلاً على حكمته وفطنته وذكائه وأسلوبه في صياغتها لتحقيق أهدافه التي خطط لها في صراعه مع الشيخ علي بن زهير.

استهل ابن لعبون قصيدته بتضرع مؤثر إلى الله سبحانه وتعالى يستشف منه عجزه، ويسأله أن يلطف به وكأنه في ضائقة ويتوجس خيفة ويخشى مكروهًا:

يَـا خَـــــفِيْ الِّـلـطْفْ لِـطْـفَـكْ يَـا كـــــرِيمْ
تَـرْحَـمْ الِّـلـيْ الـيُـــومْ عَـــجَّـــزْ لاَ يـقُـــومْ

بدا قلق ابن لعبون أكثر وضوحا في الأبيات الثلاثة التالية:

مـــسْـــتَـــهَـــام لاَ يَنَامْ وَلاَ يِنِيمْ
مِنْ سِـــراهيـــدْ التَـــمَـــانِي والحُلومْ
مِـــغْـــرمٍ فِيْ وَادِيْ أحْـــبَـــابِهْ يِهِـــيمْ
يَسْـــــأَلْ اطْلاَل المنَازِلْ وَالرِّجـــــومْ
كِلِّمَـــا نَاحَتْ حَـــمَـــامَـــاتْ الصِّـــرِيمْ
فِيْ مَـــغَـــانِيْ مَيْ نَاوَحْت الهـــمَـــومْ

فهو مستهام لا ينام ولا ينيم بسبب سواهيد التماني والحلوم هائمًا في وادي أحبابه ويسأل أطلال المنازل والرجوم ويناوح الهموم. وفي البيتين التاليين إشارة إلى أن هنالك من يلومه وتزعجه علومه ويحذره ويهدده وينقل له العلوم:

وان كـــشـــفت غطاي والى ان الحـــرِيمْ
قَـــاعِـــدَاتٍ مِنْ صَـــبـــاحَ اللّه تِلومْ
قِلَتْ بِاسْـــــمكْ يَا إلـهْي يَا رَحِـــــيمْ
فَـــــالْ رَبِيِّ قَـــــبْلكمْ وَيْش العلُومْ

وفي الأبيات الأربعة التالية صريح الدعوة له (ابن لعبون) بترك «دار ذا العيش الرميم»، وفي كلمة ذا إشارة إلى الزبير التي غدا العيش فيه رميمًا والارتحال عن ماه والدعوة عليه «جعلك ما تقوم» فيه حث واستنهاض لهمته للمغادرة. لقد تعمد ابن لعبون ذكر اسمه صريحًا (يا محمد) حتى لا يُفهم ان الخطاب لغيره أو أنه قصد به غيره. ثم تعنيف له ليترك الديار التي دعا عليها بالخراب ليسكنها البوم، وأنه لابد له من نسيان أصحابه القدامى وحتى مي وهي من تعلق بها قلبه فإن وصالها لن يدوم:

قَـــالَوْا اترك دَارْ ذَا العَـــيْشْ الرمـــيمْ
وارْتَحلْ عَنْ مَـــاهْ جِـــعْلك مَـــا تِقُـــومْ
يَا مـــحـــمَّـــدْ سَـــبْـــعَـــةَ أعـــوامْ مِـــديمْ
بِالسِّـــفَـــاه وَسَـــبْـــعَـــةَ اعْـــوامٍ تُعُـــومْ

مـــا وَرَاْ مـــيـــر انْتْ يَا الميـــشُـــومْ شِـــيـمْ
عَـنْ دِيـار جـــــــعْلْ سَـــــــاكِـنْـهـنْ بُـومْ
وِانْسْ ذَاكَ الْوِلْـف وَالـعَـــهْـــد الـقَـــدِيمْ
وِاعْـــــرفْ إنْ وصَـــــالْ مَـيٍّ مَـــــا يـدُومْ

بعد هذه المقدمة التي رسم بها ابن لعبون واقعه وواقع الدار وأهلها في نظره توجه إلى الموضوع الثاني لقصيدته حيث مدح في ثمانية أبيات متتالية ابن عمه الشيخ ناصر بن راشد ونعته بالكريم ابن الكريم وبسطوته غشومًا إذا سطا. ويستغرق في مدحه لدرجة المبالغة ويستنهض همته بعبارات قويه جزلة المعنى:

وانْتْ مـــاَ أنِتبْ فِيْ وَلَدْ عَـــمّك غَـــشِـــيـمْ
قِـلْتْ يَـالـعَـــــذْرَا وَلَـدْ عَـــــمِّيْ عـــــزُومْ
لَوْ وَلَدْ عَـــمِيْ عَلىَ عُـــوق الخَـــصـــيـمْ
مَـــا لِقِـيـــتـــونِي مِـسَـــامْـــر للِّنجُـــومْ
إنْ عَـطَـا فُـــــــهُـــــوْ الـكِـرِيمْ ابن الـكِـرِيمْ
وِاِن سِطَاْ فُـــهُـــوْ الغَـــشُـــومْ ابْنَ الغَـــشُـــوم
مِلْـقحٍ بَـافْكَـارهْ الحْـــــرب الـعـــــقـــــيـمْ
وضـــعْـــهَـــا عِـــقْبْ الفَـــحَلْ غِلمَـــانْ تُومْ
يـــورِد الـــرَّايَـــاتْ فِـــي هـــول عَـــظِـــيـــمْ
خَـــافِـــقَـــاتٍ بِالنَّصـــرْ مِـــثْل الغُـــيـــومْ
يِحْـــتـــرِقْ فِي نَارْ حَـــرْبهْ كـــالـهَـــشِـــيـمْ
مِنْ يُـرومْ الـطْـايَـلاَتْ وْفِـــــيـــــــه زَومْ
ثَـابِتٍ لاَ زَالْ بَـالْـهـــيْـــجَـــا مِـــقِـــيـمْ
وَالسِّـــبَـــايَا طافِـــحَـــاتٍ بَـالقُـــرُومْ
لاجـــيـــات بـالحـــشـــا مـــثل الفطيم
مَـعْ تـخـــــارِيص الـبَـنَـايِج وَالكمُـــــومْ

ثم يلتفت ابن لعبون إلى من يلومه لمناصرته ابن عمه ناصر بن راشد فيكيل له الهجاء ويصفه بأنه «أفاك أثيم» وأن هدفه ومراده غير ما يريده ويسعى إليه ابن عمه ويدعو عليه بالرجوم لتهلكه وأنه كالقط يحكي انتفاخًا صولة الأسد وأنه سادر في نعيمه بعد أن ترك له ابن عمه الحبل على الغارب:

كَمْ عَـــــذَلْـني فِـــــيكْ أفَـــــاك أثِـيمْ
سَـــــامِـــــرِيٍّ مَـــــا يـرُومْ الَّـلـيْ تِـرُومْ
بِفْـــتِـــخِـــرْ حَـــاشَـــاكْ بَالعظْم الرّمِـــيمْ
مِـــفْـــخِـــرِ البَـــزُّوْنْ بَالسَّـــبْعَ القُـــصُـــومْ
يَـنْدبْ الـعلْـيَـــــــا وَبِـعْـلَـقْ فِـيْ تمِـيـمْ
اقـــعُـــدُوا لُـهْ بالذيْ فُـــوقـــهْ رْجُـــومْ
مِـــخْـــتلٍ بِوْصَـــالْ عَـــذْرَا فِيْ نـعِـــيـمْ
مِنْ وْجُـــــودك فِيْ غَـــــدانٍ فِيْ هـــدُومْ

وإن كانت أبيات المديح والاستنهاض التي ذكرها ابن لعبون لابن عمه تعني الكثير بالنسبة للشيخ علي بن زهير، إلاّ أن هذه الأبيات من الذم والهجاء لمن يلومه ربما قصد بها ابن زهير من طرف خفي وهذا بيت القصيد. ولم يكتف ابن لعبون بذلك، إذ عاد مرة ثانية يمدح ابن عمه ويؤلب ويهجو في بقية القصيدة:

وِانْتْ مِـــثْلَ الِّلـيْثْ بَالَّلـيْلْ البـــهـــيـمْ
عَـــسْكَرَكْ طِيـــر المنَايَا بَهْ تحُـــومْ
لَوْ رمِـــيْتْ بـهَـــا الذيْ لَك مِنْ خَـــصِـــيـمْ
مَـــا جَـــرَى شَطَّ العَـــربْ غِـــيـــرَ الدِّمُـــومْ
كِلْ عِـينٍ شُـــوفَـــهـــا صـــاغٍ سِلِـيمْ
مِنْ سِنَانَكْ يَـا عَلِـيْ فِـــيـــهَـــا هزُومْ
كِلِّمَـــا هـبَّتْ عَـلى ضِـــدهْ نِسِـــيـمْ
رَايحـــة علَىْ بِـهـــا صَـــارَتْ سَـــمُـــومْ
وَالجـــمـــالْ اللَّـيْ خـــذَّنكْ بَالـرِّزِيمْ
مِنْ كَـــوِيِّكْ فِي مِـــقَـــافِـــيـــهَـــا رِسُـــومْ

تَحْسبْ إنَّ الحُقْ بَالشيَّ القويمْ
وَالمَعالِيْ بَالتسَاكِرْ والرِّشُومْ
دُوْنَ حَقْ المِدِّعِيْ عَطْ الرِّزِيمْ
وَالمَعَالِيْ دُونَهَا قَطْعَ الخِشومْ

الاستنتاج:

من خلال قراءة سريعة لهذه القصيدة تظهر لنا أمور عدة منها:

١- عرض ابن لعبون في مطلع القصيدة إلى معاناته وأشار إلى أنه يتعرض لضغوط وربما تهديدات.

٢- بيّن ابن لعبون أنه قد قرر ترك الزبير فلم يعد فيها ما يستحق البقاء لأجله وحتى (مي) فإن وصالها لن يدوم.

٣- مدح ابن لعبون وأطرى واستنهض وحرض ابن عمه لدرجه لافتة للنظر وفي ذلك لمز في قناة ابن زهير وفي مجلسه وانتقاص من مكانته.

٤- هجا ابن لعبون وذم من يقف في وجهه ويلومه وربما قصد بذلك ومن باب خفي ابن زهير.

لقد نجح ابن لعبون في التعبير عما في نفسه وتحقيق هدفه بذكاء وفطنة بالنيل من ابن زهير واستثارته دون أن يترك دليلاً واضحًا يؤخذ عليه.

لقد تمكن ابن لعبون من إثارة ابن زهير وجعله يتخذ قرارًا بطرده من الزبير وهذا ما أراد. أما ابن زهير فقد وجد المبرر أمام مناصريه من جماعة ابن لعبون وقال عن ابن لعبون إنه «يحرك رأسًا نائمًا» وعليه اتخذ قرار الطرد للتخلص من ابن لعبون.

إذن، كلا الطرفين ،ابن لعبون وابن زهير، لعب لعبته ووصل إلى غايته.

لقد نجح ابن لعبون وبدهاء في «زج» ابن زهير لاتخاذ قرار الطرد، وبذا حقق ابن لعبون الآتي:

١- حصل ابن لعبون على المبرر أمام جماعته من أهل حرمة وحريملاء - مناصري ابن زهير ـ لهجاء ابن زهير.

٢- رفع ابن لعبون الحرج عن جماعته - وهو محسوب عليهم - لهجائه ابن زهير وهم مناصروه.

٣- تحقق لابن لعبون مغادرة الزبير بالطريقة التي أرادها ليكون خروجه حديث الناس- ضجة إعلامية.

٤- أخذت مغادرة ابن لعبون للزبير بعدًا سياسيًا.

٥- مكّن قرار ابن زهير طرد ابن لعبون من حصول الأخير على صفة «لاجئ سياسي» في الكويت، وبذا حصل على حريته لهجاء ابن زهير وبعيدًا عن سطوته.

خروج ابن لعبون برغبته وتخطيطه:

أما عن أسباب خروج ابن لعبون من الزبير فربما كان من أهمها سخطه على تسلط علي بن زهير واستيلائه على السلطة وتبرمه من حكم آل زهير. أما الشيخ ابن زهير فقد كان وراء قراره بطرد ابن لعبون أسباب عديده ذكر منها أبو عبدالرحمن بن عقيل الآتي:

١- كره ابن زهير لابن لعبون بسبب شخصي، وهو كره ابن لعبون لحكم ابن زهير من منطلق التعصب القبلي.

٢- هجاء ابن لعبون لابن زهير تلميحاً.

٣- تحريض ابن لعبون لابن راشد عندما كان أميراً بالاسم فحسب، والإمارة الحقيقية لابن زهير.

٤- تذرع ابن زهير أمام الآخرين بأن لهو ابن لعبون يسبب فسادًا اجتماعيًا في الزبير. (ويعلق أبو عبدالرحمن على هذه بقوله ولهذا لم يتمسك ببقائه أبناء عمه الأدنون وهم من أهل الحل والعقد من أمثال ابن ضاحي وابن راشد).

ونتوقف مع أبي عبدالرحمن عند تذرع ابن زهير الذي لم يذكر مصدره مع العلم بأن هذه المقولة لا يعتد بها لأكثر من سبب:

أولاً: لأنها صدرت (إن كانت قد صدرت) من غريم ابن لعبون ولا يؤخذ بها حجة عليه.

ثانيًا: أين أهل الزبير وعلماؤها ووجهاؤها من ما اتهم به ابن لعبون خلال السنوات الطويلة التي أمضاها بين ظهرانيهم؟.

ثالثًا: لِم لَم يظهر هذا الادعاء إلاّ من الشيخ ابن زهير ووقت قراره بطرد ابن لعبون؟.

ويذكر أبو عبدالرحمن من الأسباب التي دعت ابن لعبون للخروج ما يلي:-

١- أنفة ابن لعبون من حكم العبيد.

٢- سخط ابن لعبون وبرمه بالمجتمع الزبيري المحافظ وحرية أمثال ابن لعبون تضيق بمثل ذلك المجتمع. (ويعلق أبو عبدالرحمن على هذا السبب والذي قبله بقوله: وكلا الأمرين يكرههما ابن لعبون، ولكنهما ليسا سبب خروجه باختيار، فلو أُبقي لبقي ليعيش حياته الخاصة).

ولنا وقفة أخرى هنا نلخصها بالآتي:

إن ما جاء في قصيدة «يا خفي اللطف» تصريح واضح من ابن لعبون بعزمه على مغادرة الزبير، وعندما انتزع قرار الطرد(وكأنه يتمناه) ذهب مسرعاً إلى ابن ربيعة وقال له إن الشيخ أمهلني ثلاثة أيام ولكنني سأترك الزبير اليوم وفي هذه الساعة [٥] ، وما مغادرته للزبير في ساعته إلا خير دليل يفند مقولة: فلو أُبقي لبقي.

أما مقولة: ولهذا لم يتمسك ببقائه أبناء عمه الأدنون، فابن لعبون بمغادرته الزبير في ساعته، ما يشير إلى أنه أراد ذلك بل عزم عليه وقرره ونفذه حالاً دون تلكؤ ودون الاستفادة حتى من المهلة التي أعطيت له، وفي هذا ما يشير إلى أنه لم

يطلب من أبناء عمومته وجماعته أن يتمسكوا به، بل وربما لم يشعرهم بقراره بالخروج من الزبير، بل ربما لو علموا لتمسكوا به ولو أرادوا بقاءه لما بقي. لقد طفح الكيل بابن لعبون وخرج من الزبير ولو أبقي لما بقي.

بقي أن نقول إن مقولة أبو عبدالرحمن: «وشعر ابن لعبون في هجاء المجتمع الزبيري دليل على أنه يلقى من المجتمع المحافظ عناء ولهذا عمم وضخم المعايب وصب ظاهرة المحافظة في قالب النفاق» ليس لها أساس، فقصيدته المشهورة «ذا حس طار» صب فيها جام غضبه على ابن زهير ونقد معائب المجتمع وليس فضائله ومحاسن محافظته. وبنظرة متفحصة لهذه القصيدة يلمس المتمعن فيها دعوة إصلاحية لتقويم المجتمع ونبذ رديء التجاوزات، كما وأن ابن لعبون لم يعمم، إذ أراد طبقة وفئة خاصة من المجتمع الزبيري، وهم «مجتمع الخوندات»، وربما قصد بذلك مجتمع السلطة وقتذاك.

ردة فعل ابن لعبون:

خرج ابن لعبون من مجلس الشيخ علي ابن زهير فعرّج على نديمه وغريمه عبدالله بن ربيعة وأخبره بالخبر وطلب منه قربة ماء فارغة، سارا معاً إلى آبار الدريهمية وأثناء تزود ابن لعبون بالماء سمع صوت طار فقال لابن ربيعة «ذا حس طار» فرد عليه ابن ربيعة «أو ضميرك خفوقه؟»[٦] فجعلها ابن لعبون مطلع قصيدة صبّ فيها جام غضبه على شيخ الزبير وجماعته:

ذا حس طار أو ضميرك خفوقه
يدق به من نازح الفكر دقاق
الحي هو حيك وطيبه وفوقه
والدار هي دارك وهذيك الاسواق

رحم الله الشاعر ابن لعبون ورحم الله الشيخ علي بن زهير فقد اختلفا وتخاصما كثيراً وتسلط كلاهما على الآخر وضيّق كلاهما على الآخر، وفي النهاية كان مصيرهما واحداً، إنه الطاعون الذي لا يميز بين هذا وذاك.

متى خرج ابن لعبون من الزبير :

كان خروج ابن لعبون من الزبير حدثاً ترك أبلغ الأثر في حياته الخاصة وترك في المنطقة صدى ما زالت آثاره تتردد حتى وقتنا الحاضر. لقد أعطت الطريقة التي خرج بها ابن لعبون والظروف التي أحاطت بها وما نظمه ابن لعبون من قصائد قبل وبعد خروجه، أهمية كبيرة لهذا الموضوع. ولابد لدارس سيرة ابن لعبون وشعره أن يتساءل متى خرج ابن لعبون من الزبير؟.

إنه ومما يؤسف له أن أياً من المراجع التي بين أيدينا لم تحدد سنة خروجه من الزبير، ولكن هنالك من حاول تحديد ذلك. فقد ذكر الأديب عبدالله بن خالد الحاتم أن ابن لعبون وصل الكويت خلال الفترة مابين ١٢٣٥-١٢٤٠هـ[٧]. ونقول إن هذا غير صحيح لأنه من المعروف أن ابن لعبون خرج من الزبير إبان فترة تسلط علي بن زهير على مقاليد الأمور في الزبير بشكل غير مباشر ومباشر خلال الفترة مابين عام ١٢٤٢- ١٢٤٧هـ.

أما الأديب أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري[٨] فيحدد وقت خروج ابن لعبون من الزبير إبان سلطة علي بن يوسف بن زهير - وإن لم تكن الإمارة باسمه - عام ١٢٤٢هـ، أو وقت تأمره سنة ١٢٤٣هـ وذلك هو الأرجح واستشهد على ذلك بقول ابن لعبون:

يا عبيد خل اللي تشكل بسوقه
شيخ وهو عبد يذكر بالاعماق

نقول إن استنتاج الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل هو الأقرب إلى الصحة ولكن ترجيحه لخروج ابن لعبون وقت تأمر ابن زهير في عام ١٢٤٣هـ واستشهاده ببيت ابن لعبون المذكور أعلاه جاء في غير محله وذلك للأسباب التالية:

أولاً: القصيدة ألتي القاها ابن لعبون واستغضب بها ابن زهير وألتي مطلعها:

يَا خَفِيْ الّلطْفْ لِطْفكْ يَا كرِيمْ
ترْحَمْ الّليْ اليُومْ عَجّزْ لاَ يقُومْ

كانت قبل تأمُّر ابن زهير وكان الشيخ وقتها هو ناصر بن راشد وهذا ما يدل عليه سياق القصيدة ومخاطبة ابن لعبون له بقوله: ولد عمي.

ثانياً: خروج ابن لعبون من الزبير مباشرة بعد إلقاء القصيدة أي في زمن حكم الشيخ ناصر بن راشد.

ومنه نقول وبالله التوفيق أن خروج ابن لعبون من الزبير تحديداً كان في عام ١٢٤٢هـ أما الاستشهاد ببيت ابن لعبون:

يا عـــبـــيـــد خل اللي تشكل بســـوقـــه

شـــيخ وهو عـــبـــد يذكـــر بالأعـــمـــاق

فهو من قصيدته ذائعة الصيت التي مطلعها:

ذا حس طار أو ضـــمـــيـــرك خـــفـــوقـــه

يـدق بـه مـن نـازح الـفـكـر دقـــــــــاق

والتي بدأها وهو يستقي من آبار الدريهمية جنوب شرقي الزبير في طريقه إلى الخوير (المجدم) ليبحر إلى الكويت. والقصيدة بعث بها من الكويت وربما كان ذلك على الأرجح بعد تأمر ابن زهير في عام١٢٤٣هـ ومنه لا يستدل بهذا البيت على خروج ابن لعبون من الزبير، هذا والله أعلم.

بقي أن نقول إن ابن لعبون خرج من الزبير بعد أن ترك فيها حوالي عشرين عاماً هي زهرة شبابه (١٢٢٢ - ١٢٤٢هـ) وترك فيها أحلى ذكرياته ومن الكويت فاضت قريحته بأعذب شعره حنيناً وشوقاً إليها وإلى أيام شبابه ومرحه وإبداعاته.

****

الهـوامـش

(١) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ٢٧٧.

(٤) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

ورواية أبو عبدالرحمن بن عقيل تقول إن ابن ربيعة قال على سبيل المزاح: ذا حس طار. فأجابه ابن لعبون: أو ضميرك خفوقه.

(٧) عبدالله بن خالد الحاتم (أميرشعراء النبط محمد بن لعبون)، مجلة البيان، العدد٢، مايو ١٩٦٦م.

(٨) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (لماذا خرج ابن لعبون من الزبير؟ ومتى خرج؟)، صحيفة الجزيرة، ١٩٩٥/٩/٩م.

****

الفصل الرابع

ابن لعبون..... الوجه الآخر

أوهام النقل الشفهي ومغالطات الرواة:

إن الغرض من تطرقنا لهذا الموضوع وبصورة محايدة هو محاولة لجلاء صورة ابن لعبون مما علق بها من أوهام النقل الشفوي ومغالطات الرواة، لقد تعرضت سيرة ابن لعبون للكثير من المغالطات والتي استحسنها العامة وتندروا بها محبة وتظرفًا به أو كيدًا له، حتى غدت هذه المغالطات عند بعضهم حجة يستدل بها. كان ابن لعبون، كما تواترت الأخبار، حسن الطلعة، حسن الصوت، خفيف الظل، حسن المعشر، يحب الطرب والمرح والفكاهة، وربما كان هذا الجانب من شخصية ابن لعبون ما جعل خالد بن محمد الفرج يقول عنه: «وكان طبعه ميالاً إلى اللهو والبطالة»[1] وهذا ما غلب على رأي العامة فيه وتندرهم بغرامياته، وما ورد في شعره من غزل.

لقد طغى ما تناقله العامة وتندروا به من أوهام وأساطير حول ابن لعبون على حقائق تركها المؤرخون والأدباء عنه ومعلومات يمكن للقارئ المتفحص أن يستنبطها من شعره أو يستنتجها من قراءة تاريخ وأحداث المنطقة وقتذاك. إن ما أمكن معرفته من تناقض بين ما تناقلته الشفاه عن ابن لعبون وواقع حاله، يجعلنا نشكك في مصداقية معظم ما روي عنه من أخبار ونوادر.

لقد دفع ابن لعبون ثمن مواقفه السياسيه مرارًا، وأغلى ثمن لهذه المواقف خروجه من الزبير، وإذ نتطرق لهذا الموضوع في الفصل الرابع إنما أردنا

الاستشهاد به لما تعرضت له صورة ابن لعبون من تشويه وافتراء، وتمثل القصص والحكايات التي يتناقلها العامة على أنها السبب في هروب ابن لعبون من الزبير دليلاً على مجانبة الصواب في ما أشاعه الناس حول ابن لعبون من أساطير.

ومع ما في الروايتين الشفويتين – اللتين ذكرتهما في الفصل السابق – من تشابه واتفاق في المغزى أوردتهما للاستدلال على عدم صحتهما كدليل لما استشهد بهما عليه، وهو سبب خروج ابن لعبون من الزبير وهو ما تطرقنا له بالتفصيل تحت عنوان «خروج ابن لعبون من الزبير».

وهنا ندعو جميع المهتمين بشعر ابن لعبون وحياته أن يجتهدوا معنا لجلاء صورة ابن لعبون وإظهارها على حقيقتها أيًا كانت، بعيدًا عن مغالاة محبيه، أو تشويهات حاسديه، أو مغالطات الرواة.

ولا بد لنا هنا من وقفة. إن من كان في صفاته مثل ابن لعبون، وإن كان فيه شيء مما ذكر، لا يمكن أن يوصف بما وصفه به خالد بن محمد الفرج، أو حتى ما أشاعه العامة عنه، وتندروا به من قصص ابن لعبون ونوادره وغرامياته ومجالس أنسه وطربه.

إن استنتاجنا هذا مبني على عوامل عدة منها:

١- حسبه ونسبه وعلمه، ووجوده بين ظهراني عائلته من آل لعبون، وأبناء عمومتهم من آل مدلج مثل آل عون وآل عودة ولهم في نجد والزبير الرياسة والشرف، وجماعته من أهل حرمة مما يجعله يحسب ألف حساب لتصرفاته خصوصًا وأن عائلته وجماعته في صراع مع العوائل الأخرى، التي تبحث عن أية مثالب وهنات لتؤخذ ضد جماعته.

٢- مواقف ابن لعبون الرجولية للذب عن جماعته ومن ناله ضيم، جعلته في ذلك يستأسد ويدافع بكل شراسة وبأحدّ الألسنة.

٣- مواقف ابن لعبون وخصوصًا السياسية منها، جعلته يتميز بمبادئه وجهاده ودفاعه عنها، ويدخل في صراعات يعرف قبل غيره ما سيدفعه من ثمن بسببها.

٤- مناقضاته وهجاؤه لصديقه الشاعر ابن ربيعة لم تكن إلاّ بسبب اختلافهما سياسيًا، وما وقوفه بوجه حاكم الزبير أو آل ثاقب ومن شايعهم وخاصة أمراء المنتفق، وتعرضه لمتسلم البصرة العثماني، وغيرهم، وهجاؤه لهم إلاّ لاعتداده بنفسه وصلابة مواقفه ودفاعه عنها.

٥- غزارة علمه وسعة اطلاعه وحفظه للقرآن صغيرًا ونشأته في كنف أبيه العلامة الشيخ حمد بن لعبون.

٦- علاقات ابن لعبون المتميزة مع أكابر الناس من وجهاء وأدباء وأمراء في مختلف البلدان، في نجد والساحل ومشاركتهم مجالسهم ومراسلاته لهم.

حرب إعلامية:

لقد شاع وذاع صيت ابن لعبون وقويت حجته، ولابد أن يكون ذلك على حساب أقوام لا يرضيهم ذلك، فما كان لهم إلاّ محاربته بكل الوسائل حياً وبعد مماته، وإلاّ فأين دواوين شعره، فليس من المعقول أن من كان في مثل براعته بالخط ألاّ يترك مخطوطًا، إنها حرب إعلامية قامت بعد أن فشل خصوم ابن لعبون في الوقوف بوجهه، وكما تشابه ابن لعبون والمتنبي بلاغةً وشعرًا، تشابها أيضًا في تعرضهما لحرب إعلامية شرسة، وارجع إلى قصة اخراجه من الزبير كما يتناقلها ويتندر بها العامة وكما أوردها الأدباء تجد صدى ذلك.

أعذب الشعر أكذبه:

ولنعد إلى العرب ومقولتهم البليغة «أعذب الشعر أكذبه» ولعل من ذلك ما ذكر عن وصية ابن لعبون في دفن جثمانه، ومعروف أن ليس كل ما يقوله الشاعر

انعكاسًا لواقعه، فالشاعر قد يسمو به الخيال واللفتات الذهنية مما يجعله يسبح في عالمه الخاص وربما تشبب بفتاة أبدع في وصفها وهو لم يرها، وقد يخترع لقاءات لا وجود لها، وربما كان وصف هذه وتلك أبلغ من وصفها لو حدثت حقيقة. بقي أن نقول إنه مع تشبيب ابن لعبون بميّ وتغزله قد قال:

سلينا لا حلال ولا حرامـا
عليهن الطلاق بلا جوازي

وقال أيضًا:

والهواوي من هواهن محروم
غير وصل لا حلال ولا حرام

وقد تكلم الناس عن حبه ووصاله لها، فقال:

وقالوا نال منها ما تمنى
وانا ما نلت منها إلاّ الندامه

إنه ليس دفاعاً عن ابن لعبون عفا الله عنه ولكنها قراءات في سيرته واستنتاجات من شعره.

ما خفّ على الطار:

قبل حوالي ربع قرن كنت في زيارة للأديب الشاعر عبدالعزيز بن سعود البابطين في مكتبه بالكويت، فتذاكرنا ابن لعبون فذكر لي أنه في إحدى زيارات الشيخ أبي سليمان القاضي له في مكتبه، وكان شيخًا كبيرًا يتوكأ على عصاه استشهد ابن قاضي وهو يصعد الدرج ببيتٍ من الشعر يقطر عذوبة وخوفًا من الله، فسأله البابطين من قائل هذا البيت يا أبا سليمان؟ فقال ألا تعرفه، إنه خالك ابن لعبون، فاستغرب البابطين وقال له: ابن لعبون يقول مثل هذا الشعر؟ فأجاب ابن قاضي: ما عرفتم من شعر ابن لعبون إلا ما خف على الطار.

استوقفتني هذه القصة، وعددتها طرف الخيط الذي من خلاله سأعثر على جانب آخر لشعر ابن لعبون، فاجتهدت وقتها في البحث عن ابن قاضي والاجتماع

به لأستزيد منه عن ذلك الجانب لشعر ابن لعبون، ولكن لم يقدر لي ذلك، فهل هنالك من له علم بالوجه الآخر لابن لعبون؟.

ومما يعزز ما تطرقنا له حول ما نال صورة ابن لعبون من تشويه، وما علق أخباره من مغالطات، ما ذكرناه حول سبب خروجه من الزبير، لقد أوردنا القصة كما يتندر بها العامة، وكما أشار اليها الأديب الحاتم، وكما يمكن للقارئ أن يستنتجها من خلال قراءة سريعة لقصيدة ابن لعبون التي مطلعها: يا خفي اللطف لطفك ياكريم.

تعقيب:

وجدت في ما ذكرته في الطبعة الأولى من الكتاب تحت عنوان «ابن لعبون الوجه الآخر»[٢] وما نشرته في جريدة الجزيرة (ابن لعبون .. الوجه الآخر .. وصراعه مع ابن زهير)[٣] من اجتهادات لجلاء صورة ابن لعبون مما اعتراها من تشويه قبولاً واستحساناً من قبل كثير من الأدباء والفضلاء. وقد تفضل أستاذ الأدب العربي الدكتور محمد بن سعد بن حسين وأبدى وجهة نظر تتفق مع اجتهادي بهذا الصدد بقوله « واجتهد – المؤلف – في رد أقوال الذين وصفوا ابن لعبون بشيء من تساهل وشيء من إقبال على اللهو والطرب، بيد أن هؤلاء كانوا يجهلون تلك المفاهيم في عصر ابن لعبون العصر الذي كان يتسم بالمحافظة بوجه عام، هذه ناحية، والناحية الأخرى أن أخذ الشاعر بشعره مسألة فيها نظر»[٤].

****

الهــوامــش

(١) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد)، ج١، ص٨١.

(٢) عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون، أمير شعراء النبط مدخل لدراسة سيرته وشعره، الطبعة الأولى، دار ابن لعبون، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون، ابن لعبون .. الوجه الآخر .. صراعه مع ابن زهير ..، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٧ في ١٤١٦/٥/١١هـ الموافق ١٩٩٥/١٠/٥م.

(٤) محمد بن سعد بن حسين، .. أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٧٨ في ١٤١٧/١٢/٢١هـ.

✱✱✱✱

الفصل الخامس

ابن لعبــون العــاشـــق

عشقه:

إن قراءة سريعة في شعر ابن لعبون يتبين منها أنه شاعر ملك العشق فؤاده ولم ينل ممن أحب مراده وظل محروماً لآخر حياته، ومما يستنتج من شعره أيضاً أنه عاشق وفيّ لأول من تعلق بها قلبه وأن اسمها لم يختف من قصائده تصريحاً أو تلميحاً، ويكاد معظم شعر ابن لعبون يدور حول أول من تعلق بها قلبه، وإن تغزل بغيرها فإنه يذكرها.

ميّ ومن تكون؟:

غالباً ما يصون الشاعر من تعلق قلبه بحبها فينعتها بنعوت أو يكنيها بكنى إجلالاً لقدرها وحفظًا لسمعتها من أن ينالها أذى، ومن ذلك ذكر الحبيبة ووصفها بصفات مذكرة كقوله: المجمول، المزيون، كامل الأوصاف، الظبي، الغزال، الريم، الرشا، وغير ذلك.

عرف ابن لعبون الحب والعشق والغرام منذ صباه، وغدا حبه حديث الناس ومضرباً للأمثال، وكان حبه مصدر إلهام لقصائده غزلاً ووصفًا وشوقًا ومعاناة.

ردد ابن لعبون اسم مي كثيراً وفي معظم قصائده وتغنى به حتى كادت لا تخلو قصيدة من ذكرها. فمن هي ميّ؟.

ليس لدينا ما يعرِّفنا وبالتأكيد على شخصية ميّ، وهل هي امرأة تعلق بها قلب ابن لعبون فعلاً، وهذا اسمها الحقيقي، أم أنه اسم مستعار لها، أم هي شخصية وهمية من شخوص شعره.

لقد اختلطت أوراق ميّ عند معظم - إن لم يكن جميع - الدراسين لسيرة ابن لعبون وشعره. ولقد اجتهد بعضهم وساعدته المصادفة ليأتي بنظرية حول مي وعمل جهده لإثبات هذه النظرية من شعر ابن لعبون.

إن الإجابة على هذه التساؤلات تتطلب قراءات مستفيضة في شعر ابن لعبون ليستخرج من سياقه ومدلولاته ما يسلط الضوء على هذا الموضوع، وربما تكون هذه الإجابات مدخلاً لكثير من الاجتهادات والمناقشات في المستقبل قبل أن تتبلور الصورة حول مي وغيرها في حياة ابن لعبون.

سأفتتح باب هذه الإجابات بالاجتهادات التالية، وأقول وبالله التوفيق: إن ما أمكن قراءته من شعر ابن لعبون وما أمكن الاستنتاج منه يبين أن هنالك أكثر من واحدة في حياة ابن لعبون وإن ذكر ميّ على وجه الخصوص.

ما الاسم الحقيقي لميّ:

ما هو الاسم الحقيقي لمن تعلق بها قلب ابن لعبون؟ وما هو الاسم الحقيقي لميّ؟.

الإجابة على هذين السؤالين وباختصار: إنه ميّ.

هل هنالك أكثر من ميّ في شعر ابن لعبون:

الإجابة وباختصار: نعم.

مي وميَّات:

تشير الروايات الشفوية والاستنتاجات الشعرية لما قاله ابن لعبون أن مي هو الاسم الحقيقي لمن تعلق بها قلبه. فمن تكون مي ومن هن الأخريات؟.

١- مي المطيرية في ثادق:

إن قراءة متمعنة في قصيدة ابن لعبون الميمية المشهورة التي مطلعها:

هَـلِ الـدَارْ يَـاعَـــــــــــوّادْ إلاَ مَـنـازِلْ

سَـبـارِيتْ يا عَـوّادْ خِـفْـيَتْ رسُـومـهَـا

ففي هذه القصيدة ذكر ابن لعبون اسم ميّ سبع مرات. تسلط هذه القصيدة الضوء على الحب الأول لابن لعبون وفي بلدة ثادق التي ولد وترعرع فيها، ففي هذه القصيدة التي نظمها بعد خروجه من ثادق يبث لواعجه وشوقه لمحبوبته ويذكر اسمها صريحاً بعد أن يئس منها وأمن بطش أهلها بذكره اسمها. خرج من ثادق وقلبه فيها وما زال يذكر (ميّ) ويتذكر مرابعها ومنها قوله:

يلـوحْ السَّنَا فَـيـهَـا كـمـا لاَحْ زرُقَـهْ

عَلى خَـدّ مَي مِـنْ بَقـاَيَا وشُـومـهَـا

مَـــــرابِـيـعْ مَـيّ قَـــــبـلْ هَـذَا وَزَيـنَـبْ

وَهندٍ وَلَيْلـىَ فِي مَـجـارِي رُسُـومـهَـا

وقوله:

وَلا مَـي فَـــوق الـدّارْ يَسْلِـيكْ زَولَـهـــا

وَلاَ القَلبْ سَـالـيـهَـا وَنَاسِي هُمُـومـهَـا

ويذكر قدم حبه لمي فيقول:

فـيـا مي مـثلك دايم لي مـقـرب

ودوم بتـيـهك بالفـيـافي غنومـهـا

وَيَـا مَـي لِـى بِـكْ مِـنْ قـدِيمٍ مـوَدّهْ

ووَصْلٍ إلَى انْـحَلَّ الدِّلِى مَـنْ وَذُومـهَـا

لِي بِـكْ مَـقَـام قَـبـلْ هَـذا وَمَطلَبْ

فَـيَـا رَكِبٍ مَنْ فـوقْ عَلْكُومْ كُـومَـهـا

ويحدد منازل أهل مي وأنهم قطن على جو ثادق:

عِـلْـمِـي بِـهِـمْ قَــطْـنٍ عَــلَــىَ جــوْ ثَــادِقْ
سَــقــاهَا مــرنَّاتَ الْغَــوادِي رُكُــومــهَــا
مَــــــرَابيـع لـذَّاتِـي وَغَــــايَـاتْ مَـطلَـبِـي
وَمَـخْـصُـوصْ رَاحـاتِي بَهَـا عُـمـومَـهَـا
مَنَازِلُ مَيٍّ شَــعْــبَثَ البَينْ حــيَّــهَــا
وَهَبَّتْ ثَمَــانْ اسْنِينْ فِـيـهَـا حُـسُـومَـهَـا

والأمثلة على ذكره لميّ وعشقه لها وتمكنها من قلبه كثيرة منها قوله في قصيدة أخرى:

يـقــــولـون جــــور الحب يـا مـي هـين
وحــبك لجــا بي لاجي بالضــمــاير

تشير قصيدة ابن لعبون الميمية إلى أن مي هي بدوية، وأن عهده بأهلها قطن على جو ثادق وهو مورد ماء قرب بلدة ثادق، ويذهب الشيخ محمد بن غنام من أهل ثادق ومن المهتمين بسيرة ابن لعبون والحافظين لمعظم شعره عن ظهر قلب، أن مي هو الاسم الحقيقي لمحبوبة ابن لعبون وأنها هي التي تعلق بها قلبه قبل خروجه من ثادق وإنها بدوية مطيرية، ويؤكد بأن هذا ما تواتر لدى الناس. أحب الشاب الشاعر محمد بن لعبون مي وقت كان يسرح في ثادق وجوّها ويمرح.

ميَّات الأخريات:

لقد عشق ابن لعبون مي المطيرية وحمل حبها في قلبه ورسمها بين ناظريه واسمها على لسانه، وبعد أن خرج من ثادق أطلق اسمها على كل من عشقهن وتغزل بهن وقابلهن وخطرن على باله. لقد استعان ابن لعبون باسم ميّ كثيراً وكأنه يردد قول جميل بثينة:

أُحِبُ من الأسـمـاء مـا وافق اسـمـهـا
وأشــبــهــه أو كــان منه مُــدانيــا

وهل هنالك أكثر من ميّ في حياة ابن لعبون؟

الإجابة وباختصار: نعم.

تشير قصائد ابن لعبون أنه تغزل بأكثر من واحدة وفي أكثر من بلد، وأشار إلى مي ويقصد به غير مي المطيرية، وربما ذكر اسم مي في قصيدة واحدة أكثر من مرة وقصد به أكثر من مي، ومثال ذلك ما ورد في قصيدته الميمية:

إلىَ سِـــرْتهـــا مِنْ دَار مِـيٍّ وَغَـــرَّبتْ
ونَـابَاكْ مِنْ طُفّـــاحْ نَجْـــدٍ خُـــشُـــومـــهَـــا

إن المقصود بمي في البيت الأول إذا صحت رواية وغربت، هي مي الزبيرية (هيلة)، (أما إذا صح البيت برواية ابن غنام[١] إلى سرتها من دار مي وقربت ..) فهي مي المطيرية. وأما في هذين البيتين فهي مي المطيرية:

فـــيـــا مي مـــثلك دايم لي مـــقـــرب
ودوم بتـــيـــهك بالفـــيـــافي غنومـــهـــا
وَيَـا مَـي لِـي بِـكْ مِـنْ قـــــــدِيمٍ مَـــــــوَدّهْ
ووَصْلٍ إِلَى انْـحَلَّ الدِّلِى مـنْ وَذُومـــــهَـــا

مي وحساب الجُمَّل:

ذكر الأدباء عبدالله بن خالد الحاتم[٢]. وخالد بن محمد الفرج[٣] وتبعهم الأديب عبداللطيف بن سعود البابطين[٤] وكذا تبعتهم في كتابي الأول ومؤخراً قال الشيخ الظاهري[٥] والأديب العدساني[٦] قولهم باسم «مي» مطابق في مجموع أرقام حروفه الأبجدية مع أرقام حروف اسم صرح به في إحدى قصائده وهو هيلة. وعليه استنتجوا أن اسم ميّ هو الاسم المستعار لـ «هيلة» فكلاهما خمسون في حساب الجمَّل. وبناءً على هذا الاستنتاج ربط الناس بين ميّ وهيلة.

استعان الأدباء والمؤرخون العرب بحساب الجمَّل اعتمادًا على ترتيب حروف الهجاء وإعطاء كل حرف رقمًا حسب ترتيبه كالآتي:الأفراد أبجد هوز حطي: ا=١،

ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ =٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، العقود كلمن سعفص: ك = ٢٠، ل =٣٠، م=٤٠، ن= ٥٠، س=٦٠، ع=٧٠، ف =٨٠، ص =٩٠، المئات قرشت ثخذ ضظغ :ق=١٠٠، ر=٢٠٠، ش =٣٠٠، ت =٤٠٠، ث =٥٠٠،خ =٦٠٠، ذ=٧٠٠، ض =٨٠٠، ظ =٩٠٠،غ =١٠٠٠. ومنه يكون مجموع اسم هيله ٥٠ وكذا مجموع اسم مي.

ولي هنا وقفة واستدراك وأقول وبالله التوفيق: إن ابن لعبون عرف مي المطيرية في ثادق وتغزل بها قبل وصوله الزبير ومعرفته بهيلة الزبيرية، وما اتفاق حساب جمَّل مي المطيرية وهيلة الزبيرية إلا من باب المصادفة ليس إلا، ولم نجد في شعر ابن لعبون ما يشير إلى أنه استعان برموز حساب الجمَّل أو الريحاني أو الدرسعي.

ومن جهة أخرى ما علاقة مي الزبيرية (هيلة) بنجد وكيف يكون أهلها قطن على جو ثادق؟، وما علاقة مي الزبيرية (هيلة) بجال الرفاع في البحرين؟، وما علاقة مي الزبيرية (هيلة) بمن ماتت في الحجاز. إن هنالك أكثر من مي وهل كلهن هيلة؟.

لقد وصل ابن لعبون الزبير وعشق إحداهن ورحل وذهب الى الكويت وقابل إحداهن، ورحل وذهب إلى البحرين وتغنى بإحداهن ورحل، وكلهن أسماهن مي: مي ديرة ابن عوام ومي السيف ومي الرفاع كلهن «ولأجل عيونها» أسماهن مي وكأني بهن لو عرفن هذا لما رضين أن يتغزل بهن باسمها.

مي الزبيرية:

وصل ابن لعبون الزبير وقلبه معلق بمي في ثادق، وما لبث أن تعلق قلبه بأخرى ربما رأى فيها ما في مي من صفات أو طباع فأسماها (تيمناً) «مي»، وظل ابن لعبون يتغزل بهيلة ما بقي له أمل بوصالها والزواج بها، فقد ذكر أنها كانت حليلة لأحد مشائخ المنتفق، وبعد وفاته خطبها ابن لعبون فرفض أهلها تزويجها له [٧]، وهذه عادة العرب منذ قديم الزمن لا يزوجون نساءهم من يتغزل بهن.

يذكر خالد بن محمد الفرج أن هيلة تزوجت من أحد أمراء العرب المتغلبين على بلد ديلم في إيران[٨]، وعندها طفح الكيل بابن لعبون ويئس منها بث لواعجه في

قصيدة مؤثرة، اختلطت فيها أبيات اللوعة لزواجها والهجاء لزوجها والدعاء على بلدته ديلم بالنيازك تدكها، واختتم القصيدة بتصريح ابن لعبون باسم حبيبته بقوله:

والله لولا الحيا واللوم

لاصيح واقول ياهيله

أما الأديب عبداللطيف بن سعود البابطين فيذكر أن هيلة هذه هي هيلة الموسى،[٩] وأنها تزوجت «ماجد الهندي» المشهور في الزبير، وقيل أيضاً إن هيلة هي هيلة بنت بداح[١٠].

مي البحرينية:

خرج ابن لعبون من الكويت ويبدو أنه قد عزم على عدم الرجوع إليها، واتجه الى البحرين علّه يجد فيها بغيته ويستقر فيها. وجد ابن لعبون في البحرين استقبالاً ولنفسه لها قبولاً وأمضى فيها وقتاً ممتعاً، ولكن انتهت إقامته فيها نهاية غير متوقعة بالنسبة له طبقاً لما توافر لدينا من معلومات غير مؤكدة. ومما تبين لنا أن ابن لعبون ربما وقع في غرام إحدى «بنات الشيوخ» وما كان لحب مثل حب ابن لعبون أن يُكتم أو يخُفى، فأخذ يتغزل بها، مرة بالمهرة الصنيع ومرة أخرى أسماها «مي»، وقيل إنه خطبها ولكن رفض أهلها وبعد تغنيه بها وافتضاح أمره وتغني الناس بقصائده وفنونه، فتوعده أهلها مما اضطره للهرب والعودة إلى الكويت.

لقد ألهمت مي البحرينية ابن لعبون إلهاماً لم تلهمه أية مي أخرى، ففي مي هذه قال وأبدع وابتكر فنوناً وبحوراً لم تبتكر من قبل. إن رائعة ابن لعبون «يا علي صيح بالصوت الرفيع»، هي المفتاح لهذا الحب ومعرفة مي البحرينية، وخاصة هذا البيت:

قل لها المهره الصفرا الصنيع

سنها عندكم وقم الرباع

وقوله:

وجد عيني على ظبي تليع

عندكم كن في خده شماع

مي الكويتية:

من خلال دراسة سيرة ابن لعبون ودراسة شعره يتبين لنا أن ابن لعبون صادق في عشقه وفي لمن عشق شريف المقصد، فقد ورد أنه خطب هيلة (مي الزبيرية) وما غضبه لزواجها إلا لأنه يريدها زوجة لا عشيقة، وخطب مي البحرينية. وعندما عاد إلى الكويت في أواخر حياته وجد مبتغاه، وجد مي الكويتية. مي التي قيل إنه أحبها وأحبته، مي التي تزوجها وختم بها حياة العزوبية الطويلة، إذا صدقت هذه الرواية فإن مي هذه هي ابنة خاله[١١].

ولكن من تلك التي رثاها ابن لعبون؟:

كما اختلفت الروايات في كنه مي، اختلفت الروايات في من رثاها ابن لعبون.

يذهب الشيخ ابن غنام[١٢] في حديثه عن ميّ وابن لعبون ليروي وبلغة الواثق أن التي ماتت بالحج ورثاها ابن لعبون في قصيدته التي مطلعها:

سقا صوب الحيا مزن تهاما
على قبر بتلعات الحجازي

هي من تعلق بها قلبه وهي ميّ المطيرية رحمهما الله.

شاهة الدوسرية:

إنها معلومة أخرى فقد ذكر لي أحد الأفاضل - لا يرغب في ذكر اسمه - أن من تعلق بها قلب ابن لعبون حقيقة قد عرف اسمها بعد وفاتها في طريق الحج وهي التي رثاها في مرثيته الوحيدة «سقا صوب الحيا مزن تهاما» وإن اسمها شاهة الحسن.

إن ما يعزز هذه المعلومة بل ويفسر سبب وقوف ابن لعبون بجانب ابن حسن ودفاعه عنه وعن قبيلته الدواسر بقوله «حنا هل الوادي وحنا المناعير» وربما كان ذلك «لأجل عيون» شاهة الدوسرية والتي ربما قصدها بالزايدية بقوله:

على السديره حمام ناح
والورق بالصوت مقزيني

يرفع بصـــوت الهـــوا فـــضـــاح
يـــالـــزايـــدي لا تـــخـــلـــيـــنـــي

ندمه لتعرضه لمحبوبته:

ربما ندم ابن لعبون لتصريحه باسم محبوبته مي المطيرية وتعرضه لها وهذا ما قد يستدل عليه من بيت ورد في مرثيته لها بقوله:

وليـــتـــي مـــا حكيت ابـهـــا ويامـــا
بـكـيـت الـهـــــا وفـي قـلـبـي حـــــزازِ

وفاؤه لميّ:

ظل ابن لعبون وفياً لذكرى مي ، أيا كانت مي وخاصة مي المطيرية ومي الزبيرية، يردد اسمها ويذكر أن حبّه لها قديم، حيث يقول:

فـــيـــا ميّ لي بك من قـــديم مـــوده
ووصل إلى انحلت جـــمـــيـع المراير

ولا صفاء لعيشه بعد ميّ ولا بديل لها عنده:

فـيـا ميّ صـفـو العـيش مـا طاب عـقـبكم
وقلب ســلا مـــا اعـــتـــاض عنكم بالابدال

وفاء ما بعده وفـــاء:

قـــالوا بداله حط لك ! قلت شـــاحط؟
إن فـــاتني فـــوصـــال غـــيـــره بلاشي

ويعاهد ميّ في رباعية رائعة ويقول:

فـــيـــهم فـــشت بين العـــوالم عـــلامي
واخـــفت عـــلامـــات المتـــركى عـــلامي
قـــالوا عـــلامك قلت انا لي على مي
عـــهـــد بمن نجى ليـــونس من الحـــوت

مـــا اتبع هوى غـــيـــره زريف ولا أرضى
يا طا لما داســـه حـــبـــيـــبي ولا ارضى
لا بـالـزعـل نـخـلـف هـواهـا ولا ارضـى
مـــــا بـارح الـلاهوت يـوم بـنـاســـــوت

وحتى بعد وفاته ودفنه يبقى حبُّ ميّ في قلبه، ولأن أهلها ينزلون شرقي الزبير فإن جثمانه يتوجه نحوها تلقائيًا:

فلو يممـــوني بأســـفل اللحـــد قِـــبلَهْ
جـــــوني لـقـــــوني يمّة الشـــــرق داير

وفي هذا البيت التفاتة ذهنية لم يسبق ابن لعبون لها شاعر قبله وتصوير رائع ومعنى بليغ.

بقي أن نقول إنه وإن كان ابن لعبون قد تغزّل بغير ميّ في أبيات قليلة، إلا أن قريحته لم تفض شوقًا ولوعة كذكره (مي)، وحتى عند تغزله بغيرها يذكرها، ومن ذلك مناجاته لسلمى حيث يقول:

إلى عـاد صـبـحك مـسـتـحـيل ومظلم
فـــانا قـــول يا سلمى هوى ميّ اولى لي

حب ابن لعبون قتله؟!

يرى الأستاذ محمد بن سعد بن حسين أنه ليس بمستبعد «أن يكون هذا الحب قد أسهم في إثخانه بمرض أودى بحياته رحمه الله وهو في الثانية والأربعين من العمر وما أكثر أولئك الذين أوهن الحب قواهم الجسمية والعقلية وخاصة أولئك الذين استسلموا للهم»[١٣]. أما الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري فله رأي مشابه في عشق ابن لعبون بقوله «وظهر في شعره الغزلي أكثر من واحدة، ولكن عشقه كان مقصوراً على ميّ من أجل الحرمان، لأنه لم يتح له مواصلتها، ولأن كثرة هيامه بها في شعره دليل الحرمان. ولهذا فهو من جهة مي عاشق لم يصل إلى حد الاصطلام، أو فقد إحدى القدرتين البدنية أو العقلية» [١٤]..

ابن لعبون وميّ مضرباً للمثل:

كما ارتبط اسم عدد من الشعراء باسم من أحبوا، كعنترة بعبلة وكثّير بعزة وجميل ببثينة وقيس بليلى وغيرهم، وكذا اقترن اسم مي باسم ابن لعبون وبقي ملاصقاً له متى ما ذكر ذكرت معه والعكس صحيح.

غدا عشق ابن لعبون مضرباً للمثل وارتبط اسم ابن لعبون بميّ وردد ذلك الكثير من الشعراء، ويقترن اسم ابن لعبون (ابن مدلج) بأمثاله من شعراء النبط الذين أحبوا ولم ينالوا ما تمنوا، ويصوغ الشاعر عبدالله بن محمد الفرج [١٥] ذلك بقوله:

أهوى غـــزال لو بحلّيـــه مـــا أحـــسن
لا ميّ ابن مـــدلج ولا قـــوت مـــحـــسن(*)
آه اللـي يـنـعـش الـروح مـــــحـــــسن
في مـــا مـــضى واليـــوم وين انتـــعـــاشي

ويقول الشاعر سليم بن عبدالحي[١٦]:

وين مـــحـــسن وين عـــبـــدالله الفـــرج
وين ابن لـعـــبـــون بـيطار المثـــيل(**)
شـــوف وش ســـوّا لـهم غض الشـــبـــاب
كل مـنـهـم مـــــات مـــــغـلـول عـلـيـل

ويعرج الشاعر إبراهيم بن محمد الخليفة على ابن لعبون (ابن مدلج) ويقرن اسمه بالهوى فيقول[١٧]:

من مـــغـــرم في عـــرصـــة الشـــوق مـــحـــتـــار
إلى ســـــراج وتـاج لـلاحـــــرار والحـــــور
عليك يا مـــحـيّ الـهـــوى بعـــد مـــا صـــار
في اللـحـد ابن مـدلـج على الجـسـر مـقـبـور

(*) ابن مدلج: محمد بن لعبون. محسن: محسن الهزاني.

(**) بيطار الخبير بالشيء والعالم به وعند شعراء النبط هو الشاعر المتمكن في قرض الشعر.

وبقي ذكر ابن لعبون مرتبطًا بمي حتى بعد أكثر من مائة وسبعين عاما على وفاته رحمه الله، فما زال الشعراء لا يذكرون ابن لعبون إلا ومي تذكر معه، فها هو الشاعر المعاصر عبدالعزيز بن سعود البابطين[١٨] يتوجع لأنين خاله (الشاعر ابن لعبون) لفراق ميّ فيقول:

ولـهـــــيـبٌ في حـــــريـقٍ جـــــمـــــرُهُ
أحـــرق المحـــسنَ في عـــشق الحَـــسِنْ
وأنـينُ الخـــــال قـــــد أوجَـــــعَـــــهُ
بُـعـــــد ميّ بـين طلـحـــــة والحَـــــسَنْ

أما الشاعر المعاصر ميسر الشمري[١٩] فيقول:

ويا انتي دخـــيلك مـــا بقى غـــيـــرها فيّ
شـــمس تظلل مـــدمع الشـــعـــر لاجـــات
إن قلت ابن لعـــبـــون تســـتـــحـــضـــرن ميّ
وان قلت يا عنتـــر غـــدت عـــبله اصـــوات
وتـأكـــــدي مـــــا بـالـزمن شـــــاعـــــر حيّ
أمـــوات نكتب بـالدجى ســـيـــرة أمـــوات

عفته وعفتها:

ملكت هيلة قلب ابن لعبون وتمكنت منه لدرجة ربما أنسته مي المطيرية، وراح يطارد هيلة في مرابعها وبين أخبيتها ويرسل من يثق به ليتحسس له أخبارها وطواريها، وراح يرقب وعن كثب رحيلها ربيعاً وراء الكلأ وعودتها صيفاً إلى الزبير. عاشت هيلة في مخيلته وشعراً على لسانه وفوق قراطيسه وتكلم الناس عنه وعنها وكثر لغطهم وقالوا عنهما ما قالوا، وما كان ذلك ليرضي ابن لعبون بل كان يخشاه ويخشى عواقبه على مي أولاً وعليه ثانياً، لذا نراه بين الفينة والفينة ينبري للدفاع عنها وينفي التهمة عن نفسه، ويلوذ بالصمت وعدم النظم أحياناً.

غاية عشقه:

تشير سيرة ابن لعبون وشعره إلى أن عشقه لهيلة (مي الزبيرية) وتغزله بها لم يكن لمجرد العشق والغزل استمتاعاً وتسلية، بل كان صادق المشاعر نبيل القصد وغايته الزواج بها وإلا لما خطبها، ولما ثارت ثائرته عندما تزوجت الديلمي.

بقي أن نقول وإن كان قد غلب على شعر ابن لعبون عذرية واضحة وهو يناجي هيلة، إلا أن ذلك الشعر لم يخل من أوصاف حسية ورغبات جنسية.

أصل هيلة:

نعود مرة ثانية إلى هيلة، فقد أثار تغزل ابن لعبون بهيلة (مي الزبيرية) ووصفه لها ومغامراته (الشعرية) معها الكثير من الشكوك حولها وسلوكياتها وأصلها، وآخر من تطرق لهذا الموضوع الأديب عبدالرزاق محمد العدساني الذي ذكر في أكثر من موضع في كتابه «شاعر الأطلال محمد بن لعبون» تساؤلات واجتهادات حول أصل هيلة منها قوله إنها إما ان تكون من القبائل التي لا أصل لها، أو تكون غير عربية سكنت هذه المنطقة [٢٠] وفي تقديمه للكتاب حدد الأستاذ فيصل السعد [٢١] أصل هيلة بأنها من معدان العراق ولم يذكر ما يعزز قوله هذا. إنه ومن خلال قراءة سريعة في شعر ابن لعبون وما وصفه من طبيعة حياتها وحياة أهلها أنها عربية كريمة الأصول ومن قبيلة معروفة ومما يدل على ذلك:

(١) وصف ابن لعبون لمساكن أهلها وانتجاع أهلها وظعنهم وراء الكلأ وفي هذا أكبر دليل على أنهم عرب، فالمعدان وهم سكان الأهوار لا يشدون ولا يسكنون الخيام ولا يسكنون المويلحات.

(٢) زواجها من أحد مشايخ المنتفق والذي وصفه ابن لعبون بأكرم الصفات لأكبر دليل على حسبها وعراقة أصلها.

(٣) رفض أهلها تزويجها لابن لعبون بعد زوجها الأول لدليل على تمسكهم بعادات القبائل العربية ومنها عدم تزويج بناتهم بمن يعرض (يتغزل) بهن ولو لم يكونوا كذلك لفرحوا بعربي مثل ابن لعبون ليزوجوه ابنتهم الأرملة .

(٤) تقدم ابن لعبون لخطبتها لدليل على علو نسبها وإلا لما خطبها وهو ذو الحسب والنسب والذي يحسب ألف حساب لأسرته وقبيلته والشعراء والشامتين.

أظن أن هذه أدلة كافية لتسليط الضوء على كريم أصل هيلة رحمها الله. أما زوجها الثاني فمما لا شك فيه أنه عربي كريم الأصل. ومن قال غير ذلك فقد أخطأ. وما سكناه في ديلم في أطراف بلاد فارس لينفي عروبته، وما هجاء ابن لعبون له ليقلل من شأنه، فما قول ابن لعبون إلا غيرة عاشق شاعر أُخذت معشوقته من بين يديه وهو يتفرج، فما كان له سوى لسانه ليطلقه هجاءً مراً للزوج ودعاءً على بلدته. وحتى ابن لعبون في هجائه لم يقدح في نسب الزوج الديلمي، وإنما عاب عليه أنه «يجيب كيله بمنديله» إما عن قلة أو من بخل وقد لا تكون هذه فيه وعاب رطانة مجتمعه في بلد العجم وهذه ليست معيبة له.

ورب سائل يسأل لماذا هجا ابن لعبون الزوج الثاني لهيلة (الديلمي) ولم يهجُ الزوج الأول (المنتفقي)؟. ربما كان وراء مكان إقامة كلا الزوجين سبب في ذلك، فالمنتفقي قريب من ابن لعبون، وعند تحرش ابن لعبون به فإنه سيطاله ويحاسبه، بينما الديلمي بعيد لذا خلا الجو لابن لعبون لهجائه.

✱✱✱✱

الهـوامـش

(١) محمد بن غنام، مقابلة شخصية، الرياض ١٤١٨هـ.

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ٢٥٦.

(٣) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد)، ج١، ص ٨٠- ٨٢.

(٤) عبداللطيف بن سعود البابطين (طرائف الكلام في شعر العوام) الطبعة ١، ص ٢٥.

(٥) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (ابن لعبون ومي والغزل المبكر)، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠١٨.

(٦) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون) ، ص٤٢

(٧) خالد بن محمد الفرج، ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد، ج١، ص١٤٤.

(٨) ديلم هي البلدة المعروفة اليوم باسم بندر خميني، وكانت ديلم وقتئذٍ يحكمها عرب من قبيلة الخليفات وأكثر سكانها عرب (خالد بن محمد الفرج، ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد، ج١، ص ١٤٤).

(٩) عبداللطيف بن سعود البابطين (طرائف الكلام في شعر العوام)، ط١، ص ٢٥.

(١٠) نقلاً عن الوالدة وضحى بنت عثمان بن إبراهيم بن عبدالمحسن التويجري أطال الله عمرها.

(١١) محمد أحمد الثميري وعيد الضويحي (الفنون الشعبية في الجزيرة العربية)، ص١٥٥.

(١٢) محمد بن غنام، مقابلة شخصية، الرياض ١٤١٨هـ.

(١٣) محمد بن سعد بن حسين، أمير شعراء النبط محمد بن لعبون، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٧٨، تاريخ ١٤١٧/١٢/٢١هـ.

(١٤) أبو عبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري، إخراج ابن لعبون من الركام، صحيفة الجزيرة، تاريخ ١٤١٦/٣/٣٠هـ.

(١٥) خالد بن محمد الفرج (ديوان عبدالله الفرج)، ص٨٧.

(١٦) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ١٤٤.

(١٧) مكي محمد سرحان (الشاعر إبراهيم بن محمد الخليفة)، ص٨٢-٨٤.

(١٨) عبدالعزيز بن سعود البابطين،(ديوان بوح البوادي) ص ٥٥.

(١٩) ميسر الشمري (مجلة المختلف)، العدد ٣٩، أكتوبر ١٩٩٤م ص ٧٦.

(٢٠) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون)، ص ٨٢، ٨٣.

(٢١) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن لعبون)، ص ١١.

✱✱✱✱

الفصل السادس

رأي الشعراء والأدباء في ابن لعبون

ذاع صيت الشاعر ابن لعبون وانتشر في نجد والخليج والعراق، حتى فاق ذكر أبيه العلاّمة والمؤرخ والنسابة الشيخ حمد بن محمد بن لعبون الذي صنّف العديد من المخطوطات منها تاريخ نجد المعروف اليوم باسم «تاريخ ابن لعبون». وهو من أهم مصادر التاريخ والأنساب في نجد. وقد بـــذّ الشاعر ابن لعبون أقرانه من شعراء النبط حتى تسابق وتفنن – من كتب عنه أو روى له – في تقليده ما استحقه من ألقاب تليق بما ارتقى إليه شأنه في مجال الشعر.

بعد ابن لعبون لا يلعبون:

قارن أحد فحول شعراء الأحساء الشاعر محمد بن لعبون بغيره من الشعراء فقال مقولة غدت مثلاً يقال وهي: «غير ابن لعبون كلهم يلعبون»[١] أو «بعد ابن لعبون لا يلعبون»[٢] بمعنى بعد ابن لعبون لا يقرض الشعراء الشعر، وذكر لي الأديب خالد سعود الزيد أن الذي قال هذه المقولة والتي غدت مثلاً سار على ألسنة الناس هو الشاعر عبدالله الفرج[٣] .

وعند ترجمته للشاعر ابن لعبون يستشهد صاحب الموسوعة النبطية الكاملة الشاعر طلال بن عثمان السعيد[٤] بقوله: «توّجه النقاد أميراً لشعراء النبط حتى قيل «بعد ابن لعبون لا يلعبون» أي لا يقرضون الشعر بعده. فقد كان شاعراً كبيراً متمكناً قوي العبارة متميزاً بشعره ..».

بيطار المثيل:

يقارن الشاعر النبطي المعروف سليم ابن عبدالحي[٥] بين ابن لعبون وفحول شعراء النبط ويميزه عنهم بأنه بيطار المثيل أي خبير الشعر بقوله:

وين محسن وين عبدالله الفرج
وين ابن لعبون بيطار المثيل
شوف وش سوّا لهم غض الشباب
كل منهم مات مغلول عليل

متنبي شعر النبط:

كتب الشاعر والأديب خالد بن محمد الفرج مقالة عن الشاعر ابن لعبون عنوانها «ابن لعبون متنبي شعر النبط»[٦] جاء فيها «محمد بن حمد بن لعبون آل مدلج الوايلي متنبي الشعر النبطي، وقد تبوأ في النفوس مركزاً لا يطمع فيه شاعر سواه، وابن لعبون يخاطب الناس بما يحسون به في شؤون حياتهم، يوحي بها بلا تكلف ولا إجهاد وكأن شعره مرآة مصقولة يرى كل إنسان نفسه».

«هو كالمتنبي في متانة شعره وجريانه على الألسنة مجرى الأمثال، وهو بعد كعمر بن أبي ربيعة في غزلياته»[٧].

شاعر نجد والساحل:

بجانب وصف خالد بن محمد الفرج للشاعر ابن لعبون بأنه متنبي النبط وصفه أيضاً بقوله[٨]: «وابن لعبون الشاعر الوحيد الذي أجمع على تفضيله أهل نجد وأهل الساحل وأطراف العراق على ما بين أذواقهم في الشعر من تفاوت بعيد قل أن يجمعوا فيه على استجادة شاعر واحد، وما ذلك إلا لأنه مزج صلابة الشعر النجدي برقة الشعر العراقي والساحلي».

أمير شعراء النبط:

أما عبدالله خالد الحاتم صاحب «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» فقد أضفى على «ابن لعبون» لقبًا استحقه بجدارة وهو «أمير شعراء النبط» فجعل بذلك منزلة

ابن لعبون في شعر النبط ما أنزل بعضهم شوقي من منزلة في الشعر الفصيح، ويبرر ابن حاتم رأيه هذا بقوله «والشاعر محمد بن لعبون بين شعراء النبط كالسنام من الجمل أو كالقمة من الجبل»[٩]، وبمقارنة ابن لعبون بالشعراء الآخرين يقول ابن حاتم «ولكن ابن لعبون يختلف عنهم في الجودة ودقة الوصف في معظم أشعاره إلى جانب إجادته التامة في كل ميادين الشعر في المديح والهجاء والغزل والشكوى وغير ذلك، مما يندر اجتماع مثل هذه الصفات في شاعر واحد، هذا بالإضافة إلى إقبال الناس الشديد واهتمامهم بأشعاره في زمانهم وبعده، حتى يومنا هذا».

وافق عبدالله الحاتم عدد من الأدباء والشعراء في وصف ابن لعبون بأمير شعراء النبط، ومن أولئك الشاعر طلال السعيد صاحب «الموسوعة النبطية الكاملة»[١٠] والشاعر مسعود بن سند بن سيحان صاحب «التحفة الرشيدية»[١١] والفريق يحيى المعلمي[١٢] وغيرهم.

شاعر الهوى والشباب:

يبدي الأديب عبداللطيف بن سعود البابطين صاحب «طرائف الكلام في شعر العوام»[١٣] رأيه في ابن لعبون بقوله: «كان ولعه بالشعر النبطي والأدب الشعبي سببًا في نبوغه وبروزه في هذا الميدان، حتى أصبح شاعر الهوى والشباب يسيل شعره رقة وعذوبة، وسلاسة وملاحة، وقد أبدع في الناحية الغزلية وأمتع، وأصبح زعيم هذا الاتجاه وحامل رايته».

أعلى مرتبة:

يلخص الأديب محمد بن حسين[١٤] رأي الأديب الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد في ابن لعبون فيقول: «لقد وصفه بالإجادة، والإحكام، وحسن الأسلوب، ورقة الألفاظ، وإشراق الديباجة، وأن ديباجة شعره أشبه بديباجة شعر عمر بن أبي ربيعة. ووصفه أيضاً بالسبق في كثير من الصور البيانية وأنه مبتكر. ومما ذكره أنه مكثر وأن له من الشعر ما ملأ مجلدات، وأن فرائد أمثاله وخرائد حكمه قد ملأت أسماع الناس، وما زالوا يتمثلون بها».

ويستطرد في وصف ابن لعبون بقوله: «والواقع أن هذا الشاعر، يذكرك حين تقرأ له بفحول شعراء العرب السابقين أمثال جرير، وعمر بن أبي ربيعة، وطرفة بن العبد وأمثالهم، فأينما يممت في شعره وجدت اللفظ الجزل، والمعنى الفخم، والتركيب المحكم، والأسلوب الرائع الواضح، والديباجة المشرقة، والبحر المنتقى، والقافية الممتازة الطيعة، ثم إن صوره كلها تجعلك تعيش في البيئة نفسها، تلك البيئة التي لم تختلف عن الجاهلية إلا ف يما فرض الإسلام في محيط العقيدة، والعبادة، والعادات، والتقاليد، والمعاملات، ولا أعلم شاعراً عامياً ارتقى إلى المرتبة التي تربع عليها ابن لعبون».

ابن لعبون أمير شعراء العامية:

يقول الأديب عبدالرزاق العدساني[١٥] إنه ومنذ وفاة ابن لعبون برز «شعراء كثيرون، منهم من طواه الزمن في عالم النسيان، ومنهم من بقيت أشعاره تكتب في دواوين الشعر، ولا أثر لها عند الناس، ومنهم من حظيت أشعاره ببعض القصص وبعض الأمثلة، إلا أن كل ذلك وقصص وحكايات وأشعار ابن لعبون بارزة لم يغير منها عامل الزمن أي شيء، تروى كما تروى، وكأنها حدثت بالأمس القريب».

وصف الأديب العدساني [١٦] ابن لعبون بقوله: «إن ابن لعبون أمير شعراء العامية بلا منازع، القديم منهم والحديث، وحق له أن يلقب بالمتنبي ليس من عامة الناس الذين يروون شعره، بل من شعراء الفصحى وأدباء كبار يدركون كل كلمة قالها، وكل عبارة سطرها، وكل جملة وجدت في شعره مستقراً ومقاماً، وكل قافية أنشدها، وعلى رأسهم الأديب الراحل والشاعر الكبير خالد الفرج الذي زاده فخراً أن دوّن له ديوانًا وقال عنه إنه المتنبي الثاني في كل ما حمله المتنبي الأول».

وفي لقاء لي مع الأديب العدساني في الكويت بعد صدور كتابه «شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون» سألته عن رأيه في مقولة الأديب عبدالله بن خالد الحاتم عن ابن لعبون بانه أمير شعراء النبط فقال «إن ابن لعبون ليس أمير شعراء النبط وحسب بل هو الشعر النبط، لقد أكمل نقص من قبله وسد باب الشعر على من بعده».

ابن لعبون والألقاب:

لم تُمنح النعوت والألقاب التي أطلقها الأدباء والشعراء على ابن لعبون جزافًا، وإنما هي نتيجة طبيعية لما تجسد في شعر ابن لعبون من متانة وعذوبة، ولثقافته وسعة اطلاعه، وما تحمله شخصيته من قوة ومرح وخفة ظل.

وحتى الآن ما زالت أقلام وألسن شعراء النبط تردد ذكر ابن لعبون، وتستشهد بأشعاره، وكما تغنى من عاصر ابن لعبون بكلماته، وألحانه يتغنى الكثير بها في وقتنا الحاضر.

ابن لعبون شاعر من ؟:

الى عهد ليس ببعيد لم يكن لهذه الحدود المصطنعة، التي تفصل بين أبناء الأمة الواحدة وتقطع وشائج الدين والقربى، من وجود، ولم يكن الناس وقتذاك يعرفون ما يسمى اليوم بالجنسية وليسوا بحاجة إلى جواز سفر. كان الفرد والعائلة يتنقلون من بلد إلى آخر دونما عوائق تذكر. لذا لم يحمل ابن لعبون وغيره من الهويات وإثبات الشخصية والولاء ما نحمله اليوم، وعليه فإننا لا نستطيع أن ننزل عليه حكماً بالتبعية لأي مما نتبع. هذا من ناحية الجنسية، أما من الناحية القبلية فكما تنافست أقوام وبلدان في نسبة ابن لعبون لها، تنافست قبائل فهنالك من يعده دوسرياً ومن قائل إنه تميمي وهنا نقول: أما وأن المسألة أصبحت قبلية فهو وبلا شك مدلجي وائلي عنزي.

ابن لعبون شاعر نجد:

بالتأكيد إنه شاعر نجد ولد فيها وفيها ترعرع ومن معين علومها نهل وفي بيئتها صقل، وتملكت عليه عاداتها ولهجتها التي طاف بها البلدان وتغنى بمفرداتها وأبدع، أولم تكن نجد هي التي فتقت قريحته بالشعر، وفي ربوعها عرف الحب الأول في حياته ذلك الحب الذي ما انفك يذكره حتى أواخر حياته، عرف ملهمته مي الأولى.

ابن لعبون شاعر الزبير:

وهل هذا بحاجة إلى دليل أوَلم يمضِ معظم حياته في ربوع ديرة ابن عوام، عشرون عاماً بين حزوم الزبير وطلحة والحسن وسنام والكوت وديم خزام وغيرها،

وماذا عن مي الثانية أو هيلة التي أشغلته عن كل شيء وحارب من أجلها كل من حوله. وهل تغنى بربوع الزبير شاعر قبله وحتى بعده بمثل ما تغنى بها هو؟.

ابن لعبون شاعر الكويت:

لا أظننا بحاجة للقول إن ابن لعبون شاعر الكويت، لِمَ لا وقد اختارها من بين البلدان مقراً له، وفيها عرف الاستقرارين الدنيوي بزواجه فيها (إن صح أنه تزوج ابنة خاله في الكويت) والاستقرار الأخروي. لقد أحب الكويت وتغنى بسِيفها ومنازلها. استقبله أهلها وعشقوا شعره وحفظوه وتبنوا فنونه وتغنوا بها، واهتموا به وأحيوا ذكره وفاءً منهم لم يلقه من غيرهم.

ابن لعبون شاعر البحرين:

لم يقل أحد بان ابن لعبون هو شاعر البحرين، ولكنه هو قال هذا في تردده على البحرين وتغنيه بجالها وعشقه لتلك «المهرة الصنيع» التي ألهمته من الشعر وابتكار الوزن ما لم تلهمه أي من اللاتي تغزل بهن في نجد أو الزبير أو الكويت. إن رائعته «يا علي صيح بالصوت الرفيع» لهي أكبر شهادة على بحرينية ابن لعبون. لقد عشقه أهل البحرين وردد بحارتهم فنونه وحفظوا شعره.

ابن لعبون شاعر قطر:

وقد عده أهل قطر شاعرهم، فقد سمعت ذلك من إذاعة قطر قبل حوالي خمسة عشر عاماً تتحدث عن ابن لعبون وفنونه وتصفه بأنه شاعر قطر.

ابن لعبون شاعر نجد والساحل:

إن تتبع سيرة ابن لعبون وشعره وما قدمناه من رأي لبعض الشعراء والأدباء فيه تجعله شخصية فذة تجاوزت حدود المجتمعات واللهجات وبيئات العادات والتقاليد والبيئات المناخية والأنظمة السياسية. لقد خاطب ابن لعبون بمفردات شعره المزركشة بتنوع اللهجات وصدق كلماته وشفافية عباراته الناس ولامس

شـغـاف قلوبهم بدواً وحـاضـرة في هضـاب نجـد ووهادها وقـفـارها وشـرقـاً في سواحل البحر وجزره وفي أطراف بادية العراق وأريافه وغرباً في الحجاز.

ومنه يتبن لنا أن ابن لعبون كما غدت سنون عمره مشاعة بين بلدان المنطقة شاعت هويته أيضاً، وغدا من الصعب تحديدها فلا إقامته ببلد كافية ليعد منها، ولا مفردات لهجته لقوم تكفي ليعد منهم. لقد أحسن الأديب خالد بن محمد الفرج في حسم هذا الموضوع بكلمة فصل هي أن ابن لعبون هو: شاعر نجد والساحل.

✱✱✱✱

الهـوامـش

(١) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص٢٥٦.

(٢) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ٥٥.

(٣) خالد سعود الزيد، مقابلة شخصية في ١٩٩٧/٣/٢٨م، الكويت، ضاحية عبدالله السالم.

(٤) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ١ ص ٤٢٠.

(٥) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ١٤٤.

(٦) خالد سعود الزيد (خالد الفرج حياته وآثاره)، ص ١٨٣.

(٧) خالد سعود الزيد (خالد الفرج حياته وآثاره)، ص ١٨٢.

(٨) خالد سعود الزيد (خالد الفرج حياته وآثاره)، ص ١٨٢.

(٩) عبدالله بن خالد الحاتم (محمد بن لعبون أمير شعراء النبط)، البيان، العدد الأول، ص٦٠، أبريل ١٩٦٦والعدد الثاني مايو١٩٦٦

(١٠) طلال السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ١، ص ٤٢٠.

(١١) مسعود بن سند بن سيحان الرشيدي (التحفة الرشيدية)، ج٢، ص ٢٤٠.

(١٢) يحيى المعلمي (مجلة فواصل)، العدد ٣٠، نوفمبر ١٩٩٦م، ص ٩٨.

(١٣) عبداللطيف بن سعود البابطين، طرائف الكلام ، ط ١، ص ١١، ط ٢، ص ١٣٥.

(١٤) محمد بن سعد بن حسين (الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية)، ج١، ص٣١٣. (٨)

(١٥) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون)، ص ٢٨.

(١٦) عبدالرزاق محمد العدساني (شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون)، ص ٧٥.

****

الباب الثاني
دراســـــة فـــي
شعر ابن لعبون

ابيض

الفصل الأول

شعر النبط: تدوينه وطباعته

إن القصد من هذا الفصل هو إعطاء فكرة مبسطة عن الشعر النبطي بشكل عام من دون الخوض في تفاصيله، ولا بد من الإشارة إلى أن الباحثين في هذا الشعر والدارسين له يختلفون أيما اختلاف في تعريفه وأصله ونشأته وتسميته وتقسيماته وما إلى ذلك. وسنكتفي بذكر بعض الآراء حسب وجهة نظر متبنيها.

الأدب العربي والشعر النبطي:

إن دراسة الأدب العربي وتاريخه وتطوراته تبدأ بدراسة الأدب العامي في جزيرة العرب، لأن هذا الأدب العامي فيها وخاصة في مرحلته القديمة هو صورة صادقة لما كان عليه أدب اللغة العربية في العصر الجاهلي، وذلك لأن الوضع في بوادي جزيرة العرب كان أقرب ما يكون عليه في عصر الجاهلية.

وبهذا المعنى يقول الأديب خالد بن محمد الفرج[1] «لأن الوضع في نجد لا يزال كما كان عليه في عصر الجاهلية فالشعراء في الغالب أُميون والبدو منهم لم يتغيروا عما كان عليه أجدادهم الأولون فأساليب المعيشة والقتال ودواعي الفخر والنسيب وغير ذلك باقية لم تتغير عما كانت عليه في الزمن الأول ولولا جهلهم بالآداب العربية الأولى لزعمنا أنهم سرقوا معاني الأولين ونظموها فقد كادوا ينطقون بألسنتهم وينسجون على منوالهم»[2].

وإذا اتفقنا مع ابن فرج بأن الوضع في نجد آنذاك يشبه من حيث العادات وأساليب الحياة ما كان في أيام الجاهلية، إلاّ أننا لا نوافقه الرأي بأن الشعراء

يجهلون الآداب العربية الأولى، وخير مثال على كلامنا هو ابن لعبون؛ فابن لعبون ملمّ بآداب العربية مطلع على فنونها، قرأ شعر الأقدمين وحاكاهم نفسًا وَقُدْرةً وصياغة ولفظًا، وبلاغة وجزالةً وعذوبة.

ولابد لنا من القول إن الصلة مازالت قوية بين الشعر النبطي والشعر الفصيح، فأصل ذاك من هذا، ولدينا من شعر ابن لعبون على ذلك أكثر من دليل.

الشعر النبطي:

الشعر النبطي بفتح النون والباء وكسر الطاء بعدها ياء مشددة، شعر عربي بلهجة عامية وهو كالشعر الفصيح له قافية ووزن وقد يكون للقصيدة أكثر من قافية ووزن. والشعر النبطي شعر مغنى ويقرأ منغوماً بمصاحبة الرباب أو الطبول والدفوف أو التصفيق بالأيدي[٣].

يختلف الشعر النبطي عن الشعر الفصيح بتحرره في معظم الأحيان من قواعد اللغة والإعراب وضبط الكلمات ورسم إملائها ونطقها بين الترقيق والترخيم.

ولما كان العامة بشكل عام يجدون صعوبة في تذوق الشعر الفصيح البليغ وفهم معانيه وحفظه، فقد قيض الله لهم من يعوضهم عن ذلك بشعر بسيط سلس يفهمونه ويتذوقونه وينبع من معيشتهم اليومية بأفراحها وأتراحها. ولو لم يكن لشعراء النبط غير هذه الميزة لكفتهم، ولو لم يكن إلاّ السواد الأعظم من الناس السند لأولئك الشعراء لكفاهم.

لغته:

يقول شفيق الكمالي «إن لغة الشعر -النبطي- ليست بلغة قبيلة معينة وإنما هي لغة خاصة به، فهي بمثابة لغة فصحى بالنسبة للهجات القبائل المختلفة ينظم بها الشعراء أشعارهم وتكون مفهومة عند جميع القبائل» [٤]، ويدلل الكمالي على مقولته هذه باختلاف لهجات القبائل البدوية اختلافاً واضحاً، إلا أن أشعارها

واحدة تروى بلسان واحد ويتناقله الرواة ويرددونه في مجالسهم المختلفة. ويطلق الكمالي على لغة الشعر هذه اسم لغة الأدب أو لغة الشعر كما هو الحال في لغة الشعر الجاهلي القديم التي كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإن غذتها جميع اللهجات.

ويقارن طلال السعيد [٥] لغة الشعر النبطي الذي يربط مختلف القبائل بما وصلنا من لغة الشعر الجاهلي فيظهر أنه بلغة واحدة على الرغم من تعدد قبائل الشعراء وتباعد أماكنها ووجود فوارق في لهجاتها.

ويعزو السعيد ذلك إلى القول إنه ربما كان ذلك يرجع إلى اتخاذ شعراء النبط اللهجة الهلالية أساساً لشعرهم كما اتخذ عرب الجاهلية اللهجة القرشية أساساً لشعرهم.

أصله:

يذكر الأديب عبد الله بن خالد الحاتم أن الشعر العامي منبعه من البادية، ثم تسرب إلى المدن والقرى بسبب تحضر الكثير من البوادي.

ويحدد الأديب طلال السعيد[٦] أصل الشعر النبطي بقوله إنه يرجع لبني هلال القبيلة العربية التي هاجرت من موطنها الأصلي في جزيرة العرب إلى شمالي أفريقيا. ولقد كان لبني هلال قصائد لها نفس مفردات وأوزان وتراكيب الشعر النبطي الحالي. وما الوزن الهلالي إلا نسبة إلى بني هلال. ولدعم وجهة نظره يقول السعيد إن بني هلال هم أول من استنبط الشعر النبطي وأنه لم يرد قبلهم ذكر لهذا الشعر، ولم ترد أية قصيدة نبطية قبل قصائد بني هلال وأن شعرنا النبطي اليوم هو امتداد لشعر بني هلال.

ويحدد حمد الفرحان أن بداية انتشار الشعر النبطي كانت على أيدي شعراء بني هلال في بداية القرن الخامس الهجري.

أول من قال الشعر النبطي:

يرى الشاعر حمد الفرحان أن أول من قال الشعر النبطي هي عليا الهلالية بقولها:

قـــالت فـــتـــاة الحي عليـــا مـــثـــايل

ولا قـــايل مـــثلهـــا في الحي قـــايل

انتشاره:

ينتشر الشعر النبطي بين قبائل بوادي الجزيرة العرب من اليمن حتى العراق وفي قبائل بوادي الشام وسيناء والسودان والمغرب. ومع تباعد الشقة بين هذه البوادي وحتى تلك التي هاجرت من اليمن إلى الحبشة أو تلك التي وصلت إلى آسيا الصغرى (تركيا) وروسيا أو تلك التي هاجرت إلى بلاد فارس بقي الشعر النبطي لغة التفاهم بينها على الرغم من وجود اختلافات في لهجاتها.

ويستنتج من ذلك ويبرره طلال السعيد بقوله إن انتشار الشعر النبطي بسرعة بين كافة القبائل البدوية كان بسبب هجرة بني هلال الطويلة إلى المغرب ومرورها بهذه البوادي واحتكاكها بقبائلها وإقامة بعض من بني هلال في بعض الأمصار والبوادي التي مروا بها.

تسمياته:

اختلفت تسميات هذا الشعر وتعددت فمنها الشعر العامي والشعبي والشعر الملحون والشعرالبدوي والحوراني.

سمي بالشعر العامي لتحرره في معظم الأحيان من قواعد اللغة والإعراب وضبط الكلمات ورسم إملائها ونطقها بين الترقيق والترخيم، وسمي بالملحون لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى.

وسمي بالشعر الشعبي لاتساع رقعة المعجبين به والمتذوقين له حتى غدا شعر الشعب نظماً ورواية، وهذه التسمية عامة وينضوي تحتها ما ينظمه كل شعب من الشعوب بلغته الدارجة أو لهجته.

أما الشعر النبطي فهو تسمية خاصة للشعر الشعبي في جزيرة العرب كالزجل في بلاد الشام والحميني في اليمن والملحون في المغرب.

ذكر ابن خلدون في مقدمته هذا النوع من الشعر بالشعر البدوي وأيضا بالحوراني بقوله إن «أهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي، وربما يلحنون فيه ألحانًا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية، ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة إلى حوران من أطراف العراق والشام»[٧]، كما ويسمى بالقيسي والأصمعيات.

وتسميته بالشعر البدوي لأن معظم مفرداته مستمدة من لهجة أهل البادية ومعظم من ينظمه من البدو. وهذا لا يعني اقتصاره عليهم، فإن فحول شعراء النبط هم من سكان الحاضرة.

وذكر ابن خميس من أسماء الشعر النبطي تسميته بالملحون لما فيه من اللحن ومجافاة قواعد الفصحى[٨].

سبب تسميته بالنبطي:

قال الأديب عبد الله بن خالد الحاتم[٩] إن تسمية هذا الشعر بالشعر النبطي لم تظهر إلا قبل ستة قرون تقريباً بدليل عدم ذكر ابن خلدون لهذه التسمية.

أما سبب هذه التسمية فقد تعددت الروايات والآراء حولها، ومن ذلك ما ذكره الحاتم [١٠] بقوله إما أنها منسوبة إلى جيل أقبلوا من بلاد فارس ونزلوا بالبطائح بين العراقين يعرفون بالأنباط ويعرف كلامهم بهم، مثلاً فلان نبط أي تكلم أو قال شعراً، أو نسبة إلى قوم من سبيع في نجد يعرفون بهذا الاسم، أو نسبة إلى واد بناحية المدينة قرب حوراء يسمى نبط لأن به معدن البرام والنبطا.

أما الأديب خالد بن محمد الفرج[١١] فيعزو تسمية أهل نجد للشعر النبطي بقوله إنه قد أتاهم من العراق أو مشارف الشام فهم يدعونه بالنبطي أو شعر النبط، وكانوا يطلقون اسم الأنباط على فلاحي سواد العراق، وبدو مشارف الشام وفلاحيه.

أما الأديب عبدالله بن خميس[١٢] فقد ناقش وبإسهاب لفظة نبط وأنباط، وأنها تحوم كلها أو معظمها حول الاستخراج والاستحصال. وخلص ابن خميس إلى القول إن الجيل الذين يقطنون سواد العراق نبطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، أي أنهم حاضرة يعنون بالحرث والزرع ويسمون نبيطاً، وأنباطاً وإليهم ينسب الشعر النبط.

ويتطرق ابن خميس لتاريخ النبط فيقول: « وتشير المراجع التي بين أيدينا إلى أن أقدم ما عرف من تاريخ النبط يرجع إلى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، وتقول إنهم كانوا يكتبون بالآرامية التي نشأت عنها البابلية قبل وضع الحروف العربية، وقد خمل تاريخهم حينما أصبحت ولايتهم رومانية في أوائل القرن الثاني للميلاد»[١٣].

وعن مساكن النبط يستنتج ابن خميس الآتي: « وفوق أن هذه الأدلة تعطينا دليلاً على قدم هذا الجيل، فهي أيضاً ترشدنا إلى أنهم لا تنحصر سكناهم في العراق، بل في الشام، وعمان، والبحرين، وغيرها»[١٤].

ويختتم ابن خميس دراسته حول النبط بقوله: «أولاً: انتفاء عروبة هذا الجيل أصالة، وإن كانوا ينطقون العربية، إلا أنها مملوءة بالدخيل، وممسوخة ومشوهة، وغثة وغير موثقة. ثانياً: ندرك أن لهذا الجيل أثراً على من حولهم من العرب حتى استطاعوا أن يؤثروا في لغتهم وأدبهم!!»[١٥].

ويناقش الأديب الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري[١٦] تسمية الشعر النبطي مناقشة مستفيضة يخلص فيها إلى القول: الأنباط أمة ظهر منها اللحن وفساد اللغة منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكانت النبطية عند اللغويين مرادفة للعامية، وإن تسمية هذا الشعر العامي بالشعر النبطي تسمية جائزة لأن نبطياً تساوي عامياً.

أما الأديب طلال بن عثمان السعيد[١٧] فإنه لا يؤيد جميع ما ذكر من سبقه ويعالج موضوع التسمية معالجة منطقية مستفيضة. ويتلخص رأيه بقوله «إنه من

الخطأ أن ننسب الشعر النبطي للأنباط والصحيح أن الشعر النبطي سمي بهذا الاسم لأنه استنبط وتعني نبع .. ونبط الماء بمعنى نبع الماء والاستنباط والاستخراج ولكن هذا المستنبط من أين استنبط؟ بالتأكيد من الشعر العربي الفصيح».

أما الدكتور سعد الصويان[١٨] فيحدد وبوضوح أن تسمية هذا الشعر بالشعر النبطي لا علاقة لها بالأنباط، وأن كلمة نبطي تعني فقط أن لغته عامية وليست فصيحة، وأن هذه الكلمة أصلا كانت تعني لغة الأنباط وقد توسع علماء العربية فيما بعد بإطلاقها على أي لهجة عربية لا تخضع لقواعد اللغة العربية الفصيحة، وهذا ما فهمه النساخ الأوائل لهذا الشعر بتسميته بالشعر النبطي ليميزوه عن الشعر الفصيح.

ويذكر الدكتور الصويان أن أقدم شاهد على استخدام كلمة «نبطي» ما ورد في قصيدة لأبي حمزة العامري بقوله:

الله من بيت وقصيدة وشاعر
عند الأمور المعضلات حميدا
كالدر الا أنها نبطية
تحلى على التكرير والترديدا

صلته بالفصيح:

الشعر النبطي على صلة وثيقة بالشعر العربي الفصيح، فللشعر النبطي ما للفصيح من خصائص وأغراض وأوزان وقوافٍ وموسيقى وجرس وصور وإبداعات. ولا يختلف النبطي عن الفصيح إلا في بعض اللحن، أو ترك الهمز، أو مجافاة الفصيح .

ولابد لنا من القول إن لدينا من شعر ابن لعبون وغيره من شعراء النبط الأوائل الدليل القوي على صلة الشعر النبطي الوثيقة بالشعر العربي الفصيح ، فأصل ذاك من هذا، وقد أشبع هذا الموضوع بحثاً عدد من الأدباء وأُفرِد لذلك مؤلفات.

وجزى الله الأديب عبدالله بن خميس خيرًا في مبادرته بدراسة هذه العلاقة، وتأليفه في ذلك سفرًا بعنوان «رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصله الفصيح».

تقسيماته:

القصيد والحداء والسامري والهجيني:

يقسم شفيق الكمالي [١٩] الشعر البدوي إلى انواع تختلف عن بعضها بأوزان وأنغام معينة. وأنواع الشعر عنده هي القصيد والحداء والسامري والهجيني. وإن كانت كلمة القصيد تعني الشعر بشكل عام إلا أنه خصّها بنوع معين من الشعر يتميز بمواضيعه وأنغامه وأوزانه التي تمتاز بطول النفس، أما الحداء فهو على شكل مقطوعات قصيرة تتألف في الغالب من بيتين وتلتزم كل قطعة بقافية تتغير بتغير المقاطع، ويلتزم الحداء بوزن معين واحد وهو الرجز. أما النوع الثالث وهو السامري فوزنه واحد وهو الرمل وأقسامه، والنوع الأخير وهو الهجيني فهو كالقصيد له من الشعر أوزان محددة إلا أن أوزانه أقصر من أوزان القصيد الطويلة النفس.

البدوي والحضري:

يقسم الأديب عبد الله بن خالد الحاتم الشعر النبطي أو العامي إلى قسمين بقوله: « فانقسم الشعر البدوي على نفسه إلى قسمين شعر البادية. وشعر الحضر سكان المدن أما الشعر البدوي فظل محتفظاً بمميزاته من سلامة اللفظ وقوة المعنى والصراحة وعدم الكلفة والتعقيد. والشعر المتحضر فإنه لا يخلو من تعقيد بسبب كثرة استعمال الألفاظ الاصطلاحية والكلمات الدخيلة فيه وتحريف بعض الألفاظ الأصلية وانعدام الصراحة في مجموعه، فمن هذه الأسباب ضعفت معانيه ولا نشعر بهذا الضعف إلا إذا قارناه بالشعر البدوي»[٢٠].

العامي القديم والعامي الحديث:

يقسم الأديب عبد الرزاق العدساني[٢١] الشعر العامي إلى قسمين قديم وحديث. فالشعر العامي القديم هو شعر أقرب إلى الفصحى بمعانيه وشكله وألفاظه، ومن شعراء هذا القسم راشد الخلاوي وأحمد السديري. وأما الشعر العامي الحديث فهو الشعر الذي تغلبت فيه اللهجة العامية على اللغة العربية حتى اتخذ الشعراء اللهجة العامية منطلقاً له، ومن شعراء هذا القسم عبد المحسن

الهزاني ومحمد بن لعبون. وبذا يكون الشعر العامي القديم برزخ بين الشعر العربي الفصيح والعامي الحديث.

المنظوم والمرتجل:

أما الأديب طلال السعيد[٢٢] فيقسم الشعر النبطي إلى قسمين رئيسين هما شعر منظوم ويسمى شعر الديوان وشعر مرتجل ويسمى شعر الميدان.

بحور الشعر النبطي:

إن بحور الشعر النبطي كثيرة وقد حاول الأديب عبدالله بن خميس والأديب شفيق الكمالي إحصاء عددها ودراستها فوجدا أن في ذلك صعوبة، أما الأديب عبدالرزاق العدساني فقد ذكر أن الشعر النبطي ينطلق من أحد عشر بحراً من البحور المعروفة إضافة إلى بعض الجديد الذي أضيف إليها، والبحور هي :

الطويل والبسيط المتواتر والرجز الكامل والهزج والسريع بأشكاله الثلاثة والرمل بشكليه والوافر والمديد والمجتث والمتقارب والمتدارك (العدساني ص ٢٧). ولكن من أهم هذه البحور الآتي:

الهلالي: يعد هذا البحر أصل الشعر النبطي وهو من أصعب بحوره وزناً، ومنه اشتقت بقية البحور وربما تعود تسميته إلى بني هلال.

الصخري: بحر قديم وربما نسب إلى قبيلة بني صخر في بادية الشام ويسمى هذا البحر بالفرّاقي.

المسحوب: بحر شائع سائد في الشعر النبطي وهو بقافيتين مختلفتين أو متشابهتين مع تسكين الأولى ومد الثانية أو العكس، ومنه تفرعت عدة بحور منها ثقيل المسحوب وخفيفه ومسحوبه.

الهجيني: سمي هذا البحر بالهجيني من الهيجنة وهي الغناء السريع ويختلف باختلاف سرعة سير الإبل.

والبحور الأخرى هي الزوبعي والحداء والعرضة والسامري والفنون والمربوع والألفيات والزهيري والجناس وغيرها.

أغراض الشعر النبطي:

للشعر النبطي أغراض متعدده منها الغزل والمدح والهجاء والفخر والحماسة والمواعظ والحكم والرثاء والوصف والأمثال والقصة والألغاز والرد أو الإخوانيات.

تدوين شعر النبط:

ظل شعر النبط تتناقله الألسن جيلاً بعد جيل، تحفظه صدور الرواة، فقد عرف منذ القدم أن صدور رجالات هذه الأمة هي سجلاتها.

ابن خلدون:

وربما كان ابن خلدون[٢٣] أول من ذكر الشعر البدوي أو الحوراني (الشعر النبطي) وروى قصائد نبطية في مقدمته. وربما كان ما أورده ابن خلدون من أبيات نبطية هي أقدم ما وجد طريقه للحفظ مدوناً.

مع مرور الزمن كان هذا الشعر عرضة للنسيان أحيانًا، أو التحوير أو التحريف أحيانًا أخرى، وربما نُحِل شعر لغير قائله، وربما استبدل المدح ذمًا والثناء قَدحًا، وذلك تبعًا لدقة نقل وحفظ الراوي وقوة ذاكرته وأمانته، لذا تعددت روايات الشعر وظهرت الاختلافات بين ديوان وآخر، وعليه كان لابد من وقفة بل وقفات للتأكد من نسبة الشعر لقائله أولاً، وأنه دوّن كما قاله ثانيًا.

المخطوطات أو الدواوين:

وحول تدوين الشعر النبطي في العصر الحديث يذكر خالد بن محمد الفرج[٢٤] أن الشعر النبطي لم يدون إلا في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) حيث جمعت منه دواوين كثيرة، وتخصص بعض النساخ في نسخها والارتزاق بما يبيعونه منها ويسمونها دواوين.

لقد ظهر رواة اهتموا بجمع الشعر النبطي ونسخه في مختلف مناطق جزيرة العرب وأطراف البادية الشمالية وبادية الشام. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر نبذة عن أهم مصادر الشعر النبطي في المنطقة:

المستشرقون:

ربما كانت المجموعات المخطوطة من الشعر النبطي التي حصل عليها عدد من المستشرقين الغربيين الذين جابوا بلاد العرب في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين من أقدم مصادر الشعر النبطي.

بجانب أهدافهم المتعددة والمشبوهة لاستكشافهم لجزيرة العرب جمع عدد من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين مخطوطات كثيرة من الشعر النبطي في جزيرة العرب وبادية الشام وفلسطين وسيناء، وأولوا هذا النوع من الشعر اهتماماً خاصاً لدراسة علم اللهجات العربية والسامية بشكل أوسع وأعدوا حول الشعر النبطي والروايات الشعبية أبحاثاً ودراسات نشرت في مجلات الاستشراق والدوريات المتخصصة وألفوا حول القبائل العربية وشعراءها وموروثاتها الشعبية الكتب والمجلدات، هذا وقد قام الباحث سعد الصويان بتلخيص لنشاط المستشرقين في هذا المجال[٢٥] .

يعد الرحالة الفنلندي جورج أوغست فالين أول من بادر من المستشرقين لجمع دوراسة نماذج من الشعر النبطي. ادعى فالين الإسلام وزار جزيرة العرب مرتين في عام ١٨٤٥م ١٨٤٨م وتنقل بين معان ودومة الجندل (الجوف) وتيماء وجبة وحائل وجمع مجموعة كبيرة من الشعر النبطي وروايات من التراث الشعبي. نقل فالين ما حصل عليه من مخطوطات للشعر النبطي إلى جامعة هلسنكي ولم ينشر منه سوى أبحاث لثماني قصائد فقط من مجموعته المخطوطة الكبيرة. حيث نشرها في مجلة الجمعية الألمانية للاستشراق وذلك خلال الفترة ما بين ١٨٥١-١٨٥٢م.

جمع المستشرق الألماني يوهان جوتفرد فيتشتاين مخطوطات من الشعر النبطي وروايات شعبية من بادية الشام في عام ١٨٦٠م ونشر في عام ١٨٦٨م بحثاً لغوياً حول رواية بلهجة بدو سورية.

وممن جمع أشعاراً نبطية وروايات شعبية كل من فون ستيزن ووليام بالجريف في عام ١٨٦٢م وريتشارد بيرتون في عام ١٨٧٨م وتشارلز هوبر في عام ١٨٨٠م وألبرت سوسن ١٩٠٠م والويس موزيل ١٩٠٨م -١٩١٥م ولاندبيرج ١٩١٩م وهس ١٩٣٨م ولاندبيرج ١٩٢٨م وروبرت مونتان وهايكي بالفا وغيرهم.

ومن بين هؤلاء يتميز ألبرت سوسن الذي قام في العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي بتنقلات بين بوادي وأمصار الشام والعراق وأطراف تركيا وجمع الكثير من الأشعار النبطية من شعراء ورواة في البلقاء وحوران ودمشق وحلب وبغداد وسوق الشيوخ وماردين. أخذ سوسن مجموعة مهمة من الشعر النبطي من رجل من أهل بريدة مقيم في بغداد اسمه محمد ويلقب بالأفندي، وقابل سوسن رجل من أهل عنيزة يقال له مسفر وأخذ عنه شعراً. كما أخذ في مدينة سوق الشيوخ مجموعة من القصائد من رجل من أهل الأحساء يقال له محمد الحساوي، ومن الأخير اشترى سوسن ديواناً مخطوطاً ضم الكثير من القصائد.

استعان سوسن بالمجموعات المخطوطة التي حصل عليها المستشرق تشارلز هوبر في العقد الثامن من القرن التاسع عشر وأضافها إلى ما جمعه هو من أشعار فقام بشرحها وإجراء دراسات حولها ونشرها في أول ديوان يطبع في الشعر النبطي، وأسماه «ديوان وسط جزيرة العرب» وذلك في عام ١٩٠٠م. يقع الديوان في حوالي ثمانمئة صفحة وضم مئة واثنتي عشرة قصيدة [٢٦].

ومن المستشرقين المعاصرين الذين اهتموا بالشعر النبطي والموروث القصصي الشعبي في الجزيرة العربية البريطاني بروس انجهام والهولندي مارسيل كوبرشوك.

حائل:

تعد مجموعة فهد بن خالد العيسى الصويغ (بدون اسم للمخطوطة) من أقدم المجموعات المخطوطة للشعر النبطي حيث يعود تاريخ جمعها إلى بداية القرن الرابع

عشر الهجري. وتقع المخطوطة في ٣٣٩ صفحة وتضم قصائد كثيرة لأكثر من ٤٥ شاعراً من شعراء النبط. وتكمن أهمية هذه المخطوطة أيضاً في احتوائها على قصائد لم تنشر بعد لعدد كبير من الشعراء وخاصة شعراء شمر وعالية نجد.

القصيم:

قام الشاعر عبد الرحمن بن إبراهيم الربيعي من أهالي عنيزة بالقصيم بجمع عدد كبير من القصائد لعدد كبير من الشعراء في مخطوطة عنوانها «البحر الزاخر من شعر الأوايل والأواخر» تتكون من عدة مجلدات ولها أكثر من نسخة. وتعد مجموعة الربيعي من أهم مصادر الشعر النبطي في المنطقة وأوثقها.

سدير:

يعد محمد بن عبدالرحمن بن يحيى من أبرز جمّاع الشعر النبطي وتدوينه من رواته. لقد كان ابن يحيى يدون الشعر من أفواه الرواة من مختلف أصقاع جزيرة العرب ولمختلف الشعراء وجمع ما دوَّنه من شعر في ثمانية مجلدات مخطوطة أسماها «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» (الشكل ١). عمل ابن يحيى كاتبًا في المحكمة بالرياض وكان مهتمًا بالشعر النبطي وربما كان هو أول من بدأ بتدوين الشعر النبطي بشكل موثوق من رواته، كما كان يسعى لجمع الشعر النبطي وكتابته وسافر من أجل ذلك إلى الزبير والكويت والبحرين والأحساء وغيرها من البلدان، ومما مكن ابن يحيى من جمع الشعر مرافقته لبعض الأمراء وسماعه للشعراء والرواة الذين يرتادون مجالسهم، وكان لجلوس ابن يحيى عند ابن جميعة الموظف في قصر الحكم فرصة لتدوين الشعر من أفواه الشعراء والرواة الذين كانوا يأتون لتسلم عطاياهم ومُنحهم من القصر[٢٧]. والمجموعة الخطية لابن يحيى مازالت مخطوطة، إلا أن الشيخ عبدالله بن خميس والأديب سليمان الحديثي يقومان بتحقيقها وإعدادها للنشر.

لقد كانت مجموعة ابن يحيى من أهم مصادر ما نشر من شعر نبطي في بداية نشره قبل حوالي نصف قرن، ومن ذلك ديوان إبراهيم بن جعيثن ومحمد بن عبد الله العوني الذي رتبه وفسر بعض ألفاظه عبد الله بن خالد الحاتم (الشكل ٢).

الزبير:

إن من أجمل مخطوطات الشعر النبطي ما اطلعت عليه في صغري وهو مجلد ضخم، صفحاته مسطرة ومحاطة بإطار ملون بخطين أحمر وأزرق، ومرتب ومكتوب بخط جميل لعبد اللطيف بن سعود البابطين أسماه «طرائف الكلام من شعر العوام»، وقد فرغ من جمعه وخطه في ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م).

وتعد هذه المخطوطة من أهم مصادر الشعر النبطي فقد ضمت قصائد لـ ٥٦ شاعراً من فحول شعراء النبط.

طبعت هذه المخطوطة في الرياض عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م بعنوان «من عيون الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام» وجاء في هذه الطبعة كثير من الأخطاء المطبعية فأعيدت طباعتها مرة ثانية في الكويت وتكررت الأخطاء ولم تر هذه الطبعة النور فأعيدت طباعتها ثالثة في الكويت في عام ١٩٩٤م وصدرت بعنوان من «روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر الأعلام».

الكويت:

وفي الكويت قام محمد بن حمد بوديّ بجمع الكثير من القصائد لشعراء نبط في الخليج والجزيرة العربية من أفواه الرواة والأدباء. وهذه المخطوطة نسخت بخط جميل واضح وتقع في عدد من الكراسات وبدون عنوان ويذكر أن مجموعة بودي المخطوطة هي المصدر الرئيس لما نشره الأديب عبدالله بن خالد الحاتم في مؤلفه «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» وذلك بدعم وتوجيه من الشيخ عبدالله السالم الصباح أمير الكويت وقتذاك.

الرياض:

يحتفظ عبد الله بن محمد الفاخري في الرياض بمجلدات من الشعر النبطي قام بجمعها ونسخها في الكويت ونجد لعدد كبير من الشعراء وليس للمجموعة عنوان وتقع في عدد من الكراريس والأوراق المتناثرة.

الحجاز:

قام الشريف حمزة الغالبي ومحمد سعيد كمال في الحجاز بجمع مئات القصائد لشعراء معروفين في الحجاز ونجد وقد قامت دار المعارف بالطائف لصاحبها محمد سعيد كمال بنشر سلسلة من دواوين شعر النبط بعنوان «الأزهار النادية من أشعار البادية» والتي تتكون من ١٦ مجلداً.

الأحساء:

وفي الأحساء قام أدباء وشعراء من عائلة المبارك والعيوني بجمع ورواية مجموعة من الشعر النبطي لعدد كبير من الشعراء.

بغداد:

إن من أهم المجموعات الخطية النادرة لقصائد نبطية ما كتبه سليمان الدخيل المتوفى سنة ١٣٦٤هـ ضمن كتابه المخطوط «البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم» وهذا الكتاب ضمن مقتنيات مكتبة جامعة بغداد ما زال مخطوطاً (الشكل ٣).

مجموعات أخرى:

وبجانب ما ذكرنا هنالك العديد من المخطوطات المتناثرة هنا وهناك والتي لم تنشر بعد، ومن المجموعات المخطوطة للشعر النبطي مجموعة ابن عواد الفضلي وابن عويويد وعبدالعزيز بن عبدالله الفايز ومحمد الحمد العمري ومحمد العثمان القاضي ومنديل بن محمد الفهيد وإبراهيم اليوسف ورضيمان الشمري وغيرهم.

أدباء عرب:

لم يقتصر تدوين الشعر النبط على رواة نجد بل تعداهم إلى أدباء عرب ومستشرقين أوروبيين. فقد دون الأديب اللغوي أنستاس الكرملي بخط يده عدداً من القصائد النبطية وحاول شرحها مستعيناً بالأديب سليمان الدخيل إلا أنه مات قبل إكمالها.

طبــاعته:

أول ديوان مطبوع: ديوان وسط جزيرة العرب:

بقي شـعـر النبط في جـزيرة العـرب مـرويّا ومـخطوطًا حـتى تـهيـأ له من اهتم بجـمـعـه وترتيـبـه وطبعـه، وكـانت الريادة في طبع الشـعـر النبطي فـي أوائل القـرن الميـلادي الحـالي للمسـتـشـرق ألبـرت سـوسن الذي نشـر في عـام ١٩٠٠-١٩٠١م دراسـة عن الشـعـر النبطي في وسط جـزيرة العـرب في ثلاثة مـجلدات من ضـمنهـا مجموعات مخطوطة ضمت أكثر من مئتي قصيده ومقطوعة لعدد كبير من شعراء النبط المعروفين منهم والمغمورين.

ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني:

يذكـر خـالد بن مـحـمـد الفـرج [٢٨] أن أول مـا طبع من الشـعـر النبطي ديوان صغير للمرحوم الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أمير قطر، وذلك سنة ١٣٢٨هـ. وقد طبع أول مرة في الهند وأعيدت طباعته ثلاث مرات في قطر ورابعة سنة ١٣٨٤ هـ.

ديوان عبدالله الفرج:

طبع خالد بن محمد الفرج في بومبي سنة ١٣٣٨ هـ. ديوان عبدالله بن محمد الفرج الكويتي ونفدت طبعته فأعاد طبعه في دمشق في ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣م).

ديوان ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام:

في أوائل عام ١٣٧١هـ طبع في القاهرة ديوان الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي «ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام» وفي ذيله مختاراته من الشعر النبطي اشتملت على قصائد وأبيات ومقطوعات لخمسة شعراء هم حميدان الشويعر ومحسن بن عثمان الهزاني ومحمد بن حمد بن لعبون المدلجي الوايلي ومحمد بن عبدالله القاضي وعبدالله بن حمود بن سبيل وقصيدة واحدة للشاعر تركي بن حميد.

وفي منتصف القرن كان للأديبين خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد الحاتم، رحمهما الله الريادة في طبع دواوين متخصصة للشعر النبطي ضمت مئات القصائد لعشرات الشعراء.

ديوان النبط - مجموعة من الشعر العامي في نجد:

لقد كان لخالد بن محمد الفرج دور كبير في جمع مئات القصائد لفحول شعراء النبط، حيث اجتهد في تحري الصحيح من هذه الأشعار وقام بترتيبها وتفسير بعض ألفاظها وطبعها في ديوان يتكون من جزأين أسماه «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» (الشكل ٤)، وقد كان جمع هذا الديوان وترتيبه وطبعه بإرشاد ودعم من الشيخ عبدالله بن سليمان وزير المالية في عهد الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - (الشكل ٥) وكان ذلك في عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وطبع في مطبعة الترقي في دمشق، وأعيد طبع الديوان بجزأيه في مجلد واحد في المطبعة العربية في القاهرة، ولم تذكر سنة الطباعة وقامت المكتبة الأهلية بالرياض بتوزيعه.

ضم الجزء الأول أشعاراً لحميدان الشويعر، ومحمد بن لعبون، وعبد الله بن ربيعة، وعبدالله بن سبيل وضم الجزء الثاني أشعارًا لمحمد العبد الله القاضي، وعبد العزيز المحمد القاضي، ومحمد الصالح القاضي، ومحمد العوني.

خيار ما يلتقط من الشعر النبط:

وفي العام نفسه قام الأديب عبدالله بن خالد الحاتم بإصدار مؤلفه «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» الذي طبعته المطبعة العمومية في دمشق عام١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)، وقد ضم الجزآن قصائد لقرابة ثمانين شاعراً. وطبعت طبعته الثانية بجزأيه في عام١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م. (الشكل ٦).

كتاب من الشعر النجدي:

كما وطبع عبد الله بن خالد الحاتم ما جمعه محمد بن عبد الرحمن اليحيى من شعر إبراهيم بن جعيثن ومحمد بن عبد الله العوني في كتاب «من الشعر النجدي»

الذي طبع في عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) في المطبعة العمومية في دمشق (الشكل ٢) ونشرته مكتبة النهضة بالرياض.

ديوان النبط الحديث:

ونشر زيد بن عبد العزيز بن فياض في سنة ١٣٧٤هـ ديوان النبط الحديث في نجد للشاعر سعد بن حمد بن حريول (الشكل ٧).

وَيُعَدُّ ما نشره خالد بن محمد الفرج وعبدالله بن خالد الحاتم من شعر نبطي ومعلومات عن شعراء النبط المرجع الأساس لمعظم من جاء بعدهما.

الأزهار النادية من أشعار البادية:

وطبع الأديب محمد سعيد كمال صاحب مكتبة المعارف سلسلة من الدواوين بلغ عددها ١٦ ديواناً تحت عنوان الأزهار النادية من أشعار البادية ضمنها قصائد لمئات الشعراء.

مراحل تطور الشعر النبطي:

ظل شعر النبط تتناقله الألسن وتتوارثه الأجيال وخلال رحلته الزمانية والمكانية اعتراه الكثير من التحوير والتطور.

وينقسم الشعر النبطي من حيث تطوره إلى مرحلتين: قديمة وحديثة.

تبدأ المرحلة القديمة بأقدم ما وصلنا من شعر نبطي في أواخر القرن الثامن الهجري وتنتهي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري بظهور شعر محسن الهزاني وابن لعبون.

المرحلة القديمة:

إن أقدم ما وصلنا من الشعر النبطي ربما كان ما أورده الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري[٢٩] من أبيات عددها أربعة تنسب إلى أم عرار بن شهوان تمدح ابنها وهو يافع.

وعرار هذا هو ابن شهوان آل ضيغم جد الرشيد أمراء حائل الذي عاش سنة ٨٥٠ هـ [٣٠] وأورد له الحاتم قصيدة تتكون من ٥٦ بيتاً.

ويذكر أبو عبدالرحمن[٣١] أن الشيخ حمد الجاسر دون ستة أبيات لعمير بن راشد وهو معاصر لعرار كما ونسب إلى الجاسر قوله إنه طبع في العراق كتاب عن الدهم الشهوانيات نسبة إلى شهوان والد عرار تضمن أشعاراً لشهوان وعمير بن راشد، وشهوان هو أخ لراشد وعم لعمير بن راشد[٣٢].

وذكر الشيخ سعد بن جنيدل[٣٣] أبياتاً نسبها إلى فارس بن شهوان وربما كان فارس هذا هو أخ لعرار بن شهوان. وعن عبد الله البازعي روى أبوعبدالرحمن أبياتاً من شعر عميرة بنت راشد (أخت عمير).

ربما كانت هذه الأشعار قيلت في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري.

ومن شعراء القرن التاسع والعاشر الهجري أبو حمزة العامري الذي أورد له الحاتم قصيدتين، وربما كان راشد الخلاوي والعليمي وقطن بن قطن وأبو محمد البسام هم من شعراء هذه الفترة، وقد أورد الحاتم قصائد منسوبة لهؤلاء الشعراء.

ومن شعراء القرن العاشر جعيثن اليزيدي الذي أورد الشيخ حمد بن لعبون في تاريخه[٣٤] ٩ أبيات من قصيدة له يمدح مقرن الجبيري، ومن شعراء هذا القرن عامر السمين الذي أورد له الحاتم قصيدة طويلة في مدح قضيب بن زامل، ويقول أبوعبدالرحمن إن الممدوح هو غصيب بن زامل. وأورد الحاتم قصيدتين للشريف جري الجنوبي والكليف وعدهما من شعراء القرن الحادي عشر الهجري، إلا أن أبا عبدالرحمن استدرك ذلك وعد الكليف من القرن العاشر وجري من الحادي عشر[٣٥] ويذكر أبا عبدالرحمن من شعراء هذا القرن بنت عجل رئيس آل مغيرة من بني لام وغيرها شعراء من بني لام.

ومن شعراء القرن العاشر والحادي عشر الشريف بركات بن مبارك الحسيني أورد له الحاتم ثلاث قصائد كما أورد قصائد في مدحه.

ويعد أبو عبدالرحمن كريدم العرادي ومحمد بن جدوع التغلبي وقطن بن قطن من أمراء عمان والعليمي وجري الجنوبي ورميزان بن غشام التميمي وأخوه رشيدان وبداح بن بشر العنقري وفيصل الجميلي من شعراء القرن الحادي عشر.

ومن شعراء القرن الحادي عشر والثاني عشر جبر بن سيار وسعود بن عثمان بن نحيط ودهام بن دواس.

أما منيع بن سالم والمشنق وأحمد الوايلي وعريعر بن دجين وزامل بن حسين وجبارة الصفار وخليل بن عائد وسيف الغوينمي الدوسري ونبهان السنيدي وماجد الحثربي ومحمد المهادي فهم من شعراء القرن الثاني عشر.

ميزات شعر المرحلة القديمة :

تتلخص ميزات شعر النبط في مرحلته القديمة بالآتي:

١- النظم على بحور الشعر المعروفة وبالأخص بحور الطويل والكامل والبسيط والسريع والمسحوب وهو معدل السريع.

٢- أغلب النظم على قافية واحدة.

٣- تتمثل عاميته بمجانبة الإعراب والتصريف وشيء من عامية المعاني.

٤- سهولة إرجاعه إلى الفصحى.

٥- نظم الطوال وربما بلغت القصيدة ألف بيت.

٦- التطرق لمعظم - إن لم يكن كل - أغراض الشعر.

٧- ذكر الشاعر لاسمه وأحياناً الصلاة على النبي في مطلع قصيدته.

المرحلة الحديثة:

وتبدأ هذه المرحلة في أواخر القرن الثاني عشر وبداية الثالث عشر وعلى وجه الخصوص مع ظهور الهزاني وابن لعبون اللذين بظهورهما دخل شعر النبط مرحلة جديدة. ويعد بعض الدارسين ابن لعبون وشعر عصره الانطلاقة القوية الجديدة للشعر النبطي إلى وقتنا الحاضر.

مدرستا الهزاني وابن لعبون:

تتميز المرحلة الحديثة بظهور مدرستين: الأولى مدرسة الهزاني الذي أوجد الشعر الغنائي والشعر ذا القافيتين. وإن كان الشعر ذو القافيتين معروفاً لدى شعراء الفصحى إلا أنه كان إضافة جديدة أدخلها الهزاني إلى الشعر النبطي، وبجانب هذه الإضافة استحدث بحر السريع الذي حول به الشعر النبطي إلى شعر غنائي[٣٦] وهذ البحر تفاعيله هي:

مستفعلن مستفعلن فاعلن

مستفعلن مستفعلن فاعلن

هذا اللون هو ما يعرف بالمسحوب وهو السريع المرفل:

الف وليف قبل أمس زرناه

قروي يسلي عن جميع المعاني

كما جاء الهزاني بالسريع المقطوع وهو ما يعرف بالسامري:

طعم العسل من مبسمك وشفاك

طعم العسل من ريقك اسقانا

أما مدرسة ابن لعبون فقد أضافت ثلاثة بحور جديدة للشعر النبطي هي بحر الوافر أو ما يعرف بالصخري وبحر الرمل وهو ما يعرف بالفن اللعبوني والطويل المتواتر، هذا بالإضافة إلى مجزوء جديد للبسيط وهو ما يعرف بالهجيني [٣٧]. هذا وإن أخذ ابن لعبون من محسن الهزاني المسحوب والقافيتين إلا أنه لم يذكر أنه نظم على فن السامري [٣٨] .

ومع أن شعراء المرحلة الحديثة بشعرهم أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى إلا أن شعرهم محكم البناء بقوافيه وبحوره ومعانيه. كما وأن مدرسة ابن لعبون أدق وأشمل من مدرسة الهزاني وإن كانت الأخيرة الأسبق في هذا المضمار [٣٩] .

لقد تبع مدرسة الهزاني وابن لعبون عدد من الشعراء الذين طوروا الشعر النبطي بتوليد الألحان والأدوار والأوزان وتنويع القوافي ونظم الألفيات.

الشعر النبطي في وسائل الإعلام:

اشتهر الأدب الشعبي وبالذات الشعر النبطي وبسرعة مذهلة في منتصف هذا القرن الميلادي وانتشر بانتشار وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية، وذلك في أواخر الخمسينيات من هذا القرن الميلادي.

الرواة والجمّاع:

تتواصل رواية الشعر النبطي جيلاً بعد جيل وفي وقتنا الحاضر هنالك العديد من الحفاظ والرواة لهذا الشعر ومنهم منديل بن محمد الفهيد ومحمد بن علي الشرهان ورضيمان بن حسين الشمري ورديني العبد الكريم السهلي ورضا بن طارف الشمري ومحمد بن شلاح المطيري وإبراهيم اليوسف وناصر المسعري وإبراهيم الواصل.

الإذاعـــة:

في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات انتشرت برامج البادية في محطات الإذاعة في الخليج والجزيرة العربية.

ففي الكويت قامت الإذاعة خلال الفترة ما بين عام ١٩٥٨م و ١٩٦١م ببث برنامج على الهواء قدم الشاعر مرشد البذّال من خلاله قصائد نبطية. وفي نهاية عام ١٩٦١م قدم جاسم كمال ركن البادية ثم قدم حسين ملا علي الشعراء لإلقاء قصائدهم، وظهر في عام ١٩٦٢م سعود غانم الجمران كأول متخصص لتقديم ركن البادية وكذلك ظهر صالح بن منصور العليّان ومفرح الضمني، وفي الإذاعة الشعبية سليمان الهويدي.

أما أول برنامج إذاعي للبادية بثته إذاعة المملكة العربية السعودية فكان من جدة عام ١٩٥٨م ، وكان مقدمه مطلق مخلد الذيابي وكان البرنامج يتضمن القصص البدوية وما جاء فيها من أشعار نبطية وكذلك قدم البرنامج محمد بن شلاح المطيري.

وقدمت إذاعة الرياض برامج شعبية متنوعة قدمها أدباء وشعراء ورواة منهم محمد الشعلان وسعد بن حريول ومنديل بن فهيد وعبد الله بن خميس وإبراهيم اليوسف وناصر بن حمد السكران وغيرهم.

أما إذاعة البحرين فقد أعدت برنامجاً شعبياً قدمه صالح الرويعي.

وقدمت إذاعة قطر برامج شعبية أعدها وقدمها عبد الله الغالي المري وحمد بن محسن النعيمي وناصر بن مهدي الدوسري.

وقدمت إذاعة بغداد برنامج البادية قدمه مخلف صياح الشمري.

التلفزيون:

امتدت برامج البادية والأشعار النبطية لتصل إلى محبيها صوتاً وصورة عبر أجهزة التلفزيون.

فقد قدم سعود الجمران ثم سليمان الهويدي برنامج «مجالس العرب» سنة ١٩٦٥م في تلفزيون الكويت.

وفي تلفزيون الرياض ظهرت برامج متنوعة قدمها سعد بن حريول وعبد الله العلي الزامل ومحمد بن زبن بن عمير وناصر بن حمد السكران والحميدي الحربي.

وفي تلفزيون قطر ظهر عبد الله المري وحمد النعيمي وناصر الدوسري.

أندية وديوانيات النبط:

تأسس أول نادٍ للشعر النبطي في المنطقة في عام ١٩٧٦م وذلك في قطر.

وفي الكويت تأسست في عام ١٩٧٧م «ديوانية شعراء النبط»، كما ضمت رابطة الأدباء في الكويت بعض شعراء النبط النشطين منهم عبد الله بن عبدالعزيز الدويش.

وتنتشر منتديات وديوانيات الشعر النبطي والأدب الشعبي في مدن متفرقة من جزيرة العرب.

الصحافة:

لعبت الصحافة دوراً في نشر الشعر النبطي من خلال ما أفردته لهذا الفن من صفحات.

إن أول مجلة خصصت صفحات للشعر النبطي هي مجلة «عالم الفن» الكويتية والتي أصدرتها جمعية الفنانين الكويتية سنة ١٩٧٣م ومجلات أخرى منها مرآة الأمة والنهضة واليقظة وغيرها.

وظهرت مجلات متخصصة في الشعر والأدب الشعبي منها مجلة المختلف وفواصل وغيرها.

وأول صحيفة قامت بتخصيص صفحة كاملة للشعر النبطي هي صحيفة «السياسة» الكويتية.

الكتب:

قام عدد من الباحثين بإعداد دراسات علمية متخصصة لنيل درجات الماجستير والدكتوراه حول الشعر النبطي كما صنفت عشرات الكتب وطبعت مئات الدواوين في الشعر النبطي. ومن أبرز من كتب في الشعر النبطي عبدالله بن خميس وأبو عبدالرحمن الظاهري وطلال السعيد وعبدالله بن عبار العنزي وعبدالله وخالد السياري وإبراهيم اليوسف ومنديل الفهيد ومسعود بن سيحان الرشيدي وعبدالرحمن السويداء وفهد الرشيد وسليمان النقيدان وإبراهيم سعد العريفي وعبدالله سعود الصقري وسليمان الهطلاني وعبدالرحمن العقيل وصادق محمد أحمد بخيت وغيرهم.

الموسوعات:

وتعدى ذلك إلى الموسوعات، وأول موسوعة طبعت للشعر النبطي تلك التي أصدرها الشاعر طلال السعيد بعنوان «الموسوعة النبطية الكاملة».

****

الهـوامـش

(١، ٢) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ص ٤.

(٣) شفيق الكمالي (الشعر عند البدو)، ص ٧٦.

(٤) شفيق الكمالي (الشعر عند البدو)، ص ١٠٦.

(٥) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص ٢٧

(٦) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص٢٠.

(٧) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٣.

(٨) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص٥٧.

(٩، ١٠) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، الجزء الأول ص ٨.

(١١) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، الجزء الأول ص٧

(١٢) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص ٥٢

(١٣، ١٤، ١٥) عبدالله بن خميس (الأدب الشعبي في جزيرة العرب)، ص ٥٦.

(١٦) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري

(١٧) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص ١٨.

(١٨) سعد بن عبدالله الصويان

(١٩) شفيق الكمالي (الشعر عند البدو)، ص ٧٥.

(٢٠) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، الجزء الثاني ص ٣٠٩

(٢١) عبدالرزاق العدساني، (شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون، حياته وشعره) ص٢٣

(٢٢) طلال السعيد (الشعر النبطي)، ص ٢٩

(٢٣) مقدمة ابن خلدون، ص ٤٨٣

(٢٤) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج١، ص٤

(٢٥) سعد بن عبدالله الصويان، صحيفة الحياة، الأعداد من ١٢٢٧٢ الى ١٢٢٧٥ وكتاب الشعر النبطي (باللغة الإنجليزية).

(٢٦) ألبرت سوسن، ديوان وسط جزيرة العرب (باللغة الألمانية).

(٢٧) الراوية محمد بن علي الشرهان، مقابلة شخصية، الرياض ١٤١٧هـ.

(٢٨) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج ١، ص

(٢٩) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٠) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣١) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٢) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٣) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٤) حمد بن لعبون، تاريخ ابن لعبون، ص ٣٩.

(٣٥) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

(٣٦) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٥٧.

(٣٧) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٥٩.

(٣٨) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٥٩.

(٣٩) عبدالرزاق العدساني، شاعر الأطلال محمد بن لعبون، ص ٢٧.

✱✱✱✱

الفصل الثاني

مصادر شعر ابن لعبون

كان الشاعر محمد بن لعبون فائق الخط وكان يتراسل مع كثير من أدباء وشعراء وأمراء نجد والساحل ويتبادل معهم الأشعار، ومما يؤسف له أن أحدًا ممن روى أو جمع أو درس شعر ابن لعبون لم يذكر أنه اطلع على قصائد كتبها ابن لعبون بخط يده.

إن هذا يجعلنا نتساءل أين ذهب ما خطّه ابن لعبون من شعره بيده؟.

إن ذيوع صيت ابن لعبون وانتشار شعره لا يتناسب وكمية ما وصلنا منه، وهذا يجعلنا أيضا نتساءل أما زال هنالك شعر لابن لعبون لم يصلنا بعد؟، أم تراه مفقودًا ؟، وهل هنالك من وسيلة للبحث عنه ونشره ؟!.

بالتأكيد هنالك الكثير من شعر ابن لعبون لم يصلنا أصلاً وخاصة شعره الذي نظمه في الزبير، فمعظم شعره الذي بين أيدينا قاله بعد خروجه منها، وحتى شعره الذي قاله خارج الزبير لم يصلنا منه إلا القليل. وكدليل على ما ذكرت أقول بأن ٢٣ قصيدة من أصل ٧٨ قصيدة نسخها الشيخ محمد بن حمد بودي ما زالت مفقودة (الشكل ٨).

المخطوطات أو الدواوين:

اعتمدنا جمع شعر ابن لعبون على ما تناقله الرواة مشافهة جيلاً بعد جيل وما

نسخه النساخ في كراسات ودواوين في بلدان متباعدة وعلى ما نسخه النساخ من شعره في سدير والزبير والكويت والأحساء والبحرين والقصيم وحائل والحجاز وغيرها. وتعدى الاهتمام بشعر ابن لعبون وجمعه وتدوينه شعراء وأدباء المنطقة إلى مهتمين خارجها أمثال الأديب أنستاس الكرملي والمستشرقين تشارلز هوبر وألبرت سوسن وغيرهم.

إن أيًا من المهتمين بشعر ابن لعبون من الحفّاظ والرواة والجمّاع لم يذكر أنه اطلع على شعر لابن لعبون بخط يده، إلاّ أن كثيرًا منهم قد دوّنوا ما سمعوا وحفظوا من شعر ابن لعبون، واحتفظوا بما كتبوه. وبقيت معظم هذه المجموعات المخطوطة بعيدة عن متناول الدارسين والمهتمين، ولم يصلنا منها إلا القليل وبذا أصبحت تلك الدواوين عرضة للتلف والضياع بمرور الزمن.

لباب الأفكار في غرائب الأشعار:

يعد محمد بن عبدالرحمن بن يحيى من أبرز جمّاع الشعر النبطي وتدوينه من رواته ومن أهم مصادر شعر ابن لعبون. وتضم مخطوطة ابن يحيى والتي أسماها «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» (الشكل ١) ٥١ قصيدة نسبها إلى ابن لعبون وبلغت أبيات هذه القصائد ١٢١٩ بيتاً ومنها قصيدة واحدة (عدد أبياتها ٣٧ بيتاً) ليست من شعر ابن لعبون، والقصيدة مطلعها: عقب العشا زارني طيف يقول، وهي من شعر عيسى بن حمد بن جلق في رثاء زوجته. وبذا يكون ما أورده ابن يحيى من شعر ابن لعبون هو ٥٠ قصيدة عدد أبياتها ١١٨٢ بيتاً.

طرائف الكلام من شعر العوام:

ضمت مخطوطة عبداللطيف بن سعود البابطين المسماة «طرائف الكلام من شعر العوام»، والتي فرغ من جمعها وخطها في عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٨م) على ٣٤ قصيدة نسبها إلى ابن لعبون (الشكل ٩) وبلغ مجموع أبيات هذه القصائد ٨٩٧ بيتًا.

ضمت هذه المخطوطة ثلاث قصائد ليست من شعر ابن لعبون، الأولى مطلعها: هيه يا راكب على اكوار النجاب لمحمد العبدالله القاضي والثانية مطلعها: لكن حسراة الساير امتلاه لنمر بن عدوان والثالثة مطلعها: سقى سحب الطها ديم الخزاما ربما لعبدالمحسن الطبطبائي. وبذا يكون عدد قصائد ابن لعبون هو ٣١ قصيدة ومجموع أبيات قصائد ابن لعبون ٧٧٥ بيتاً.

مخطوطة بودي:

إن من أبرز رواة شعر ابن لعبون في الكويت محمد بن حمد بودي (الشكل ٨) ويذكر أن بودي قد استعان في جمعه لشعر ابن لعبون بالشيخ محمد العسافي والشيخ ابن شهوان من أدباء الزبير وعلمائها. وتضمن فهرس مجموعة بودي المخطوطة ٧٨ قصيدة منسوبة إلى ابن لعبون (الشكل ١٠)، ومما يؤسف له أن المخطوطة مفقودة. وتضم القائمة ٢٣ قصيدة لم ترد عند غيره من الرواة ولم نعثر عليها بعد.

مخطوطة الفاخري:

أثناء إقامته بالكويت قام الشيخ عبدالله بن محمد الفاخري بجمع شعر ابن لعبون وغيره (الشكل ١١).

البحر الزاخر من شعر الأوايل والأواخر:

إن أكبر عدد من قصائد ابن لعبون ضمتها مجموعة خطية واحدة هي مجموعة «البحر الزاخر من شعر الأوايل والأواخر»التي جمعها الشاعر عبد الرحمن بن إبراهيم الربيعي، ففي هذه المجموعة ٥٨ قصيدة من شعر ابن لعبون بلغت أبياتها ١٢٦٧ بيتاً منها قصائد لم تنشر من قبل (الشكل ١٢).

مخطوطة الصويغ:

تعد مخطوطة فهد بن خالد بن عيسى الصويغ في حائل من أقدم مخطوطات الشعر النبط، ومع أن المخطوطة اهتمت بجمع قصائد لشعراء من حائل وما حولها من بلاد شمر إلا أن بها قصيدتين من شعر ابن لعبون بلغ عدد أبياتهما ٢٤ بيتاً.

البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم:

إن من أهم المجموعات الخطية النادرة ما كتبه سليمان الدخيل المتوفى سنة ١٣٦٤هـ ضمن «كتاب البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم» (الشكل ١١) وقد أورد ١٤ قصيدة للشاعر ابن لعبون بلغ مجموع أبياتها ٤٠٣ أبيات.

مخطوطة أنستاس الكرملي:

وجمع الأديب أنستاس الكرملي عددًا من قصائد لشعراء النبط منها قصيدة للشاعر ابن لعبون بلغ عدد أبياتها ٢٠ بيتاً والقصيدة مطلعها: فلا ذر نور تمسي وتمسي خدها (الشكل١٣).

مجموعات المستشرقين:

ضمت المجموعات المخطوطة التي حصل عليها المستشرق تشارلز هوبر والمستشرق ألبرت سوسن ٦ قصائد من شعر ابن لعبون بلغ عدد أبياتها ١٨٤ بيتاً. وقام سوسن في مطلع هذا القرن الميلادي بنشر مجموعة من الشعر النبطي في كتابه «ديوان قلب الجزيرة العربية» المكون من ثلاثة أجزاء اشتمل الجزء الأول من الكتاب على مجموعة من قصائد ابن لعبون (الشكل ١٤).

نشر وطباعة شعر ابن لعبون:

ديوان وسط جزيرة العرب (ألبرت سوسن) :

ديوان ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام (محمد بن بليهد):

يعد ما نشره ألبرت سوسن من قصائد للشاعر ابن لعبون في مؤلفه الذي أصدره في عام ١٩٠٠-١٩٠١م وما ضمته مختارات الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد من الشعر النبطي ومنها قصائد وشواهد من شعر ابن لعبون والمذيلة لديوانه «ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام» والذي طبعه في القاهرة عام ١٣٧١هـ من أوائل ما نشر وطبع من شعر ابن لعبون. ويقول ابن بليهد عن ابن لعبون إن له قصائد تملأ المجلدات لو ألمنا بذكرها.

ديوان النبط (خالد الفرج):

كان لشعر ابن لعبون النصيب الأوفى والاهتمام الأكبر في ما جمعه خالد بن محمد الفرج في «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» فقد ضم الجزء الأول من هذا الديوان عدداً من قصائد ابن لعبون بلغ مجموعها ٤٦ قصيدة ومجموع أبياتها ١٠٨٦ بيتًا في حوالي مئة صفحة.

ديوان خيار ما يلتقط (عبدالله الحاتم):

ضم الجزء الأول من «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» لعبدالله بن خالد الحاتم قصائد من شعر ابن لعبون بلغ عددها ٤٦ قصيدة ومجموع أبياتها ١٠٩٨ بيتًا وشغلت حوالي ستين صفحة من الديوان.

الأزهار النادية (محمد سعيد كمال):

عندما قامت مكتبة المعارف لصاحبها محمد سعيد كمال بالطائف بنشر سلسلة من دواوين شعر النبط ضمن سلسلة «الأزهار النادية من أشعار البادية»، حيث أفردت للشاعر ابن لعبون الجزء العاشر منها وعنوانه: «يشتمل على شعر فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان الشاعر الكبير محمد بن لعبون» (الشكل ١٥). ضم هذا الديوان ٤٦ قصيدة من شعر ابن لعبون والديوان عبارة عن نسخة مما جمعه خالد بن محمد الفرج، ولم يأت الناشر على ذكر اسم الجامع أو الإشارة إليه ولا سنة طبع الديوان.

المجموعة البهية (عبدالمحسن أبابطين):

اشتملت «المجموعة البهية من الأشعار النبطية» لجامعها عبد المحسن بن عثمان أبابطين والمطبوعة سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، على ٢٤ قصيدة من قصائد ابن لعبون وبلغ عدد أبياتها ٥٥١ بيتاً.

التحفة الرشيدية (مسعود بن سيحان):

نشر مسعود بن سند بن سيحان صاحب «التحفة الرشيدية» المطبوعة سنة ١٩٦٩م، أربع قصائد من شعر ابن لعبون عدد أبياتها ١٧٣ بيتاً. ثلاث قصائد من

هذه المجموعة حصل عليها صاحب التحفة الرشيدية من مخطوطة «طرائف الكلام من شعر العوام» لعبد اللطيف بن سعود البابطين[٢] قبل نشرها. القصيدة الأولى مطلعها: الله من وقت تقضى بالافراح .. وهي قصيدة طويلة تتكون من ستين بيتًا، وهذه القصيدة تبين لي أنها لحمد المغلوث، والقصيدة الثانية مطلعها: كيف يا سيد العذارى المحصنات .. وتتكون من واحد وخمسين بيتًا والقصيدة الثالثة مطلعها: آه من قلب غدا مثل الهشيم .. وتتألف من اثنين وعشرين بيتًا. أما القصيدة الرابعة والتي مطلعها: أرى الدار ما توفي بماضي وعودها، فقد أعاد نسبتها إلى ابن لعبون بعد أن نسبت لغيره في بعض الدواوين.

ابن لعبون (يحيى الربيعان):

قام يحيى الربيعان في عام ١٩٨٢م بنشر كتاب أفرده لابن لعبون بعنوان «ابن لعبون حياته وشعره» وقد اجتهد الربيعان في تخيل صورة ابن لعبون – وليته لم يفعل (الشكل ١٦) –، ويتميز هذا الكتاب عما سبقه من دواوين بجمعه لبعض ما تناثر من شعر ابن لعبون في الدواوين المطبوعة الرئيسة الآنفة الذكر، فجمع ما يقارب ٥٣ قصيدة من شعر ابن لعبون.

وبوَّب الربيعان شعر ابن لعبون إلى مقدمة ذكر فيها نبذة عن حياة الشاعر، وقع فيها بأخطاء من سبقه ولا سيما حول سنة ميلاده ومسقط رأسه، وانتقى من شعر ابن لعبون ما سار مثلاً أو استعان به من أمثال، وأورد نقائضه مع عبد الله بن ربيعة وما جاء في شعره من مدح وهجاء وغزل، وذكريات وحكم وأمثال ورثاء.

ومع أن يحيى الربيعان ذكر عددًا من المصادر في آخر كتابه «ابن لعبون حياته وشعره»، إلاّ أنه اعتمد أساسًا على ما جمعه ورتبه وفسر بعض ألفاظه خالد الفرج «ديوان النبط، مجموعة من الشعر العامي في نجد».

من عيون الشعر الشعبي ومن روائع الشعر النبطي (عبداللطيف البابطين):

نشر عبداللطيف بن سعود البابطين مخطوطته «طرائف الكلام من شعر العوام» في عام ١٩٨٨م بترتيب وشرح عبدالله بن محمد بن خميس وبعنوان من «عيون

الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام» ضم الديوان ٣٤ قصيدة منسوبة إلى ابن لعبون وبلغ مجموع أبيات هذه القصائد ٨٩٧ بيتًا منها ثلاث قصائد ليست من شعر ابن لعبون وسبق الإشارة إليها.

وفي طبعة مجموعة «طرائف الكلام من شعر العوام» الثانية في عام ١٩٩٤م بترتيب وشرح د. مرسل فالح العجمي وبعنوان «من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر الأعلام» حذفت قصيدة عبدالمحسن الطباطبائي وبقيت قصيدتا محمد العبدالله القاضي ونمر بن عدوان كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

✱✱✱✱

ابيض

الفصل الثالث

أدب ابن لعبون وموسيقاه

ابن لعبون عنصر وحدة أدبية في المنطقة:

رغم معاناة ابن لعبون وعدم استقراره في بلد معين إلاّ أنه تأقلم مع هذه المجتمعات، وعَدّ كل مجتمع منها مجتمعه وأهل ذلك المجتمع أهله، عاش معهم وتكلم لهجتهم كواحد منهم، وهذه من ميزات ابن لعبون، تحسها وتدركها في معظم قصائده.

لقد صهر ابن لعبون لهجته النجدية في بوتقة واحدة مع لهجة أهل الزبير ولهجة أهل الساحل، ومنها جميعًا صاغ أحلى القصائد بلهجة مقبولة مستساغة مفهومة لدى الجميع، وبذا نجح ابن لعبون في كسر طوق عزلة اللهجات، وتخطى الفوارق بين المجتمعات، وأصبح عامل وحدة أدبية في المنطقة نجح من خلالها في جمع سكان نجد، وسكان الساحل على تذوق شعره وتغنيهم به واعتزازهم به ونسبته لهم. فإذا ما قرأت أو سمعت شعرًا لابن لعبون وأنت لا تعرفه فلن يخامرك شك في أنه من قلب نجد يطوف بك بمعالمها وآثارها وبيدها ومدنها وقراها وبلهجة أهلها المتميزة، وكذا تقول إنه زبيري تربى في ربوع الزبير وبين أحيائها الأثرية ولهجة أهلها النجدية المتأثرة بالساحل، وكذا فهو بحريني وكويتي وخليجي بشكل عام، وبين الحين والآخر تلتقط من شعره ما يوحي إليك بأنه بدوي أو من سكان شمالي جزيرة العرب، وأن هناك كلمات تطعم شعره وكأنه من أرض الرافدين.

لقد استطاع ابن لعبون بجانب استخدامه للهجات متباينة أن يسخر أفكارًا وتعابير ومبادئ وأمثلة مختلفة من بيئات متعددة في قصائد وجدت لها قبولاً واستحسانًا لدى الجميع. إننا نرى ابن لعبون يضرب المثل السائر في نجد كما يضرب المثل من الزبير والعراق والساحل، ويبتدع المثل ويأتي بالعربي منه. ويأتي بالحكمة أينما وجدها نجدية أو زبيرية أو من أي مصدر، وقد يبتدعها بلفظ غير مسبوق.

تهذيبه للمفردات:

استعان ابن لعبون بمفردات من لهجات محلية متباينة كثيرة في قصائده، بل حتى في القصيدة الواحدة أو البيت الواحد، وقد تمكن ابن لعبون من تهذيب هذه المفردات، ومزجها مع بعضها بتناسق وتناغم حتى كادت تطغى الكلمات الزبيرية على لهجته النجدية، كما طعم أشعاره بكلمات كويتية وبحرينية وغيرها، وحتى الكلمات الأعجمية وجدت طريقًا إلى شعره. إننا لا نريد الاستشهاد بالكلمات النجدية، لأنها تشكل جلّ شعره وكذلك الكلمات الزبيرية، ونكتفي بالإشارة إلى بعض الألفاظ الأخرى.

يقول ابن لعبون:

يالايمي به شـــــوين شـــــوين

عـــســـاه ياطاك بحـــصـــانه

وكلمة شوين وهي من لهجات الشمال، وتعني على رسلك أو مهلك (شيئًا فشيئًا).

وقوله:

يفـتـــخـــر حـــاشـــاك بالعظم الرمـــيم

مـــفـــخـــر البـــزون بالســـبع الغـــشـــوم

والبزون هنا عراقية تعني القط.

وكقوله:

يفـــتـــر عن مـــثل الدحـــاريج مـــوقـــه

اربع ليـــــال مـــــدلجـــــات علـى ســـــاق

والدحاريج ومفردها دحروجة في لهجة جنوبي العراق هي البيض، أما في لهجة نجد فهي ما يلف من علف الإبل ويدس في أفواهها.

أما استخدامه لكلمات خليجية مثل قوله:

يا علي صـــــيح بالصـــــوت الرفـــــيع

للمـــــــرة قل: تـبـــــيـــــعين لا الجنـاع

والجناع في لهجة أهل البحرين والساحل بشكل عام هو القناع، وهو ما تغطي به المرأة وجهها.

وقوله:

والورك والســـــاق والفـــــخـــــذين

مـن بـيـنـهـن فـلـقـــــــــــة الـدانـه

فلقة الدانة أي المحارة من لهجة أهل الكويت وأهل الساحل بشكل عام.

واستعان ابن لعبون بكلمات أعجمية فارسية وتركية شاعت في لهجة جنوبي العراق وعربستان والساحل كقوله :

شـــومي رمـــاك القـــدر بســـهـــوم

وان راطـنـك خـــــــوب قـــــــولـي لـه

خوب كلمة فارسية كثيرة الاستعمال في جنوبي العراق، وتعني طيب أو حسن.

يـقـــــرا فـــــرامين علـى الخـــــد وآيـات

خـط بـقـــــــــــرطـاس الـدهـر مـن دواتـه

فرامين كلمة تركية عثمانية مفردها فرمان أي مرسوم أو بيان .

تكيّفه مع اللهجات:

لقد ساير ابن لعبون أهالي الزبير والساحل في لهجتهم بإبدال نطق بعض الحروف بحروف أخرى، مثل نطق الجيم ياء (مدلج = مدلي، هج = هيّ) والكاف جيم معطشة (باكر = باچر، كيس=چيس)، كما تنطق القاف جيمًا (قيل = جيل، قليب = جليب).

قـــالت غـــريب غـــشـــيـــه الليل مـــدلي
ضـــــامي رمى دلوه على مـــــاك مـــــدلي
واظن هذا المســـــتـــــهـــــام ابـن مـــــدلي
من لابة تحـــــجي ولا هوب شـــحـــــتـــــوت

وهنا جناس فمدلي الأولى مدلج من الإدلاج والثانية أنزل دلوه من الدلاء، أما الثالثة فالمقصود بها مدلج أي ابن لعبون نفسه فهو ابن مدلج.

وقوله في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

خـــذ مـــا تراه وخل عنك الخـــمـــاچيـــر
من شق جـــــيب الناس شـــــقـــــوا وزاره

فالخماچير: هنا تعني الخماكير، أي الكلام غير المفيد.

موسيقى شعر ابن لعبون:

لقد مكنت الخلفية العلمية والثقافية لمحمد بن لعبون من الاعتداد بنفسه أولاً، ثم لوى عنان الشعر ثانيًا، وبهذا تمكن من إضافة الجديد إلى الشعر النبطي جرساً موسيقياً ولحناً إيقاعياً متميزاً.

عندما تطرق صاحب الموسوعة النبطية الكاملة الأديب طلال السعيد لموضوع موسيقى الشعر النبطي ذكر أن ابن لعبون فرض نفسه ليكون فارس هذا الميدان. فتحت عنوان «غير ابن لعبون لا يلعبون» أفسح صاحب الموسوعة لأمير شعراء النبط أن يحتل هذا المجال.

وبتصرف سنورد ما جاء في الموسوعة[1] تحت هذا الموضوع:

عرف شعر ابن لعبون بقوة موسيقاه وجمال إيقاعه وقد قيل فيه «غير ابن لعبون لا يلعبون» ومعنى هذه المقولة لا ينظم الشعر غير ابن لعبون. وهذه المقولة تذكرنا بالشاعر العربي الأعشى الذي سمي بـ «صناجة العرب» أي موسيقي العرب الذي يعزف ويُطرب. استشهد صاحب الموسوعة بإحدى قصائد ابن لعبون وهي فائيته المعروفة:

يا هل الْعِـــيـــــراتْ عنْ دار الـتَّـــــلاَفْ
مـنْ عَـــــفـــــا الّلـهْ عَنْه يـرْدِفْ لِه رِدِيـفْ
عَنْ ديَار كلْ مَـــا فِـــيـــهَـــا يـعَـــافْ
يَارَكِبْ وَيلاَهْ مِنْ ســـيـفٍ كِـــسِـــيـفْ
جِـــيتْ نَاس عُـــقبْ أهلْ مَيٍّ نِشَـــافْ
يَطْبُـــخـــون الزَّادْ بَالمَاي الـنِّظِيـفْ
مِنْ عُـــقُبْ زَلّ الـزّوَالِي وَالـلِّـحَـــافْ
وَالنَّمـدْ وَلِلجُـوخْ سَـفّـوا لِي سِـفِـيـفْ
شفْ مَنـازِلْ مَيْ فِي ذِيك الحَـــضَـــافْ
ياحـــرَاشْ إنْ كَـــانْ يَحْـــتـــاجْ تَعْـرِيفْ
ذَا مـــــصَبَّ المـاءْ وَهـذاكَ الـرِّفَـــــافْ ۰
وَالحْـــــرَمْ هَـذا وَهَـذاكْ المَضِـــــيـفْ
مُـوحِـشَـاتٍ كلْ مَـا فِـيـهَـا يخَـافْ
مـهْـرَةْ الخْـيـالْ فِـيـهَـا مَـا تِقـيف
يَحْلف الحْـلاَّفْ مَـا شَـافـه وشـاف
بَـالمَـنـازِلْ زَولْ عُـطـمـبُـــــــولٍ زِرِيـفْ
كَمْ عَـــفـــا الّلـهْ لِي بـرَبْعـــهْ مِنْ مَطَافْ
مَعْ نزولْ اعْطَانْ مـشْـتَـاهْ ومـصِـيـفْ

وبعد أن يورد أحد عشر بيتاً من هذه القصيدة يقول: «وتمضي الأنغام الموسيقية اللعبونية وتمضي بنا هذه الدراسة الموسيقية حيث يقول علماء اللغة إن «فررر» يحاكي صوت رفرفة أجنحة الطائر تعبيراً عن فراره عند الاقتراب منه ومن

هذا «الصوت» صيغ فعل «فرَّ. يفرُّ. فراراً» ومنه تولد فعل «فرِق» أي خاف، فَرَقَ بين الأمرين أي فصل بينهما، وفارق وتفرق ثم فرث وفرخ وفرد وفرز وفرش .... إلخ ومن الفاء في القصيدة تعبير لا يقدر على موسيقيته غير ابن لعبون شاعر حين عبر به عن الإياب ومفارقة البحرين والقطيف.

ثم استمع إلى موسيقى الحرف في مطلع القصيدة حين استخدمه في «التلاف» و«عفا» و«يردف» و«رديف» وفي البيت الثاني «تعاف» و«سيف» و«كسيف» وفي البيت الثالث في «انشاف» و«النظيف» وفي البيت الرابع في «فرش» و«اللحاف» و«سفيف» وفي البيت الخامس في «شف» و«الحضاف» و«تعريف» وفي البيت السادس في «الرفاف» و«المضيف» وفي البيت السابع في «يحلف» و«الحلاف» و«شافه» و«شاف» و«زريف» ثم ينساب الحرف في الأبيات التالية في «فيها» و«يخاف» و«فيها» و«تجيف» و«عفا» ومطاف» و«اعطاف» و«مصيف» ثم «وليف» و«الخلاف» و«وليف» و«ينكشف» و«الرهاف» و«الرفيف» على مرتين..

ولو مضينا في باقي الأبيات وحاولنا حصر حرف الفاء وما يحدثه من أنغام موسيقية لوجدناها غاية في الرقة والكمال عظيمة السلاسة مفرطة في الغنى والموسيقى بالإضافة إلى وفرة مفرداتها الموسيقية ودقة معانيها الشعرية وحسن نظام مبانيها..

تلك الموسيقى التي تبهر النفس وتسكن القلب لم تكن من صنع الحروف وحدها بل هي من صنع الشعر النبطي المعنوي النفسي الوجداني..

ومعظم أبيات القصيدة على بحر المديد الذي سمي بذلك لتمدد تفاعيله السباعية حول الخماسية وأصله حسب الدوائر العروضية الخليلية:

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن

وهي من بحور فنون السامري بالشعر النبطي سريع الإيقاع والذي اشتهر فيه ابن لعبون كما لم يشتهر شاعر قبله . . واختياره للإيقاع السريع يتفق تماماً مع ما

ذكرناه، وتؤلف هذه القصيدة النبطية بألوانها الصوتية المختلفة باقة من الزهور وجوقة من الموسيقى النبطية ولكل بيت ههنا من أبيات القصيدة دلالته في التعبير الموسيقي ومذاقه الخاص وأثره في التطريب . .

وابن لعبون كشاعر نبطي لا علم له بالرموز العروضية ورغم هذا فأذنه الموسيقية وحسه الشاعري جعل معظم أبيات القصيدة منظوماً على البحور الخليلية».

ويستمر صاحب الموسوعة في موضوعه حول الموسيقى النبطية واستشهاده بقصيدة ابن لعبون فيقول:

«وهذه بعض الألفاظ الموسيقية التي استخدمها ابن لعبون في القصيدة التي بين أيدينا فأعطت نوعا من الموسيقى السحرية إلى جانب الوزن والقافية فهو يستخدم في قصيدته هذه الألفاظ الموسيقية:

رفيف البرق – زليل الماي – ممشاهن خفيف – ساطعات كالدرر – جالبات النور لعيون الكفيف – زاهيات كنهن ورد القطاف – سالمات الزيغ – من قلب وليف – باندماج وانعطاف – ستر العفاف – باجتوال وانحراف وانصراف – راميات – في سهام بانصراف – من غزال في فؤادي له رفيف – ابتهرت – رق قلبي – من سنا خديه برق له رفيف – وانت سالم والسلام – من صوب الوليف.

ولو حاولنا أن نقارن بين المعاني الشعرية في هذه القصيدة وبين الخصائص الصوتية لحروفها وكيف يطبع المعنى الحرف بخصائص صوتية خاصة لما كفانا هذا الجزء من الموسوعة النبطية وفي هذا القدر من البيان كفاية». انتهى.

الألحان اللعبونية:

تمكن ابن لعبون من إدخال أوزان الإقاع الغنائي، وهي فنون استحدثها ابن لعبون وعرفت باسمه وهي «الفنون اللعبونية» أو «اللعبونيات»[٢] ومفردها فن لعبوني.

يذكـر أبو عـبدالرحمـــن بن عـقـيـل الظـاهـــري [٣] أن ابن لعـبـــون شـاعـر غنائي وظهـر أنه يلحن لنفســه، ولكنه ابتكر ألحـانًا ضـمن أوزان شـعـره الغنائي، واستدل على ذلك بالتصاق ذكره بذكر الغناء الشعبي، فعندما يذكر العوام السامري واللعبوني والفن ينصرف إلى ابن لعبون وشعره. لقد ابتكر ابن لعبون ألحانًا عديدة منها اللحن اللعبوني على وزن الرمل، وكذلك اللحن اللعبوني على بحر الهزج، وربما كان الهجيني القصير لابن لعبون أيضًا، فقد ذكر أبو عبدالرحمن بن عقيل أن ابن لعـبـــون قـد أكـثـر منه ولـــم يره عند غـيـره ممن قـبله[٤]. ومن ألحـــان ابن لعـبـون السامري على بحر السريع.

تطويره للشعر النبط:

يعد ابن لعبون من أبرز المجددين في الشعر النبطي وذلك من خلال ما ابتكره من بحـور جديدة ومـا أدخلـه على بعض بحـور الشـعـر النبطي من تطوير وإضـافـات لدرجة أن الأديب عبدالرزاق العدساني يعد ابن لعبون أنه «هو الشعر النبطي»، فعلى سبيل المثال تطويره لبحر الصخري الذي كان قبل ابن لعبون ينظم على قافية واحدة وقام ابن لعبون فنظم به على قافيتين [٥] .

تطرق الأديب عبدالرزاق العدساني في كتابة «شاعر الأطلال» وبإسـهـاب إلى الابتكارات اللعبونية في الشعر النبط فذكر أربعة ابتكارات وابتكارين شـعريين فنيين وابتكارات فنية موسيقية إيقاعية، ويقصد بالابتكارات إضافة بحور جديدة لم يعرفها من سبق ابن لعبون أو عاصره وتتلخص ابتكارات ابن لعبون بالآتي:

١ - إضافة بحرين جديدين للشعر العامي هما:

أ - البحر الوافر وهو ما يسمى بالصخري ومثاله مرثيته الرائعة التي مطلعها:

ســـقـــا صـــوب الحـــيـــا مـــزن تـهـــامـــا
على قـــبـــــر بـتـلـعـــات الحـــــجـــــازي
يـعـط ابـهـــا الـبـــخـــــتـــري والخـــزامى
وتـرتـع فـــــيـــــه طـفـــــلات الجـــــوازي

ب – بحر الرمل وهو ما يعرف بالفن اللعبوني ومثاله التالي:

يـا مـنـازل مـي فـي ذيـك الحـــــــــــزوم

قـــبلة الفـــيـــحـــاء وشـــرقي عن سنام

٢ – مـجزوء البسيط : لقد غير ابن لعبون في مـجزوء البسيط بأن قطع وتدًا كاملاً أي حذف حرفين ساكنين آخرهما متحرك ومثل هذا القطع جديد على كتب العروض وأوزان الشعر العربي ، وإن عدد حروف هذا المجزوء ستة عشر حرفًا مكررًا أي اثنان وثلاثون حرفًا ، ومثال ذلك قول ابن لعبون:

حـــــي المـــنـــــازل وهـــــن اطـــــلال

حـــــي المـــنـــــازل ومـــــن هـــــي لـــــه

مـــســـــتـــــفـــــعلن فـــاعلن فـــعـــــلان

مـــســـــتـــــفـــــعلن فـــاعلن فـــاعل

وهذا الوزن الجديد انقسم إلى قسمين أطلق أهل المدن على القسم الأول فن لعبوني، وأطلق أهل البادية على القسم الثاني الهجيني والقسمان لهما وزن واحد ولكن أسلوبهما مختلف، ففن ابن لعبون للبحر أقرب بكثير من الهجيني الذي يمثل الصحراء فقط (العدساني ص٦١).

ومن التجديدات التي أضافها ابن لعبون ختم القصيدة بتكرار صدر أو عجز مطلعها أو جزء منهما[٦] ، فقصيدته التي ذكرناها آنفاً قد ختمها بتكرار عجز مطلعها بقوله:

وصـــــــلاة الله ربـي والســـــلامـــــا

على قـــــبـــــر بتلعـــات الحـــــجـــــازي

بقي أن نقول إن مراد الشاعر من عجز البيت الأول من قصيدته هو قبر محبوبته والمقصود بعجز البيت الأخير هو قبر سيد الخلق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

ومثال آخر يختتم قصيدته بتكرار صدر مطلعها وجعله عجزاً لختامها كما في قصيدته التي مطلعها:

عـــــلامـــــه مـــــا ينابيني عـــــلامـــــه

ويخـــــفي مـــــا بقلبـــــه من غـــــرامـــــه

ويختتمها بقوله:

عـــسى لـي يوم يســـمع لـي زمـــاني

عـــلامـــه مـــا ينابيني عـــلامـــه

ومثال ثالث يختتم قصيدته بتكرار جزء من صدر أو عجز مطلعها وجعله صدراً أو عجزاً لختامها كما في قصيدته التي مطلعها:

يا عـبـيـد من قـصت يمينه شـمـاله

يشـــوف فـــعله ذاك عـــدل ولـو مـــال

ويختتمها بقوله:

هذا ومن قـــصت يمينه شـــمـــاله

خـــسـران في حـــاله مـــعـــا غـــالي المال

ذوات القوافي:

ذوات القوافي هي القصائد التي تنظم بوزنين وقافيتين، وابتدع لها هذه التسمية مصطفى صادق الرافعي، وأطلق عليها ابن حجة الحموي في «خزانة الأدب» اسم التشريع، وأسماها ابن أبي الإصبع بالتوائم[٧]، وصل الإبداع الشعري والتمكن اللغوي عند ابن لعبون لدرجة أنه كان يملي كاتبين في وقت واحد كلاً منهما يكتب قصيدة منفصلة. وإذا جُمعت القصيدتان أصبحتا قصيدة واحدة[٨].

صاغ ابن لعبون العديد من ذوات القوافي، ومع ما تحتاج إليه هذه القصائد من صنعة على حساب معنى ومتانة القصيدة إلاّ أن ابن لعبون أخفى أثر تلك الصنعة والتكلف بحيث أضاف إلى القصيدة جرسًا ورونقًا. وهذا مطلع قصيدة ذات ثلاثة أوزان وأربع قوافي من شعر ابن لعبون:

مـــا لون يا قلب دوى به جـــراح

بهداك لي ما ترعوي قول نصاح

يا قلب لو هب الهـــوى لك وناح

بالك تجيبه يالغوي وين ما راح

المهملة:

من ألوان البديع التي أضفاها ابن لعبون على شعره. نظمه لقصائد تخلو جميع حروفها من النقاط أي أنه لم يستخدم سوى ثلاثة عشر حرفاً هي : (أ، ح، د، ر، س، ص، ط، ع، ك، ل، م، هـ، و).وبهذا يكون ابن لعبون قد حاكى صفي الدين الحلي والحريري في نظم المهملات، ومع ما قد يسببه نظم مثل هذه القصائد من أثر على حساب المعنى إلاّ أن ابن لعبون جمع بين هذا البديع وبديع معنى نظمه.

ذكر صاحب الموسوعة النبطية[٩] أن ابن لعبون لم يتوان عن استعراض مقدرته الشعرية واختبار تمكنه لتأكيد مكانته كأمير لشعراء النبط فقد نظم المهملات وهي القصائد الخالية من النقط. وتعد قصيدته المهملة من عيون شعره والتي مطلعها:

احـــمـــد المحـــمـــود مـــا دمع همل
وعـــدد مـــا حـــال واد لـه وســـال
او عـــــدد مـــــا ورد وراد الـدحـل
او رمـى دلوه ومـــا صـــدّر ومـــال

****

الهـوامـش

(١) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ٥٥.

(٢) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج١، ص ٤.

- أحمد المحيطيب (لفنون الشعبية في المنطقة الشرقية)، مجلة القافلة، أرامكو، الظهران.

- أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه).

- طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ٤٢٢.

(٣) (٤) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه).

(٥) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ١٠٧.

(٦) طلال بن عثمان السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢ ص ١٠٨.

(٧) بكري شيخ أمين (مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني) ص ١٨٦ .

(٨) طلال السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة)، ج ٢، ص ٤٢٣ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

✱✱✱✱

الفصل الرابـــع

أغراض شعـــر ابن لعـبون

تطرق ابن لعبون في شعره إلى كل عناصر الشعر، وملك مقدرة على النظم في كل الفنون غزلاً ووصفًا ومديحًا وهجاء وشكوى وعتابًا ورثاء. وإن كان قد غلب على ما حفظه الناس عنه وتغنوا به شعر الغزل ومن الشعر ما خف على الطار، إلاّ أن له شعرًا بليغًا تحسبه من بلاغته من عيون الشعر الجاهلي.

ميزات شعر ابن لعبون:

يتسم شعر ابن لعبون وبشكل عام بميزة واضحة أنه من الشعر السهل الممتنع، فمع قوة العبارة ومتانتها وجزالة المفردة وحسن اختيارها وبلاغة التعبير وجودة السبك فإنك تقرأ شعر ابن لعبون أو تسمعه وكأنك أمام راوية يسرد لك رواية دونما تكلف أو تعثر أو وقفة. لقد تميز شعر ابن لعبون في مطالع قصائده وأوزانه وفنونه ومفرداته،و التي وإن عبث بها الرواة وبدلوها بغيرها تحتفظ بجرسها وإيقاعاتها دونما خلل. عندما يتغزل ابن لعبون تجده يلامس شغاف القلوب بلطافة ونعومة كلماته ويبدع في ذلك دونما تكلف والكلمات تتسابق إلى شفتيه يشكلها كيفما شاء وتصطف القوافي وبتناسق لتختم أبيات شعره، إذا مدح كأنه لا يريد لمن يأتي بعد أن يجد ما يمدح به، وإذا هجا لا مجال لتفادي طعناته، وإذا تشكى أبكى، وإذا وصف أوفى.

إن قراءة سريعة في شعر ابن لعبون تبين السمات التالية:

١- لقصائده مواضيع محددة يبدأها وينهيها.

٢- يحدد في معظم قصائده الأماكن التي يتحدث عنها أو يصفها.

٣- كثيراً ما يذكر أسماء اشخاص استعارة أو تلميحاً أو كناية أو وصفاً.

٤- نادراً ما يذكر الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في خواتيم قصائده المغناة.

٥- يكاد شعره يلتزم ببحور معينة وخاصة تلك التي ابتكرها وتعرف بالفنون.

٦- نادراً وربما لم ينظم السامري.

٧- لقصائده وحتى المغناة منها قوة سبك ومفردات وعبارات متميزة.

٨- قد تحمل قصائده مفردات من لهجات مختلفة.

٩- تكاد لا تخلو أية قصيدة له من مثل أو حكمة أو استشهاد.

١٠- لقصائده الطويلة نفس الشعر العربي الجاهلي.

ومن أهم أغراض شعره:

شعر المراسلات:

عمد ابن لعبون إلى نظم القصائد وإرسالها إلى أقربائه وأحبته وأصدقائه من أمراء وأدباء وشعراء في مختلف مناطق نجد والساحل، فبعث ابن لعبون إلى أحمد بن ضاحي العون وأحمد بن محمد السديري وعبد الله بن ربيعة وغيرهم بقصائد، إما يبث من خلالها لواعجه أو حامداً الله على سلامتهم لطارئ ألم بهم أو معاتباً أو غير ذلك.

يمثل شعر المراسلات فناً تجلت فيه خلفية ابن لعبون الأدبية فهو بعد الاستهلال بالنسيب يصف الإبل وصفاً دقيقاً وكأنه حادٍ لها مبيناً أنواع سيرها وما تقطعه من مفازات ومراحل ويحث المطايا لحمل رسائله إلى من أرسلها له.

تعد قصيدة ابن لعبون البائية التي بعث بها من الكويت إلى ابن عمه أحمد بن ضاحي بن عون في الزبير من عيون شعره، ومطلع القصيدة هو:

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب

قبل الفجر ينباج والليل غربيب

درس الأديب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري هذه القصيدة وبين بلاغتها وفسر ألفاظها وأوضح ما غمض من معانيها مبيناً عبقرية ابن لعبون وعمق معانيه وما يرمي إليه[1].

النسيب والغزل:

يتعرض الشعراء للمرأة في قصائدهم إما غزلاً أو نسيبًا أو تشبيبًا، فالغزل التعرض للنساء لاستمالتهن، أما النسيب فهو استهلال القصيدة بالغزل وذكر المرأة. أما التشبيب فهو التعرض للمرأة بالشعر. وربما استعمل بعضهم هذه الكلمات الثلاث بمعنى الغزل، وعادة ما يصدّر الشاعر قصيدته بالنسيب.

ومن صفات المرأة أو الحبيبة التي يتغنى بها الشعراء جمال العيون وفتورها، وطول الرقبة والتفاتتها، وضمور البطن، وكبر الكفل، وسواد الشعر وطوله واسترساله، وقد يتعدى الوصف إلى طيب رائحة الفم وحلاوة الريق وما إلى ذلك.

ومن ذلك قول ابن لعبون:

أبو ردوف كما الاطعاس
ومحلّي الوسط مهضومك
ريحة نفسها كريح الياس
ورد وعنبر ومشمومك

وقوله:

والشفايا اللي كما ذوب العسل
من جنى جناتها السلسال سال
عاطلات الريم وادمى الرمل
مع نبات ظلهن عندي ظلال

ذكرنا أن ابن لعبون نهج منهج الأقدمين في استهلال قصائد المديح بالنسيب، إلاّ أن ذلك الغزل ليس لذاته وإنما ليكون مدخلاً لما أراد. أما الشعر الغزلي عند ابن

لعبون فهو الباب الذي دخل منه إلى قلوب الناس وجعلهم يحفظون شعره ويتغنون به، فمعظم قصائده كانت غزلية خفيفة على ألسن الناس والطار.

وحتى في مرثيته لحبيبته يتغزل بجمالها بقوله:

وخـــد هل بـه بدر الـتـــمـــامـــا
وجـــعـــد فـــوق منبـــوز الـعـــجـــازي
فـــلا بـي عـــقـــبـــهـــا زاد ولامـــا
وجـــزت امن الـغـــوى والـغي جـــازي

الوصف:

أبدع ابن لعبون في الوصف سواءً لجمال محبوبته أو مفاتنها أو ما حوله من عالم يدور حول محبوبته، ووصف الخيل والظعائن والحرب والرياض والأطلال والأحبة والرجال، ووصف الأطلال وهي خوالٍ من ساكنيها، فأبدع في ذلك أيما إبداع. وعندما يصف ابن لعبون وتقرأ وصفه كأنك تقرأ لامرئ القيس أو أحد شعراء المعلقات، ومن ذلك قوله:

ضـحـوك اللمى مـدمـوجـة الساق كـالقنا
هضـوم الحـشـا مـرتج الأرداف مـهـيـافِ
إلـى قلت هاتـي حـــاجـــة لـي ودنقت
تـنـثـــر لـهـــا ظليل ســـافٍ على ســـاف
على مي جـــيـــد الريم والعين عـــيـنهـــا
والخـــد كنه بدر الأنصـــاف بوصـــاف

الفخر:

للحماسة والفخر نصيب كبير في شعر العرب وإثارة قرائح الشعراء، فدواعي الحماسة كثيرة منها الاستجابة للمستنجد، وإغاثة الملهوف، والذود عن الحياض، والانتصار للمظلوم، واستنفار الحلفاء والأصدقاء، ووصف الصراع والحرب،

والتغني والتباهي بالانتصار. وللفخر دواعيه ليعزز الحماسة ويذكيها. فقد يتغنى الشاعر بأفعاله الشخصية، أو بحسبه ونسبه، أو بأفعال قبيلته وأيامها وأمجادها، وقد يتعدى الشاعر حدود قبيلته ليفاخر بأمجاد بلده ومآثر قبائلها؛ كل ذلك ليشحذ الهمم ويقوي العزائم لمواجهة المنافسين والخصوم. ويشتمل الفخر على التحلي بكثير من القيم الأخلاقية، كالبعد عن اللؤم والبخل، والصبر على المصائب والجوع والعطش، وإباء الضيم، وتحمل أعباء الآخرين، أو نوائب الزمان.

افتخر ابن لعبون بحسبه ونسبه ومآثر قبيلته ورجالها من بني وائل كما يفعل معظم الشعراء، وتعدى ذلك للتفاخر بأمجاد من دافع عنه وانتصف له، ويتجلى ذلك بوضوح حين وقف بصف ابن حسن الدوسري وتصدى لمنافسه وصديقه الشاعر عبدالله بن ربيعة بقصيدة منها قوله:

حنا هل الوادي وحنا المناعير
وحنا ودينا جارنا من جداره
يشهد لنا جريس اليماني بتفخير
يومن عن اهل الدين محمد أجاره
ما حدرت وديان بيشة مياسير
كل اليمن بالسيف نملك اديارة
عند المجد انشد ولد يام وامطير
وانشد جماجم روسهم عند واره

المديح:

يتناول المدح بشكل عام أفرادًا وقبائل، ويكاد يتفق الشعراء في معاني المدح، ومنها الشجاعة والكرم والنجدة والوفاء ونجابة الأصل. وربما عمد الشاعر لمدح شخص لمنفعة خاصة، أو تقديرًا لكرمه أو مروءته وفي ذلك تشجيع له.

نحا ابن لعبون في استهلال قصائد المديح منحى شعراء العرب. فقد جرت عادة الشعراء تقديم القصيدة بأبيات غزلية تعرف بالنسيب، وقد يذكر ابن لعبون

اسم ممدوحه صريحًا كاملاً، اسمًا ولقبًا في قصائده، وربما يذكر الاسم الأول أو الأخير فقط، أو يكني في قصائد أخرى. ومن أكثر الذين حظوا بمديحه الشيخ محمد بن إبراهيم بن ثاقب والشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد بن ضاحي والأمير أحمد السديري. وفي المديح ركز ابن لعبون على صفات الرجولة والشجاعة والكرم، وربما بلغ المديح حد المبالغة أو الغلو في خلع صفات الكرم أو الشجاعة على الممدوح، على شاكلة معظم الشعراء.

ومن مديح ابن لعبون لشيخ الزبير محمد بن ثاقب قوله:

أصطى من الضرغام وأمضى عزايم
وأقطع من الصمصام وأكرم من الديم
معطي الجسايم ومهيوب النسايم
عوق الخصيم وشوق كنّه الريم

لقد جمع ابن لعبون في البيت الأول كل معاني المديح وما أظنه ترك لغيره ما يمدح به، فليس بعد الأسد من سطوة، وليس أقطع من السيف شيئاً، وليس هنالك ما هو أكرم من الغيوم.

وتتجلى بلاغة ابن لعبون مرة أخرى في معرض مديحه لأحمد بن ضاحي بن عون بقوله:

وقامت حروف الحمد وقف على أحمد
فالألف والحا تشمل الميم والدالِ
على مستجار لو يلوذ بجنابه
خشم الرعن خوف النجم جاوله جالي

الرثاء:

إن كان «أعذب الشعر أكذبه» فإن أصدق الشعر هو الرثاء، كمراثي الأقرباء من الأهل والأصدقاء خاصة، فعاطفة الحزن لفراق عزيز أو كريم أو شريف عاطفة

صادقة ولا سيما عندما يُرثى قريب أو حبيب، وقد يرثي الشاعر نفسه. ويعمد الشاعر في الرثاء إلى ذكر مناقب المرثي - بمعنى الثناء - كالتي يعتمد عليها المدح، وقد يلزم الشاعر نفسه بوعود أو عهود للمرثي، ويختتم الشاعر مرثيته بالدعاء للمرثي بسقيا قبره وبالصفح والغفران له.

لقد تطرقنا في موضوع ميّ وما طرحناه من تساؤلات حول هذا الاسم أحقيقي هو أم مستعار وذكرنا اجتهاداتنا للإجابة عليها، وهل مي هي مي أم هي هيلة أم شاهة أم أخرى غيرهن، ونتساءل هنا من هذه التي رثاها ابن لعبون؟. لقد أجمعت المصادر على أن من رثاها ابن لعبون كانت قد ماتت وهي في الحج[٢] أو في المدينة المنورة [٣] ولكن هل هي محبوبته، هكذا كما ورد في معظم المراجع دونما تحديد لاسمها؟ هل هي مي المطيرية [٤] التي تعلق بها قلبه في ثادق أم هل هي زوجته كما ذكر ذلك سعد بن راشد الشليل [٥] ومثل ذلك ما ذكره الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري [٦].

أياً كانت هذه التي رثاها ابن لعبون رحمهما الله بواسع رحمته فقد كانت هذه القصيدة المرثية الوحيدة التي وجدناها في شعر ابن لعبون، وتعد من عيون شعره وعارضها عدد من الشعراء ومنهم عبدالمحسن الطباطبائي ومطلعها:

سقى صوب الحيا مزن تهاما
على قبر بتلعات الحجازي
بفقدي له ووجدي والغراما
تعلمت النياحة والتعازي
على بخت الدهر ليته تعامى
وخلاها وليته ما يوازي

الشكوى والعتاب:

لقد فرضت صُروف الحياة على الشاب الشاعر ابن لعبون ظروفًا لا طاقة لمثله بها، ولكنه تجلد وقاسى وبثّ ذلك شعرًا ففيه لنفسه متنفس. وقد بعث لمن يثق به وبنجدته شاكيًا له ومستنجدًا به أو يبثه لواعجه وأشجانه.

بعث ابن لعبون بقصائد شكوى وعتاب إلى عدد من أقربائه وأصدقائه ومعارفه ومن أولئك الشيخ أحمد بن ضاحي بن عون والأمير أحمد السديري والشاعر عبد الله بن ربيعة.

تذمر ابن لعبون من حياته وتمنى كالمعري أنه لم يأت إلى هذه الدنيا، وها هو يلوم أبويه على ذلك بقوله:

لو باتمنى قلت ياليت من غـــــاب
ولا حـــضـــر باللوح واللي كـــتب به
أمي وأبوي اللي رمـــوني بالاســـبـــاب
ياليـــتـــهـــا بعـــد الحـــمـــال أســـقطت به

وقوله:

لو باتمنى قلت ياليت من مـــــات
حـــيث الطرب ووصـــال الاحـــبـــاب فـــاته
ويقلب الحـــــزن الطويل الذي فـــــات
ينصـــــاه في قلب الخلي واعـــــداته

الهجاء:

تتعدد دواعي الهجاء لدى الشاعر وترتبط بعاطفته تجاه شخص ما بغضًا له وانتقامًا منه، أو انتصارًا لشخص مضام.، وعادة ترجع أسباب الهجاء إلى خصومات فردية أو صراعات سياسية وخلافات قبلية، ويتعرض الزعماء والأشراف للهجاء أكثر من غيرهم، وقديمًا قالت العرب: «لا زالت الأشراف تهجى وتمدح». ويتعرض الهجاء إلى معاني البخل والجبن والذل والهروب في ساحات الوغى، وأشد الهجاء ما كان عفيفًا وصادقًا.

وإن شاع بين الناس غزل ابن لعبون إلاّ أن للهجاء نصيبًا لا يقل أهمية عن الغزل لدرجة أنه ربما كان هنالك من تشابه بينه وبين الحطيئة. لقد هجا ابن لعبون وأبدى سخطه على كثير ممن وقف ضده أو ضد جماعته وأفحش في ذلك.

ينقسم الهجاء عند ابن لعبون إلى ثلاثة أنواع هي:

١- هجاء خاص:

وهو هجاء شخص بعينه سواء بصريح اسمه ومن ذلك تصريحه بهجاء الشاعر عبدالله بن ربيعة أو متسلم البصرة العثماني كاظم آغا، أو ذكر صفاته مثل الزوج الثاني لهيلة (مي).

٢- هجاء قوم:

هجا ابن لعبون أقوامًا بشكل عام سواء في نجد أو الزبير أو الكويت وهذا الهجاء وإن قصد به مجتمعاً مخصوصاً إلا أنه أطلقه بشكل العموم فقد هجا أهل ثادق وأهل الزبير وأهل الكويت.

هجاء بلد:

تعدى هجاء ابن لعبون للأشخاص والأقوام ليطال بلداناً وذمها والدعاء عليها بعد خروجه منها، ومن ذلك هجاؤه لبلدته ثادق وهجاؤه لموطن أحبته الزبير وهجاؤه لبلد مقره الكويت.

ومجمل القول أن ابن لعبون هجا أقواماً أحبهم وسكن معهم وهجا بلداناً أحبها واستقر بها وأحب أهلها وأحبوه، وما هذا بمستغرب على شاعر فهذه عادة الشعراء وخاصة أولئك الذين لا يجدون في مجتمعاتهم التقدير الذي يطمحون اليه. كما وهذه حال البشر والشعراء خاصة الذين تجري على ألسنتهم وقائع حالهم سراء أو ضراء فيطلقونها صيحة تبقى بعدهم وإن تغير حالهم من نكد إلى سعد وما أسرع ما تتغير ساعات الزمن.

النقائض:

أولى بعض المهتمين بجمع شعر ابن لعبون وشعر ابن ربيعة اهتماماً بالغاً لما أسموه بالنقائض وافتعلوا المناسبات والظروف ليصوروا ما دار بينهما من

معارضات وردود على أنها نقائض، ومن ذلك قول بعضهم إن الحرب استعرت بين ابن لعبون الذي وقف مع جماعته من أهل حرمة وحريملاء وبين نديمه وصديقه الشاعر عبد الله بن ربيعة الذي وقف بجانب جماعته آل ثاقب، حيث تبادل ابن لعبون وابن ربيعة الهجاء المر.

لقد عدت قصائد الهجاء بين الشاعرين كالنقائض بين جرير والفرزدق. وبهذا الصدد يقول خالد بن محمد الفرج[٧] : «وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ففيهما (ابن لعبون وابن ربيعة) تتجلى مناقضات جرير والفرزدق وابن لعبون كجرير في رقة ألفاظه ونفاذ طعناته فهو يحز على المفصل وكالفرزدق عبد الله ابن ربيعة متانة لفظ وسبك ديباجة مع الرصانة وعدم الفحش».

وحول الموضوع نفسه ذكر الأديب عبدالله بن خالد الحاتم ما نصه «فمن هذا حدث التنافس بين الشاعرين وتبادلا الهجاء المر ولكن ابن لعبون أوغل في السب والهجاء من غير تعقل».

إن ما لدينا من شعر ابن لعبون وخاصة شعر ابن ربيعة لا يكفي لتسليط الضوء على ما عده بعض الأدباء نقائض فهنالك الكثير من الحلقات المفقودة في تتبع هذا الموضوع.

وإذا ما سلمنا بوجود مثل هذه النقائض، فإنني لا أستبعد أن يكون ابن لعبون قد اطلع على ما دار بين جرير والفرزدق من نقائض فأراد أن يحيي ذلك من خلال جر ابن ربيعة إلى مثل ذلك الصراع وربما دون علم من الأخير. وربما افتعل ابن لعبون معركة كلامية حقق بها بغيته وظهرت النقائض بعدهما ولتحيي ذكرهما. وإن ما يدعوني لهذا القول أن أياً من الشاعرين أو جماعتهما لم يتأثر بما قاله أي منهما في حق الآخر، وإلا فإن ما قاله ابن لعبون في ابن ربيعة وما قاله ابن ربيعة في ابن لعبون ما كان له أن يمر دونما عقاب بل ودماء، سيما وأنهما في منطقة واحدة وكلاً منهما بين ظهراني جماعة الآخر.

ورب متسائل يقول لماذا لم يترتب على هذا الهجاء بين الشاعرين ردود فعل ولماذا بقي الشاعران صديقين حميمين حتى وقت خروج ابن لعبون من الزبير؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل ربما كانت في رأي الأديب عبد الرزاق العدساني[٨] تتلخص بقوله: «إن ابن لعبون وابن ربيعة لم يهج أحدهما الآخر فهما أبناء قبيلة واحدة وتربطهما أكثر من علاقة وهما صديقان حميمان وإن ما ظنه بعض الناس هجاء هو رمز قصد به شخص آخر وأنها لعبة لعبها الاثنان لئلا يلحق أياً منهما أذى ممن قصدوا هجاءه، ربما أرادا به غريمهما ابن زهير».

وللأديب أبو عبدالرحمن بن عقيل[٩] تصور مشابه فهو يقول: «إن ابن لعبون خرج من الزبير وابن ربيعة من خلّص أصدقائه، وإنما حصل هجاء ابن لعبون لابن ربيعة بعد خروج ابن لعبون من الزبير بقصيدتين». وعلى خلاف ما يدعيه الجمّاع لم يجد أبو عبد الرحمن في جميع شعر ابن ربيعة الذي وصل اليه كلمة سب واحدة في ابن لعبون. ويستطرد أبو عبدالرحمن فيقول: «إنه لا يوجد في شعر ابن لعبون الذي وصل إليه كلمة سب واحدة في ابن ربيعة سوى قصيدتين، الأولى على قافيتي الراء بوصل الهاء في الأخيرة والثانية على قافيتي اللام بوصل الهاء في الأولى».

القصيدة الأولى التي أشار إليها أبو عبدالرحمن قالها ابن لعبون دفاعاً عن صديق له دوسري وأقذع فيها بسب ابن ربيعة، واستهل ابن لعبون قصيدته بقوله إنه ليس من بدأ بالهجاء:

البارحه سهر وادير التفاكير
في ذم نذل بادي بالعيّاره
لا طالب دم يبي له مثاوير
حتى نعذره لو طلبنا بثاره

أما القصيدة الثانية فيكرر ابن لعبون عند معاتبته وهجائه ابن ربيعة أنه ليس من بدأ بالهجاء:

يا عبيد من قصت يمينه شماله
يشوف فعله ذاك عدل ولو مال

يـا بـادي بـالـقـــــــــول هـذا بـدالـه

قـــول بدل قـــول ومـــال عـــوض مـــال

وهجا ابن لعبون من وقف في وجه جماعته وخاصة متسلم البصرة العثماني كاظم آغا فقال:

واســـتـــدرجـــه كـــاظم وكـــاظم زمـــاله

من ركـــبـــهـــا يازي لـهـــا دوم زمـــال

وكما هجا المتنبي حاكم مصر «كافور» هجا ابن لعبون شيخ الزبير علي بن زهير وأقذع في ذلك سامحه الله. وطال أهلها الهجاء، فقال في ذلك قصيدة طويلة ذاع صيتها ومطلعها:

ذا حس طار أو ضـمـيـرك خـفـوقـه

يـدق بـه مـن نـازح الـفـكـر دقـــــــاق

والحي هو حـــيك وطيـــبـــه وفـــوقـــه

والـدار هـي دارك وهـذيـك الاســـــــواق

ومن هجاء ابن لعبون لأحد أصدقائه مستفزاً ومازحاً قوله:

جـــــــانـا يـتـــــــخـنـطـل

يمـــشـــي عـــلـــى الـــطـــل

بـيـــــــر مـــــــعـطـل

وقـــصـــر مـــشـــيـــد

الحكمة والأمثال:

تمثل الحكمة دلالة على حنكة الشاعر وخبرته وبعد نظره في معالجة الأمور وملمات الحياة، وقد أكثر الشعراء من ذكر الموت وما بعده، والسعي للمجد والسؤدد والرياسة والعز والشرف ومراتب العلا.

لقد برع الشاعر ابن لعبون في هذا الغرض وجرت الحكمة على لسانه وصاغها شعراً وضرب الأمثال ليطرز بها قصائده. وقد أكثر ابن لعبون من الحكم

والأمثال حتى كاد من النادر أن لا تجدها في قصيدة له. ويتضمن الفصل التاسع أمثلة لما ورد في شعر ابن لعبون من حكم وما ضربه أو استعان به من أمثال ومن أشهر الأمثال التي ابتدعها ابن لعبون وما زال الناس يرددونها قوله:

الصج يبـــقى والتـــصنف جـــهـــاله

والجـــد مـــا لانت مطاويه بتـــفـــال(*)

التـوبـــة:

عادة ما يختتم شعراء النبط حياتهم الشعرية أو حياتهم الدنيوية بقصيدة عصماء مؤثرة، يتجلى فيها صدق مشاعرهم وخوفهم من الله ورجاؤهم لمغفرته عما بدر منهم أيام غيهم وتغزلهم، وما اقترفوه من سيئ أعمالهم. سار ابن لعبون على عادة الشعراء في ذلك فنضم قصيدة تُعَدّ من عيون شعره ومطلعها:

كل شي غـــيـــر ربك والعـــمل

لـو تـزخـــرف لك مـــرده لـلـزوال

مـــا يـدوم الـعـــز عـــز الله وجـل

في عـــدال مـــا بدا فـــيـــه الميـــال

والـذي يـنـقـــاد بـزمـــام الأمـل

لا تـغـــبطه في زغـــاتيـــر الـهـــبـــال

اســـتـــغـــفـــر الله عن كـــثـــر الزلل

واســـتـــعين عنايتـــه في كل حـــال

زل دهرك يـا مـــحـــمـــد بـالـغـــزل

والـغـــزال الـلـي تـهـــزا بـالـغـــزال

ومع أن مقام هذه القصيدة كما ذكرنا التوبة إلاّ أنه لم يترك الغزل بعيدًا عنها، ففيها يتغزل ويجيد الغزل ويتفنن فيه غفر الله له.

(*) الصج: الصدق. التصنف: الهزل وفي قول التصنع: النفاق. الجد: القد جلد يقطع على هيئة خيوط يربط به الخشب وغيره فإذا يبس أصبح قاسياً.

الهـوامش

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية)، صحيفة الجزيرة العدد ٨٤٠٢، ٦ جمادى الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر لنبط) ج١، ص ٢٥٩، وخالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد) ج١، ص١٤١.

(٣) عبداللطيف سعود البابطين (من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر العوام)، ص ١٩٩.

(٤) رواية محمد بن غنام، الرياض، صفر ١٤١٨هـ.

(٥) سعد بن راشد الشليل (من قصائد المرثيات في الشعر النبطي من الشعراء والشاعرات)، ج١ص١٦٤.

(٦) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري (ابن لعبون وذات القناع)، صحيفة الجزيرة العدد ٨٩٩٧ في ١١ محرم ١٤١٨هـ.

(٧) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد) ج١، ص٨١.

(٨) عبدالرزاق العدساني، مقابلة شخصية، الكويت، ١٩٩٥م.

(٩) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري (إخراج ابن لعبون من الركام)، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٣٠هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٢٦م.

✱✱✱✱

الفصل الرابـــع

أغراض شعـــر ابن لعـبون

تطرق ابن لعبون في شعره إلى كل عناصر الشعر، وملك مقدرة على النظم في كل الفنون غزلاً ووصفًا ومديحًا وهجاء وشكوى وعتابًا ورثاء. وإن كان قد غلب على ما حفظه الناس عنه وتغنوا به شعر الغزل ومن الشعر ما خف على الطار، إلاّ أن له شعرًا بليغًا تحسبه من بلاغته من عيون الشعر الجاهلي.

ميزات شعر ابن لعبون:

يتسم شعر ابن لعبون وبشكل عام بميزة واضحة أنه من الشعر السهل الممتنع، فمع قوة العبارة ومتانتها وجزالة المفردة وحسن اختيارها وبلاغة التعبير وجودة السبك فإنك تقرأ شعر ابن لعبون أو تسمعه وكأنك أمام راوية يسرد لك رواية دونما تكلف أو تعثر أو وقفة. لقد تميز شعر ابن لعبون في مطالع قصائده وأوزانه وفنونه ومفرداته،و التي وإن عبث بها الرواة وبدلوها بغيرها تحتفظ بجرسها وإيقاعاتها دونما خلل. عندما يتغزل ابن لعبون تجده يلامس شغاف القلوب بلطافة ونعومة كلماته ويبدع في ذلك دونما تكلف والكلمات تتسابق إلى شفتيه يشكلها كيفما شاء وتصطف القوافي وبتناسق لتختم أبيات شعره، إذا مدح كأنه لا يريد لمن يأتي بعد أن يجد ما يمدح به، وإذا هجا لا مجال لتفادي طعناته، وإذا تشكى أبكى، وإذا وصف أوفى.

إن قراءة سريعة في شعر ابن لعبون تبين السمات التالية:

١- لقصائده مواضيع محددة يبدأها وينهيها.

٢- يحدد في معظم قصائده الأماكن التي يتحدث عنها أو يصفها.

٣- كثيراً ما يذكر أسماء اشخاص استعارة أو تلميحاً أو كناية أو وصفاً.

٤- نادراً ما يذكر الصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في خواتيم قصائده المغناة.

٥- يكاد شعره يلتزم ببحور معينة وخاصة تلك التي ابتكرها وتعرف بالفنون.

٦- نادراً وربما لم ينظم السامري.

٧- لقصائده وحتى المغناة منها قوة سبك ومفردات وعبارات متميزة.

٨- قد تحمل قصائده مفردات من لهجات مختلفة.

٩- تكاد لا تخلو أية قصيدة له من مثل أو حكمة أو استشهاد.

١٠- لقصائده الطويلة نفس الشعر العربي الجاهلي.

ومن أهم أغراض شعره:

شعر المراسلات:

عمد ابن لعبون إلى نظم القصائد وإرسالها إلى أقربائه وأحبته وأصدقائه من أمراء وأدباء وشعراء في مختلف مناطق نجد والساحل، فبعث ابن لعبون إلى أحمد بن ضاحي العون وأحمد بن محمد السديري وعبد الله بن ربيعة وغيرهم بقصائد، إما يبث من خلالها لواعجه أو حامداً الله على سلامتهم لطارئ ألم بهم أو معاتباً أو غير ذلك.

يمثل شعر المراسلات فناً تجلت فيه خلفية ابن لعبون الأدبية فهو بعد الاستهلال بالنسيب يصف الإبل وصفاً دقيقاً وكأنه حادٍ لها مبيناً أنواع سيرها وما تقطعه من مفازات ومراحل ويحث المطايا لحمل رسائله إلى من أرسلها له.

تعد قصيدة ابن لعبون البائية التي بعث بها من الكويت إلى ابن عمه أحمد بن ضاحي بن عون في الزبير من عيون شعره، ومطلع القصيدة هو:

يا ركب ما سرتوا بيوسف ليعقوب

قبل الفجر ينباج والليل غربيب

درس الأديب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري هذه القصيدة وبين بلاغتها وفسر ألفاظها وأوضح ما غمض من معانيها مبيناً عبقرية ابن لعبون وعمق معانيه وما يرمي إليه[1].

النسيب والغزل:

يتعرض الشعراء للمرأة في قصائدهم إما غزلاً أو نسيبًا أو تشبيبًا، فالغزل التعرض للنساء لاستمالتهن، أما النسيب فهو استهلال القصيدة بالغزل وذكر المرأة. أما التشبيب فهو التعرض للمرأة بالشعر. وربما استعمل بعضهم هذه الكلمات الثلاث بمعنى الغزل، وعادة ما يصدّر الشاعر قصيدته بالنسيب.

ومن صفات المرأة أو الحبيبة التي يتغنى بها الشعراء جمال العيون وفتورها، وطول الرقبة والتفاتتها، وضمور البطن، وكبر الكفل، وسواد الشعر وطوله واسترساله، وقد يتعدى الوصف إلى طيب رائحة الفم وحلاوة الريق وما إلى ذلك.

ومن ذلك قول ابن لعبون:

أبو ردوف كما الاطعاس
ومحلّي الوسط مهضومك
ريحة نفسها كريح الياس
ورد وعنبر ومشمومك

وقوله:

والشفايا اللي كما ذوب العسل
من جنى جناتها السلسال سال
عاطلات الريم وادمى الرمل
مع نبات ظلهن عندي ظلال

ذكرنا أن ابن لعبون نهج منهج الأقدمين في استهلال قصائد المديح بالنسيب، إلاّ أن ذلك الغزل ليس لذاته وإنما ليكون مدخلاً لما أراد. أما الشعر الغزلي عند ابن

لعبون فهو الباب الذي دخل منه إلى قلوب الناس وجعلهم يحفظون شعره ويتغنون به، فمعظم قصائده كانت غزلية خفيفة على ألسن الناس والطار.

وحتى في مرثيته لحبيبته يتغزل بجمالها بقوله:

وخـــد هل بـه بدر الـتـــمـــامـــا
وجـــعـــد فـــوق منبـــوز الـعـــجـــازي
فـــلا بـي عـــقـــبـــهـــا زاد ولامـــا
وجـــزت امن الـغـــوى والـغي جـــازي

الوصف:

أبدع ابن لعبون في الوصف سواءً لجمال محبوبته أو مفاتنها أو ما حوله من عالم يدور حول محبوبته، ووصف الخيل والظعائن والحرب والرياض والأطلال والأحبة والرجال، ووصف الأطلال وهي خوالٍ من ساكنيها، فأبدع في ذلك أيما إبداع. وعندما يصف ابن لعبون وتقرأ وصفه كأنك تقرأ لامرئ القيس أو أحد شعراء المعلقات، ومن ذلك قوله:

ضـحـوك اللمى مـدمـوجـة الساق كـالقنا
هضـوم الحـشـا مـرتج الأرداف مـهـيـافِ
إلـى قلت هاتـي حـــاجـــة لـي ودنقت
تـنـثـــر لـهـــا ظليل ســـافٍ على ســـاف
على مي جـــيـــد الريم والعين عـــيـنهـــا
والخـــد كنه بدر الأنصـــاف بوصـــاف

الفخر:

للحماسة والفخر نصيب كبير في شعر العرب وإثارة قرائح الشعراء، فدواعي الحماسة كثيرة منها الاستجابة للمستنجد، وإغاثة الملهوف، والذود عن الحياض، والانتصار للمظلوم، واستنفار الحلفاء والأصدقاء، ووصف الصراع والحرب،

والتغني والتباهي بالانتصار. وللفخر دواعيه ليعزز الحماسة ويذكيها. فقد يتغنى الشاعر بأفعاله الشخصية، أو بحسبه ونسبه، أو بأفعال قبيلته وأيامها وأمجادها، وقد يتعدى الشاعر حدود قبيلته ليفاخر بأمجاد بلده ومآثر قبائلها؛ كل ذلك ليشحذ الهمم ويقوي العزائم لمواجهة المنافسين والخصوم. ويشتمل الفخر على التحلي بكثير من القيم الأخلاقية، كالبعد عن اللؤم والبخل، والصبر على المصائب والجوع والعطش، وإباء الضيم، وتحمل أعباء الآخرين، أو نوائب الزمان.

افتخر ابن لعبون بحسبه ونسبه ومآثر قبيلته ورجالها من بني وائل كما يفعل معظم الشعراء، وتعدى ذلك للتفاخر بأمجاد من دافع عنه وانتصف له، ويتجلى ذلك بوضوح حين وقف بصف ابن حسن الدوسري وتصدى لمنافسه وصديقه الشاعر عبدالله بن ربيعة بقصيدة منها قوله:

حنا هل الوادي وحنا المناعير
وحنا ودينا جارنا من جداره
يشهد لنا جريس اليماني بتفخير
يومن عن اهل الدين محمد أجاره
ما حدرت وديان بيشة مياسير
كل اليمن بالسيف نملك اديارة
عند المجد انشد ولد يام وامطير
وانشد جماجم روسهم عند واره

المديح:

يتناول المدح بشكل عام أفرادًا وقبائل، ويكاد يتفق الشعراء في معاني المدح، ومنها الشجاعة والكرم والنجدة والوفاء ونجابة الأصل. وربما عمد الشاعر لمدح شخص لمنفعة خاصة، أو تقديرًا لكرمه أو مروءته وفي ذلك تشجيع له.

نحا ابن لعبون في استهلال قصائد المديح منحى شعراء العرب. فقد جرت عادة الشعراء تقديم القصيدة بأبيات غزلية تعرف بالنسيب، وقد يذكر ابن لعبون

اسم ممدوحه صريحًا كاملاً، اسمًا ولقبًا في قصائده، وربما يذكر الاسم الأول أو الأخير فقط، أو يكني في قصائد أخرى. ومن أكثر الذين حظوا بمديحه الشيخ محمد بن إبراهيم بن ثاقب والشيخ ضاحي بن عون وابنه أحمد بن ضاحي والأمير أحمد السديري. وفي المديح ركز ابن لعبون على صفات الرجولة والشجاعة والكرم، وربما بلغ المديح حد المبالغة أو الغلو في خلع صفات الكرم أو الشجاعة على الممدوح، على شاكلة معظم الشعراء.

ومن مديح ابن لعبون لشيخ الزبير محمد بن ثاقب قوله:

أصطى من الضرغام وأمضى عزايم
وأقطع من الصمصام وأكرم من الديم
معطي الجسايم ومهيوب النسايم
عوق الخصيم وشوق كنّه الريم

لقد جمع ابن لعبون في البيت الأول كل معاني المديح وما أظنه ترك لغيره ما يمدح به، فليس بعد الأسد من سطوة، وليس أقطع من السيف شيئاً، وليس هنالك ما هو أكرم من الغيوم.

وتتجلى بلاغة ابن لعبون مرة أخرى في معرض مديحه لأحمد بن ضاحي بن عون بقوله:

وقامت حروف الحمد وقف على أحمد
فالألف والحا تشمل الميم والدالِ
على مستجار لو يلوذ بجنابه
خشم الرعن خوف النجم جاوله جالي

الرثاء:

إن كان «أعذب الشعر أكذبه» فإن أصدق الشعر هو الرثاء، كمراثي الأقرباء من الأهل والأصدقاء خاصة، فعاطفة الحزن لفراق عزيز أو كريم أو شريف عاطفة

صادقة ولا سيما عندما يُرثى قريب أو حبيب، وقد يرثي الشاعر نفسه. ويعمد الشاعر في الرثاء إلى ذكر مناقب المرثي - بمعنى الثناء - كالتي يعتمد عليها المدح، وقد يلزم الشاعر نفسه بوعود أو عهود للمرثي، ويختتم الشاعر مرثيته بالدعاء للمرثي بسقيا قبره وبالصفح والغفران له.

لقد تطرقنا في موضوع ميّ وما طرحناه من تساؤلات حول هذا الاسم أحقيقي هو أم مستعار وذكرنا اجتهاداتنا للإجابة عليها، وهل مي هي مي أم هي هيلة أم شاهة أم أخرى غيرهن، ونتساءل هنا من هذه التي رثاها ابن لعبون؟. لقد أجمعت المصادر على أن من رثاها ابن لعبون كانت قد ماتت وهي في الحج[٢] أو في المدينة المنورة [٣] ولكن هل هي محبوبته، هكذا كما ورد في معظم المراجع دونما تحديد لاسمها؟ هل هي مي المطيرية [٤] التي تعلق بها قلبه في ثادق أم هل هي زوجته كما ذكر ذلك سعد بن راشد الشليل [٥] ومثل ذلك ما ذكره الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري [٦].

أياً كانت هذه التي رثاها ابن لعبون رحمهما الله بواسع رحمته فقد كانت هذه القصيدة المرثية الوحيدة التي وجدناها في شعر ابن لعبون، وتعد من عيون شعره وعارضها عدد من الشعراء ومنهم عبدالمحسن الطباطبائي ومطلعها:

سقى صوب الحيا مزن تهاما
على قبر بتلعات الحجازي
بفقدي له ووجدي والغراما
تعلمت النياحة والتعازي
على بخت الدهر ليته تعامى
وخلاها وليته ما يوازي

الشكوى والعتاب:

لقد فرضت صُروف الحياة على الشاب الشاعر ابن لعبون ظروفًا لا طاقة لمثله بها، ولكنه تجلد وقاسى وبثّ ذلك شعرًا ففيه لنفسه متنفس. وقد بعث لمن يثق به وبنجدته شاكيًا له ومستنجدًا به أو يبثه لواعجه وأشجانه.

بعث ابن لعبون بقصائد شكوى وعتاب إلى عدد من أقربائه وأصدقائه ومعارفه ومن أولئك الشيخ أحمد بن ضاحي بن عون والأمير أحمد السديري والشاعر عبد الله بن ربيعة.

تذمر ابن لعبون من حياته وتمنى كالمعري أنه لم يأت إلى هذه الدنيا، وها هو يلوم أبويه على ذلك بقوله:

لو باتمنى قلت ياليت من غـــــاب
ولا حـــضـــر باللوح واللي كـــتب به
أمي وأبوي اللي رمـــوني بالاســـبـــاب
ياليـــتـــهـــا بعـــد الحـــمـــال أســـقطت به

وقوله:

لو باتمنى قلت ياليت من مـــــات
حـــيث الطرب ووصـــال الاحـــبـــاب فـــاته
ويقلب الحـــــزن الطويل الذي فـــــات
ينصـــــاه في قلب الخلي واعـــــداته

الهجاء:

تتعدد دواعي الهجاء لدى الشاعر وترتبط بعاطفته تجاه شخص ما بغضًا له وانتقامًا منه، أو انتصارًا لشخص مضام.، وعادة ترجع أسباب الهجاء إلى خصومات فردية أو صراعات سياسية وخلافات قبلية، ويتعرض الزعماء والأشراف للهجاء أكثر من غيرهم، وقديمًا قالت العرب: «لا زالت الأشراف تهجى وتمدح». ويتعرض الهجاء إلى معاني البخل والجبن والذل والهروب في ساحات الوغى، وأشد الهجاء ما كان عفيفًا وصادقًا.

وإن شاع بين الناس غزل ابن لعبون إلاّ أن للهجاء نصيبًا لا يقل أهمية عن الغزل لدرجة أنه ربما كان هنالك من تشابه بينه وبين الحطيئة. لقد هجا ابن لعبون وأبدى سخطه على كثير ممن وقف ضده أو ضد جماعته وأفحش في ذلك.

ينقسم الهجاء عند ابن لعبون إلى ثلاثة أنواع هي:

١- هجاء خاص:

وهو هجاء شخص بعينه سواء بصريح اسمه ومن ذلك تصريحه بهجاء الشاعر عبدالله بن ربيعة أو متسلم البصرة العثماني كاظم آغا، أو ذكر صفاته مثل الزوج الثاني لهيلة (مي).

٢- هجاء قوم:

هجا ابن لعبون أقوامًا بشكل عام سواء في نجد أو الزبير أو الكويت وهذا الهجاء وإن قصد به مجتمعاً مخصوصاً إلا أنه أطلقه بشكل العموم فقد هجا أهل ثادق وأهل الزبير وأهل الكويت.

هجاء بلد:

تعدى هجاء ابن لعبون للأشخاص والأقوام ليطال بلداناً وذمها والدعاء عليها بعد خروجه منها، ومن ذلك هجاؤه لبلدته ثادق وهجاؤه لموطن أحبته الزبير وهجاؤه لبلد مقره الكويت.

ومجمل القول أن ابن لعبون هجا أقواماً أحبهم وسكن معهم وهجا بلداناً أحبها واستقر بها وأحب أهلها وأحبوه، وما هذا بمستغرب على شاعر فهذه عادة الشعراء وخاصة أولئك الذين لا يجدون في مجتمعاتهم التقدير الذي يطمحون اليه. كما وهذه حال البشر والشعراء خاصة الذين تجري على ألسنتهم وقائع حالهم سراء أو ضراء فيطلقونها صيحة تبقى بعدهم وإن تغير حالهم من نكد إلى سعد وما أسرع ما تتغير ساعات الزمن.

النقائض:

أولى بعض المهتمين بجمع شعر ابن لعبون وشعر ابن ربيعة اهتماماً بالغاً لما أسموه بالنقائض وافتعلوا المناسبات والظروف ليصوروا ما دار بينهما من

معارضات وردود على أنها نقائض، ومن ذلك قول بعضهم إن الحرب استعرت بين ابن لعبون الذي وقف مع جماعته من أهل حرمة وحريملاء وبين نديمه وصديقه الشاعر عبد الله بن ربيعة الذي وقف بجانب جماعته آل ثاقب، حيث تبادل ابن لعبون وابن ربيعة الهجاء المر.

لقد عدت قصائد الهجاء بين الشاعرين كالنقائض بين جرير والفرزدق. وبهذا الصدد يقول خالد بن محمد الفرج[٧] : «وإذا كان التاريخ يعيد نفسه ففيهما (ابن لعبون وابن ربيعة) تتجلى مناقضات جرير والفرزدق وابن لعبون كجرير في رقة ألفاظه ونفاذ طعناته فهو يحز على المفصل وكالفرزدق عبد الله ابن ربيعة متانة لفظ وسبك ديباجة مع الرصانة وعدم الفحش».

وحول الموضوع نفسه ذكر الأديب عبدالله بن خالد الحاتم ما نصه «فمن هذا حدث التنافس بين الشاعرين وتبادلا الهجاء المر ولكن ابن لعبون أوغل في السب والهجاء من غير تعقل».

إن ما لدينا من شعر ابن لعبون وخاصة شعر ابن ربيعة لا يكفي لتسليط الضوء على ما عده بعض الأدباء نقائض فهنالك الكثير من الحلقات المفقودة في تتبع هذا الموضوع.

وإذا ما سلمنا بوجود مثل هذه النقائض، فإنني لا أستبعد أن يكون ابن لعبون قد اطلع على ما دار بين جرير والفرزدق من نقائض فأراد أن يحيي ذلك من خلال جر ابن ربيعة إلى مثل ذلك الصراع وربما دون علم من الأخير. وربما افتعل ابن لعبون معركة كلامية حقق بها بغيته وظهرت النقائض بعدهما ولتحيي ذكرهما. وإن ما يدعوني لهذا القول أن أياً من الشاعرين أو جماعتهما لم يتأثر بما قاله أي منهما في حق الآخر، وإلا فإن ما قاله ابن لعبون في ابن ربيعة وما قاله ابن ربيعة في ابن لعبون ما كان له أن يمر دونما عقاب بل ودماء، سيما وأنهما في منطقة واحدة وكلاً منهما بين ظهراني جماعة الآخر.

ورب متسائل يقول لماذا لم يترتب على هذا الهجاء بين الشاعرين ردود فعل ولماذا بقي الشاعران صديقين حميمين حتى وقت خروج ابن لعبون من الزبير؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل ربما كانت في رأي الأديب عبد الرزاق العدساني[٨] تتلخص بقوله: «إن ابن لعبون وابن ربيعة لم يهج أحدهما الآخر فهما أبناء قبيلة واحدة وتربطهما أكثر من علاقة وهما صديقان حميمان وإن ما ظنه بعض الناس هجاء هو رمز قصد به شخص آخر وأنها لعبة لعبها الاثنان لئلا يلحق أياً منهما أذى ممن قصدوا هجاءه، ربما أرادا به غريمهما ابن زهير».

وللأديب أبو عبدالرحمن بن عقيل[٩] تصور مشابه فهو يقول: «إن ابن لعبون خرج من الزبير وابن ربيعة من خلّص أصدقائه، وإنما حصل هجاء ابن لعبون لابن ربيعة بعد خروج ابن لعبون من الزبير بقصيدتين». وعلى خلاف ما يدعيه الجمّاع لم يجد أبو عبد الرحمن في جميع شعر ابن ربيعة الذي وصل اليه كلمة سب واحدة في ابن لعبون. ويستطرد أبو عبدالرحمن فيقول: «إنه لا يوجد في شعر ابن لعبون الذي وصل إليه كلمة سب واحدة في ابن ربيعة سوى قصيدتين، الأولى على قافيتي الراء بوصل الهاء في الأخيرة والثانية على قافيتي اللام بوصل الهاء في الأولى».

القصيدة الأولى التي أشار إليها أبو عبدالرحمن قالها ابن لعبون دفاعاً عن صديق له دوسري وأقذع فيها بسب ابن ربيعة، واستهل ابن لعبون قصيدته بقوله إنه ليس من بدأ بالهجاء:

البارحه سهر وادير التفاكير
في ذم نذل بادي بالعيّاره
لا طالب دم يبي له مثاوير
حتى نعذره لو طلبنا بثاره

أما القصيدة الثانية فيكرر ابن لعبون عند معاتبته وهجائه ابن ربيعة أنه ليس من بدأ بالهجاء:

يا عبيد من قصت يمينه شماله
يشوف فعله ذاك عدل ولو مال

يـا بـادي بـالـقـــــــــول هـذا بـدالـه

قـــول بدل قـــول ومـــال عـــوض مـــال

وهجا ابن لعبون من وقف في وجه جماعته وخاصة متسلم البصرة العثماني كاظم آغا فقال:

واســـتـــدرجـــه كـــاظم وكـــاظم زمـــاله

من ركـــبـــهـــا يازي لـهـــا دوم زمـــال

وكما هجا المتنبي حاكم مصر «كافور» هجا ابن لعبون شيخ الزبير علي بن زهير وأقذع في ذلك سامحه الله. وطال أهلها الهجاء، فقال في ذلك قصيدة طويلة ذاع صيتها ومطلعها:

ذا حس طار أو ضـمـيـرك خـفـوقـه

يـدق بـه مـن نـازح الـفـكـر دقـــــــاق

والحي هو حـــيك وطيـــبـــه وفـــوقـــه

والـدار هـي دارك وهـذيـك الاســـــــواق

ومن هجاء ابن لعبون لأحد أصدقائه مستفزاً ومازحاً قوله:

جـــــــانـا يـتـــــــخـنـطـل

يمـــشـــي عـــلـــى الـــطـــل

بـيـــــــر مـــــــعـطـل

وقـــصـــر مـــشـــيـــد

الحكمة والأمثال:

تمثل الحكمة دلالة على حنكة الشاعر وخبرته وبعد نظره في معالجة الأمور وملمات الحياة، وقد أكثر الشعراء من ذكر الموت وما بعده، والسعي للمجد والسؤدد والرياسة والعز والشرف ومراتب العلا.

لقد برع الشاعر ابن لعبون في هذا الغرض وجرت الحكمة على لسانه وصاغها شعراً وضرب الأمثال ليطرز بها قصائده. وقد أكثر ابن لعبون من الحكم

والأمثال حتى كاد من النادر أن لا تجدها في قصيدة له. ويتضمن الفصل التاسع أمثلة لما ورد في شعر ابن لعبون من حكم وما ضربه أو استعان به من أمثال ومن أشهر الأمثال التي ابتدعها ابن لعبون وما زال الناس يرددونها قوله:

الصج يبـــقى والتـــصنف جـــهـــاله

والجـــد مـــا لانت مطاويه بتـــفـــال(*)

التـوبـــة:

عادة ما يختتم شعراء النبط حياتهم الشعرية أو حياتهم الدنيوية بقصيدة عصماء مؤثرة، يتجلى فيها صدق مشاعرهم وخوفهم من الله ورجاؤهم لمغفرته عما بدر منهم أيام غيهم وتغزلهم، وما اقترفوه من سيئ أعمالهم. سار ابن لعبون على عادة الشعراء في ذلك فنضم قصيدة تُعَدّ من عيون شعره ومطلعها:

كل شي غـــيـــر ربك والعـــمل

لـو تـزخـــرف لك مـــرده لـلـزوال

مـــا يـدوم الـعـــز عـــز الله وجـل

في عـــدال مـــا بدا فـــيـــه الميـــال

والـذي يـنـقـــاد بـزمـــام الأمـل

لا تـغـــبطه في زغـــاتيـــر الـهـــبـــال

اســـتـــغـــفـــر الله عن كـــثـــر الزلل

واســـتـــعين عنايتـــه في كل حـــال

زل دهرك يـا مـــحـــمـــد بـالـغـــزل

والـغـــزال الـلـي تـهـــزا بـالـغـــزال

ومع أن مقام هذه القصيدة كما ذكرنا التوبة إلاّ أنه لم يترك الغزل بعيدًا عنها، ففيها يتغزل ويجيد الغزل ويتفنن فيه غفر الله له.

(*) الصج: الصدق. التصنف: الهزل وفي قول التصنع: النفاق. الجد: القد جلد يقطع على هيئة خيوط يربط به الخشب وغيره فإذا يبس أصبح قاسياً.

الهـوامش

(١) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية)، صحيفة الجزيرة العدد ٨٤٠٢، ٦ جمادى الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر لنبط) ج١، ص ٢٥٩، وخالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد) ج١، ص١٤١.

(٣) عبداللطيف سعود البابطين (من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر العوام)، ص ١٩٩.

(٤) رواية محمد بن غنام، الرياض، صفر ١٤١٨هـ.

(٥) سعد بن راشد الشليل (من قصائد المرثيات في الشعر النبطي من الشعراء والشاعرات)، ج١ص١٦٤.

(٦) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري (ابن لعبون وذات القناع)، صحيفة الجزيرة العدد ٨٩٩٧ في ١١ محرم ١٤١٨هـ.

(٧) خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد) ج١، ص٨١.

(٨) عبدالرزاق العدساني، مقابلة شخصية، الكويت، ١٩٩٥م.

(٩) أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري (إخراج ابن لعبون من الركام)، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٣٠هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٢٦م.

✱✱✱✱

الفصل الخامس

البديع في شعر ابن لعبون

بلاغته الأدبية:

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من صدر بيت أو عجزه أو بيت بأكمله أو عدة أبيات من لفتات ذهنية، أو براعة بلاغية أو توافق معانٍ أو كلمات أو حكمة أو مثل أو غيرها من البراعات الأدبية. ومع أننا سنشير إلى تلك البراعات حيث ترد في الديوان، إلاّ أننا سنورد هنا أمثلة قليلة على ما ذكرنا.

وقبل الخوض في بلاغة ابن لعبون الأدبية نجد أنفسنا أمام تساؤلات حول ما نعده من التضمينات والاقتباسات في شعره. ومن هذه التساؤلات التي تتبادر إلى الذهن هل هذه تضمينات واقتباسات من ابن لعبون أم أنها مجرد لفتات ذهنية وتوارد خواطر؟. إنها وقفة تساؤل جديرة بالدراسة والتمحيص وسنعلق على ذلك في حينه.

يجد المتمعن في شعر ابن لعبون أنه متمكن من اللغة، مطلع على خباياها، قارئ لجهابذة شعرائها، سواء أكانوا من الجاهليين أم الإسلاميين، ولقد اقتبس منهم وحاكاهم وقلّدهم في حكمهم. وعرّج على ذكر أسماء بعضهم تلميحًا أو تصريحًا. أخذ ابن لعبون من فحول الشعراء ووافقهم في معانيهم وكلماتهم وصاغها بشعر نبطي بسيط المعنى، سلس الأسلوب، بعيدًا عن مفردات الفصحى التي يصعب على معظم من حوله فهمها. لقد بلغت ثقة ابن لعبون بنفسه أنه ردّ معاني بعض فحول الشعراء عليهم بل وابتدع كلمات جديدة.

حُسن استهلاله لقصائده:

تتجلى شاعرية ابن لعبون في حسن اختياره لمطالع قصائده وهذا ما يعرف بالاستهلال. لقد عمد ابن لعبون إلى انتقاء مفردات وموسيقى وغرابة مطالع قصائده. كما كرر مطالع معينة تميز بها عن غيره من الشعراء، ومن تلك المطالع حيّ المنازل، ويا (ياء الخطاب)، قال، قالت، نح، لو باتمنى وغيرها. ومن خلال استعراض هذه المطالع يتبين لنا تقصده في انتقائها لما لها من وقع محسوس في لفت انتباه سامعيه وبهذا يتمكن من شدّهم إليه.

شعره العاميّ الفصيح:

إن براعة ابن لعبون في الشعر النبطي لم تأخذه بعيدًا عن لغته العربية الفصحى، وهو المتمكن منها والضليع في آدابها، فقد جمع بين العامية والفصحى في قصائد نادرة هي شواهد على براعته. فعند ابن لعبون أبيات بل قصائد يقرؤها العامي فإذا هي من عيون شعر النبط، ويقرؤها العربي المثقف فيحسبها من عيون الشعرالعربي وكثيراً ما انتهج في نظمه البحور العربية كبحر الطويل وبحر الوافر وبحر الرمل وغيرها. كما وتجد بين ثنايا شعره كلمات عربية بل شطور أبيات وردت في شعر الأقدمين وكأنها درر تطرز شعره وتدلّ على درايته بعيون الشعر العربي ومراتع شعرائه وأطلالهم.

هنالك العديد من القصائد التي تتضمن أبياتًا تقرأ بالفصحى كما تقرأ بالعامية بدون إضافة أو تعديل أي حرف فيها، وهنالك العديد من الأبيات التي تقرأ بالفصحى بعد تعديل حرف أو حرفين، ونجد أبياتًا لا تحتاج إلا لتغيير كلمة واحدة لتقرأ بالفصحى، ويستطيع القارئ أن يلمس ذلك من خلال تصفحه لديوان ابن لعبون. وفي معرض التمثيل لا السرد نستشهد على ما ذكرنا بأبيات من ثلاث قصائد:

الشعر الذي يُقرأ بالفصحى والعامية في شعر ابن لعبون بدون إضافة أي حرف:

يقول واصفًا محبوبته:

وهذي صـــفـــحـــة القـــرطاس عندي
وقـــــرِّبْ لـي دواةً يـا ســـــلامـــــه
بـخـــــدٍّ نـاعـم منـهـــا وجـــيـــد
ورفـــرافٍ كـــمـــا ريش النعـــامـــه

ويقول معرضًا بمن يلومه في الحب:

فكم لـي عـــاذل من غـــيـــر لُبٍّ
يُعـــرّض بـالنصـــيـــحـــة والملامـــه

ويقول :

يلوح السنا فـيـــهـــا كـــمـــا لاح زُرْقـــه
على خَـــدِّ مَيٍّ من بقـــايا وشـــومـــهـــا

وقوله :

مـــــرابـيـع ميٍّ قـــــبـل هذا وزينـبٍ
وهند وليلى في مـــجـــاري رســـومـــهـــا

بالإضافة إلى أنصاف الأبيات الشعرية التي تقرأ بالفصحى بعد تغيير حرف أو حرفين ومن ذلك:

قوله في محبوبته:

بـجـــــور دائـمٍ منـهـــــا وَصَـــــدٍّ
وهـجـــران إلى يـوم القـــيـــامـــه

وقولـــه :

تروم البـــقـــا فـيـــهـــا وترجـــو لمثلهـــا
وهذا غـــراب البين فـــيـــهـــا يرومـــهـــا

وقوله:

وعلمي بهم قطنا على جَـــــو ثادقٍ
سقاها مرنات الغوادي ركومها

وقوله :

ألا يا شقا قلبي من الضيم والعنا
وصفق الهوى يا مي في كل عاير

وقوله :

ألا يا طبيب الهند بالله دواني
فروحي على جرفٍ من الموت هاير

وقوله :

مواعيدها بالقيظ والقيظ منقضٍ
وهذي بروق الوسم مثل الذخائر

وهذه أبيات من ضمن الأبيات التي تقرأ بالعربية بعد استبدال كلمة أو حرف:

ودارٍ بناها والقنا يقرع القنا
كما دار بالقطب الشمالي نجومها

وقوله :

عساها تمنيني بغالي تحية
لتُحْيي بها روحي وتجلو همومها

وقوله :

فيا عاشقًا في بلدة الغرب غربها
ويا عاشقًا في بلدة الروم رومها

وقوله :

وقالوا نال منها ما تمنى
وإني لم أنلْ إلا الندامه

الرباعيات (المروبع):

جارى ابن لعبون شعراء عصره والأقدمين ممن اعتنوا بألفاظ الشعر ورونقه باستخدام القوافي المشتركة. فقد ذكر ابن خلدون[1] هذا النوع من الشعر بقوله: «ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يجيئون به معصباً على أربعة أجزاء يخالف آخرها الثلاثة في روّيه ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيهاً بالمربع والمخمس الذي أحدثه المتأخرون من المولدين».

وقوافي المروبع وهي ثلاث كلمات لها ثلاثة معانٍ مختلفة، ويجوز للشاعر اختيار هذه الكلمات وإن لم يكن رسمُها واحدًا، إنما يراعى في ذلك تشابه لفظها. لقد شاع استعمال هذا النوع من النظم في المنطقة، وكان الشاعر يستعين بكلمات عامية وعربية، وأحيانًا يورد كلمتين أو أكثر يوصلها ببعضها ليتشابه نطقها مع الكلمات الأخرى التي تنتهي بها الأشطر الثلاثة الأولى من الرباعية. ويسمي العامة وشعراء النبط هذا النوع من الشعر بالمروبع.

وابن لعبون استعمل هذا النوع من الشعر وبرع فيه، فله عدة قصائد ينتهي صدر وعجز البيت الأول، وكذلك صدر البيت الثاني بكلمات لها النطق نفسه، ولكنها مختلفة المعنى، أما قافية البيت الثاني فهي كلمة أخرى، ويلتزم بها قافية للقصيدة بأكملها.

ومثال ذلك الآتي:

فـــــاتن ورود من صـــــوافي شنابه
ودي تقـــضى بالهـــوى من شنا به
أبـا تجـلـد يـا هـلـي مـن شـنـابـه
الجـــمـــر مـــعلومك بطانة فـــراشي

فالكلمات شنابه الثلاث تتشابه نطقًا وتختلف معنىً ورسمًا، فالأولى تعني بياض الأسنان، والثانية شنأ به أي أبغضه، والثالثة من شيء أنا به أي مما أنا فيه. ويلاحظ كيف رسمت الأخيرة لتتناسب مع الأولى والثانية رسمًا ونطقًا.

التشبيه المقلوب:

تعرض ابن لعبون في غزله إلى وصف محبوبته ومحاسنها وتوغل في ذلك، وأطلق لخياله العنان ليصف مالا يوصف إلاّ تلميحًا أو كناية. وتغنى ابن لعبون بظعائن محبوبته وركائبها ومنازلها وأطلالها. لقد بالغ ابن لعبون في وصف محبوبته، ففي الوقت الذي يصف الشعراء أحبتهم بالغزال لجمال عينيه ورشاقة جسمه وخفة حركته، نجد أن محبوبة ابن لعبون لفرط جمالها غزالاً تهزأ بهذا الغزال فها هو يقول في أحد أبيات قصيدة توبته:

زل دهرك يا محمد بالغزل
والغزال اللي تهزا بالغزال

وبينما يتغنى الشعراء بالطبيعة، ويشبهون أحبتهم بجمالها، يخالفهم ابن لعبون في ذلك فيشبه ما في الطبيعة من جمال بالمرأة الجميلة فيقول في بائيته المعروفة عن تشبيهه تبسم الفجر بطلعة الفتاة الجميلة (خرعوب):

الى افتر بسام الفجر تقل خرعوب
تضحك على الداية فدنوا يعابيب

ومثال آخر للتشبيه المقلوب يجعل ابن لعبون من حلاوة العسل كأنه ريق محبوبته :

بِثْحِيَّةَ العَاشِقْ المبْهُوتْ
لَمَّ الثَّمَانْ البرَارِيقي
أحْيَا علَى حِبَّهَا وَامُوتْ
كِنَّ العَسَلْ ذَوبَةَ الرِّيقي

توافق المعاني وتوافق الكلمات:

إن سعة اطلاع ابن لعبون وتضلعه بالأدب العربي وعبقريته الشعرية تتجلى في توافق العديد من معاني أبيات من شعره مع معاني أبيات لفحول شعراء

الفصحى، الجاهليون منهم والإسلاميون. ولربما أخذ ابن لعبون الفكرة أو الكلمة وضمنها في قصيدته وبنى عليها وربما رد الفكرة واستدرك على صاحبها. تخطى ابن لعبون مرحلة توافق المعاني إلى توافق الكلمات. فقد ورد في عدد من قصائد ابن لعبون كلمات وتعابير عربية لها ما يقابلها عند شعراء آخرين، كما نجد شطرًا كاملاً في قصائد شاعرنا له ما يماثله عند غيره.

توافق المعاني:

نظم ابن لعبون العديد من القصائد التي تضم أبياتا من الشعر التي تتوافق معانيها ومعاني أبيات من عيون الشعر العربي، ومن خلال استعراض لبعض هذه الأبيات يتبين لنا وبجلاء أنها نتاج خلفية ابن لعبون الثقافية، وسعة اطلاعه، وملكته الشعرية الأمر الذي مكنه من إعادة سبك شواهد الشعر العربي في قوالب عامية بسيطة سهلة المعنى، سلسة الأسلوب مفهومة للعامة. لقد توافقت معاني أبيات ابن لعبون مع معاني أبيات عند امرئ القيس والمعري والمتنبي والدارمي والدؤلي والنابغة وغيرهم.

ونسوق هنا شيئاً من ذلك فنذكر الموافقات التالية:

أبو العلاء المعري:

يتحسر ابن لعبون على أيام مرحه مع أحبته ولا يعدها شيئًا أمام ساعة فراقه لهم فيقول:

ضحكتي بينهم وأنا رضيع
ما سوت بكيتي يوم الوداع

إن بيت ابن لعبون هذا يوافقه في المعنى وينطبق عليه البيت المشهور لأبي العلاء المعري:

إن حزنًا في ساعة الموت
أضعاف سرور ساعة الميلاد[٢]

وبيت ابن لعبون هو أيضاً إشارة عكسية لبيت ابن الرومي:

لِما تؤذن الدنيا به من صروفها

يكون بكاء الطفل ساعة يولدُ[٣]

ويبدي ابن لعبون برمه وضجره من هذه الدنيا، ويتمنى لو أن أمه أجهضته بعد حملها:

أمي وابوي اللي رموني بالاسباب

ياليتها بعد الحمال اسقطت به

وهذا البيت ينقلنا إلى فلسفة أبي العلاء المتطرفة، التي تعد الولد جناية أبيه، ولذلك رفض الزواج كي لا يجني على أحد:

هذا جناه أبي عليّ

وما جنيت على أحد[٤]

مسكين الدارمي:

ويصف ابن لعبون العبد أو اللئيم بأدق وصف:

العبد عبد هافيات عموقه

إن جاع باق عمومته وأن شبع ماق

وما أشبه هذا المعنى بقول مسكين الدارمي:

أو كعبد السوء إن جوعته

سرق الجار وإن يشبع فسق[٥]

الفرزدق:

ويربط ابن لعبون الشعر بقائليه فيقول:

ازكى الشعر ما قاله ازكى الرجاجيل

واردى الشعر ما قاله القين واول

إن هذا البيت صورة أخرى لبيت الفرزدق:

وخـــيـــر الشـــعـــر أكـــرمـــه رجـــالاً

وشر الشـعـــر مـــا قـــال العـــبـــيـــد[٦]

عمران السدوسي:

وهناك نوع من الرجال يتظاهر أمام النساء بأنه الأسد الهصور، والفارس الذي لا يُشقّ له غبار، ولكنه في الواقع ماهو إلا جبان رعديد، وقد صور ابن لعبون ذلك بقوله:

ضـــيـــاغم عند الخـــوندات واطواب

والى ظهـــر للبـــر تلقـــاه دبه

وما أشبه بيت ابن لعبون بما قاله الشاعر عمران بن حطان السدوسي:

أســـد عليّ وفي الحـــروب نعـــامـــة

ربداء تنفـــر من صـــفـــير الصـــافـــر[٧]

المتنبي:

ويلوذ ابن لعبون بالليل ليصل إلى محبوبته، ويطرده الصباح عنها بقوله:

أزورك وجلبـــاب اســـود الليل دفـــتي

وأصدر وحاشيه ابيض الصبح سروالي

وما أظن ابن لعبون ذهب بعيدًا عن المتنبي:

أزورهم وســـواد الليل يشـــفع لي

وأنثني وبيـــاض الصـــبح يغـــري بي[٨]

وابن لعبون في مدحه لابن عمه أحمد ضاحي العون يقول:

مـــا سلّمت شـــمس الضـــحى منه بغـــروب

إلاّ لـهـــا من مطلع الشـــرق تأويب

وما أشبه ذلك بقول المتنبي يمدح كافور:

ولا تجـــاوزها شـــمس إذا شـــرقت
إلاّ ومنـه لـهـــــا إذن بـتـــــأويب[٩]

ومدح ابن لعبون ابن عمه أحمد بن ضاحي فقال:

وقـامت حـروف الحـمـد وقف على أحـمـد
فـــالألف والحـــا تشـــمل الميم والدال

وفي هذا البيت اقتباس من قول المتنبي:

تملك الحـمـد حـتى مـا لمفـتـخـر
في الحـمـد حـاء ولا مـيم ولا دال[١٠]

جميل بثينة:

ويتذرع ابن لعبون بكل وسيلة لرؤية أحبته، ويقف عند بابهم متسولاً:

كم طرقت لـبـابـهم عـجـل خـجـل
للطوافـه وانت مـا تبـغى سـوال

وماهذا البيت إلاّ محاكاة لبيت جميل بثنية الذي يصور نزوله مع الفقراء عند أهل بثينة:

أبيت مع الـهـلاك ضـيـفًـا لأهلـهـا
وأهلي قـشـيب مـوسـعـون ذوو فـضل[١١]

لبيد بن ربيعة والحارث بن عباد:

ويتوب ابن لعبون، ويستهل توبته بحكمة بالغة فيقول:

كل شيء غـيـر ربك والـعـمـل
لـو تـزخـرف لـك مـرده لـلـزوال

إنه اتفاق معنوي رائع مع قول الشاعر لبيد بن ربيعة في أصدق كلمة قالها:

ألا كلّ شيء مـا خـلا الله باطل
وكل نعـيم لا مـحـالة زائل[١٢]

وبيت ابن لعبون أيضاً توافق معنوي رائع مع قول الحارث بن عباد:

كل شيء مصيره للزوال

غير ربي وصالح الأعمال[١٣]

كعب بن مالك:

قال ابن لعبون:

الطالب أرهى من المطلوب

ومغالب الله مغلوب

وفي هذا البيت شيء من بيت كعب بن مالك الأنصاري:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها

وليغلبن مغالب الغلاّب[١٤]

سحيم بن مصعب:

ويؤكد ابن لعبون، وبشكل مختصر لطيف خفي، أن ما يقوله في محبوبته مي هو عين الصواب بقوله:

مقال فيه قالت حذاما

وشمس الحق تبزغ بامتيازي

ويربط ابن لعبون مقولته هنا بما قالته حذام بنت الريان التي قالت:

الا يا قومنا ارتحلوا فسيروا

فلو ترك القطا ليلاً لناما

وعندما صدقت مقولتها قال زوجها سحيم بن مصعب:

إذا قالت حذام فصدقوها

فإن القول ما قالت حذامُ[١٥]

أبو البقاء الرندي:

ويشير ابن لعبون إلى أن ما بعد التمام إلا النقصان فيقول:

أرعى الهـــــلال اللـي بـدا يوم حـــــادي
ينـمـي ونـقـص الـبـــــدر عـنـد الـتـنـاهـي

وهذا كقول أبي البقاء صالح بن شريف الرندي:

لـكل شـيء إذا مـــــا تم نـقـــــصـــــان
فـــلا يـغـــرّ بـطيب الـعـــيش إنســـان[١٦]

قيس بن الملّوح:

ويقول ابن لعبون:

فلو يممـــوني باســـفل اللحـــد قـــبله
جـــــونـي لـقـــــونـي يمة الـشـــــرق داير
فـلا مـقـصـدي في دين عـيـسى بن مـريم
دخـــــول فـــــلا كن يوم تبلى الســـــراير

وفي بيت من قصيدة أخرى يقول ابن لعبون:

لـهـــا غـــرة كـــوجـــه الشـــمس وأبـهى
إلى صلى مـــحـــمـــد هي إمـــامـــه

ففي أبيات ابن لعبون الكثير مما قاله قيس بن الملوح (مجنون ليلى):

أرانـي إذا صـلـيـت يمـمـت نـحـــــــوهـا
بـوجـــــهي وإن كـــان المصلى ورائيـــا
ومـــا بـي إشـــراك ولكن حـــبَّـــهـــا
وعظم الجـوى أعـيـا الطبـيب المداويا[١٧]

كثير عزة:

ابن لعبون:

البـــيك يا مي والأمـــيـــال خلفـــهـــا
صـــفـــوف تلبي فـــوق الأكـــوار ورحـــالِ

وفي هذا شبه من قول كثير عزة:

أناديك مـــا حج الحـــجـــيج وكـــبّـــرت

(بفـــيـــفـــا غـــزال) رفـــقـــة وأهلت

ومـــاكـــبـــرت من فـــوق (ركـــبـــة) رفـــقـــة

ومن (ذي غـــزال) أشـــعـــرت واســـتـــهلت[١٨]

وفي هذا شبه من قول محسن الهزاني:

حج الحـــــجـــــيج وكلهم لـه يلبـــــون

وانا بـدار مـــــورد الخـــــد لبـــــيت[١٩]

توافق الكلمات:

إن سعة اطلاع ابن لعبون جعلته يحاكي من سبقه من فحول شعراء الجاهلية والإسلام فتجد عند ابن لعبون ما يشبه بل يوافق ماعند أولئك الفحول من كلمات أو ربما صدر بيت أو عجزه. ضمن ابن لعبون الكثير من الكلمات التي وردت عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى وأبي الطيب المتنبي وغيرهم من شعراء الفصحى.

وتجد عند ابن لعبون تعابير ربما استغرقت شطراً كاملاً استعارها من غيره، وضمنها وبنى عليها ما أراد. وإليك أمثلة على ما ورد في شعر ابن لعبون من هذه التضمينات.

امرؤ القيس:

ومن توافق كلمات ابن لعبون مع ما ورد عند امرئ القيس يقول:

تبـــصّـــر خليلي هل ترى من ظعـــاين

تقـازن بهم فـوق الشـفـا من حـزومـهـا

فصدر هذا البيت من قول امرئ القيس:

تبـــصـــر خليلي هل ترى من ظعـــائن

سـوالك نقـبـاً بين حـزمي شـعـبـعب[٢٠]

وفي بيت آخر يقول ابن لعبون:

ينشـــدنني يوم انتـــوى الكل برحـــيل

هل عند رسم دارس من مـــــعـــــول

وفي هذا البيت شطر آخر ورد عند امرئ القيس:

وإن شـــفـــائي عـــبـــرة مـــهـــراقـــة

فـــهل عند رسم دارس من مـــعـــول[٢١]

أبو الطيب المتنبي:

يقول ابن لعبون :

وداروا حـــــذاها والقنا يقـــــرع القنا

كـمـا دار بالقطب الشـمـالي نجـومـهـا

وفي هذا البيـــت توافـــق كلمـــات جـزئي مع أبي الطيب المتنبي الذي يمدح سيف الدولة:

بـناها فـــأعلى والقنا تقـــرع القنا

ومـــوج المنايا حـــولـهـــا مـــتـــلاطم[٢٢]

محسن الهزاني:

يقول ابن لعبون:

وأنـشـــــــدنّـيّ بـالـعـنـا يـوم أفـلـسـن

ربما لـي أو عـــــــسـى لـي أو قـــــــمـين

وعجز هـذا البـيت توافـق تام مع صدر هذا البيت للشاعر النبطي محسن الهزاني:

ربما لـي أو عـــــــسـى لـي أو قـــــــمـين

يرجـــعن اعـــصـــورهن الماضـــيـــات[٢٣]

توارد خواطر وتوافق معاني وكلمات أم اقتباسات وتضمينات؟:

قد يتبادر إلى الذهـن أن ما أوردنـاه من أمثلة هو نوع من السرقة، ولكن قبل إبـداء حكم مثل هذا، سنسوق أمثلة لمن سبق ابن لعبون في توافق المعاني والكلمات من فحـول شعراء الفصحى. فها هو زهير بن أبي سلمى قد سبق ابن لعبون في توافق كلماته مع صدر بيت لامرئ القيس في معلقته:

تبـــصـــر خليلي هل ترى من ظعـــائن
تحـــملن بالعليـــاء من فـــوق جـــرثم[٢٤]

وها هو عبيد بن الأبرص يقول:

تبـــصـــر خليلي هل ترى من ظعـــائن
سلكن غـــمـــيـــرًا دونهن غـــمـــوض[٢٥]

ويوافق شاعر شاعرًا آخر في صدري بيتين، فيقول امرؤ القيس:

كـــــأني لـم أركب جـــــوادًا لـلذة
ولم أتبطن كـــاعـــبًـــا ذات خلخـــال
ولـم أســـــبـــــأ الزق الروي ولـم أقل
لخـــيلي كـــري كـــرة بعـــد إجـــفـــالِ[٢٦]

ويوافقه في صدري هذين البيتين عبد غوث، فيقول:

كـــــأننـي لـم أركب جـــــوادًا ولـم أقل
لخـــيلي كـــري نفـــسي عن رجـــاليـــا
ولـم أســـــبـــــأ الزق الروي ولـم أقل
لأيســـار صـــدق أعظمـــوا ضـــوء ناريا[٢٧]

ولننظر إلى هذا التطابق بين هذين البيتين الأول من معلقة امرئ القيس والثاني من معلقة طرفة بن العبد، الأول:

وقـــوفًـــا بهـــا صـــحـــبي عليّ مطيـــهم
يقـــــولـون لا تهلك أسى وتجـــــمّل [٢٨]

والثاني:

وقــوفــاً بهــا صــحــبي عليّ مطيــهم

يـقــــــــولـون لا تـهـلـك أسـى وتجـلّـد[٢٩]

البيتان لشاعرين مختلفين والكلمات متطابقة ما عدا الكلمة الاخيرة من كل بيت ولكنها تعطي المعنى ذاته في كلا البيتين.

بعـد أن أوردنا القليل من الأمـثلة على توافق الشـعـراء، نعـود للإجـابة عن التسـاؤل المطروح سـابقًـا، فنقـول قد يرد شطر بيت أو تتطابق مـعاني بيت بأكمله وألفـاظه، أو بيـتين عند شـاعـرين، ولم يعب أحـد على أي من الشـاعـرين أو يصـفـه بالسـرقة، فـالعرب قد اعتادوا الاسـتعانة بعبارات يرددونها وغدت جزءًا من لغتهم، وكثيرة هي الكلمات التي تقولها العرب و تتكرر لدى الشعراء، وعلى سبيل المثال قولهم: ألا ليت شعري، أبيت اللعـن، ألا عم صباحًا، ألا من مبلغًا عنيّ، واحرَّ قلبي، يا لهف قلبي، يا صاح، لعمرك، لعمري ... .

ويقول المسيب بن علِّس:

وإني لأمــضي الـهمَّ عند احــتــضــاره

بـنـاج عـلـيــه الـصــيــعــريـة مـكـدم

ويقول طرفة بن العبد:

وإني لأمــضي الـهمَّ عند احــتــضــاره

بـعــوجــاء مــرقــال تـروح وتغــتــدي[٣٠]

ونعود لشعر ابن لعبون، ونقول إن كان ما أورده من توافق معانٍ وكلمات هو من باب توارد الخواطر فهذا دليل عبقريته، وإذا كان من باب الاقتباس فهذا من باب ثقافته وسعة اطلاعه وثقته بنفسه وكلتا الحالتين له. فقد تمكن ابن لعبون من إعادة سبك شواهد الشعر العربي في لهجة عامية بسيطة سهلة المعنى نالت استحسان الكثيرين.

التكـرار:

يكرر ابن لعبون عبارات معينة أو شطر بيت، ومثال ذلك ترديده لتعبير «حي المنازل» في مطالع عدد كبير من قصائده ومنها:

حـي المـنـازل بـديم خـزام
تحـيـة الجـار للجـاره
حـي المـنـازل وهـن صـفـوف
أنـحـب عـلـيـهـن وأهـلـهـنـه
حـي المـنـازل تحـيـة عـين
لمصـافح الـنـوم سـهـرانـه

وكان جرير بن عطية الخطفي قد ابتدأ إحدى قصائده بهذا المطلع نفسه بقوله:

حـي المـنـازل لا نـبـتـغـي بـدلاً
بـالدار دارًا وبـالجـيـران جـيـرانًـا[٣١]

كما وكرر ابن لعبون أكثر من شطر بيت في أكثر من قصيدة فقال:

ويـا مـي لـي بـك مـن قـديم مـودة
وصل الـى انـحـل الدلى مـن وذومـهـا

وفي قصيدة أخرى:

ويـا مـي لـي بـك مـن قـديم مـوده
وصـل الـى انـحـلـت جـمـيـع المرايـر

وقد يكرر شطرين في بيتين:

ضـحـوك اللمى مـدمـوجـة السـاق كـالقنا
خـفـوق الحـشـا مـرتج الأرداف مكسـال
الـى قلـت هـاتـي حـاجـة لـي ودنّـقـت
تـنـثـر لـهـا مـثـل الشـمـاريـخ مـيّـال

وفي قصيدة ثانية يقول:

ضحوك اللمى مدموجة الساق كالقنا
هضوم الحشا مرتج الأرداف مهياف
الى قلت هاتي حاجة لي ودنّقت
تنثر لها ظليل سافٍ على سافٍ

كما وكرر قوله:

واللي يرى ضد الوفا ما يذوقه
يدن به من نازح البعد دقاق
واللي يرى ضد الوفا ما يذوقه
يدق به من نازح الفكر دقاق

التكرار عند شعراء الجاهلية:

تشابه معاني وتكرار كلمات الشعراء انتبه له الأدباء وحتى الشعراء أنفسهم وذلك منذ قديم الزمن، وهذا ما جعل زهير بن أبي سلمى يؤكد تلك الحقيقة بقوله:

ما أرانا نقول إلا معارا
أو معادا من لفظنا مكرورا[٣٢]

وربما كان وراء هذه الإعارة والتكرار توافق مفردات الشعر واتفاق مراميه فالألفاظ لها معان معينة محددة ومواضيعهم محددة ومنهلهم واحد يغترفون منه.

وقد سبق ابن لعبون من فحول الشعراء من كرر تعابير وشطراً وبيتاً كاملاً تقريبًا أكثر من مرة. فقد كرر امرؤ القيس أكثر من شطر بيت له أكثر من مرة، ومن ذلك:

وقد أغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل[٣٣]

وقوله:

وقد أغتدي والطير في وكناتها
وماء الندى يجري على كل مذنب[٣٤]

وقوله:

وقــد أغــتــدي والطيــر في وكناتهــا

بمنجــرد عــبل اليــدين قــبــيض[٣٥]

وقوله:

له أيطلا ظبي وســاقــا نعــامــة

وإرخــاء ســرحــان وتقــريب تتــفل[٣٦]

وقوله:

له أيطلا ظبي وســاقــا نعــامــة

وصــهــوة عــيــر قــائم فــوق مــرقب[٣٧]

ويقول أيضًا:

فــعــادى عــداء بين ثور ونعــجــه

دراكــا ولم ينضح بماء فــيــغــسل[٣٨]

ويقول أيضًا:

فــعــادى عــداء بين ثور ونعــجــه

وتيس شبــوب كــالهــشــيــمــة قــرهب[٣٩]

بل كرر بيتًا بأكمله تقريبًا:

ضليع إذا اســتــدبرته ســد فــرجــه

بضــاف فــويق الأرض ليس بأعــزل[٤٠]

وفي قصيدة ثانية يقول:

وأنت إذا اســتــدبرته ســد فــرجــه

بضــاف فــويق الأرض ليس بأصــهب[٤١]

الكنايــة:

عمد ابن لعبون إلى الكناية للتعبير عمّا لا يصرح به عفة أو بلاغة، وتجدر الإشارة إلى أن ما نعدّه غير لائق من تعابير اليوم ربما لم يكن كذلك وقتذاك، وما يقبله مجتمع من تعابير قد لا يقبله مجتمع آخر.

يتمادى ابن لعبون، بصريح الوصف حتى إذا ما رأى أنه كاد يتجاوز الحد استعان بالكناية ليضفي على البيت بقية من حشمة كقوله:

والبطن والخـــــصـــــر والنهـــــدين
والعـنـق والعـين واوجـــــــــــانه
والورك والســـــاق والفـــــخـــــدين
مـن بـيـنـهـن فـلـقـــــــــة الـدانـه

وصف ابن لعبون هذا ليس بحاجة إلى تعليق. ومثال آخر قوله:

وايامـــــهـــا اللي عطت بقـــــبـــال
يـوم الـتـــــجـني وافـــــاعـــــيـله
يـا لـيت يـا عـــــــالـم بـالحـــــــال
مـن دق شـــــــاله عـلـى الـشـــــيـله

وفي هذا تمنيه من الله أن تلتقي الشالة وهو غطاء رأس الرجل (عمامة، كوفية، غترة، شماغ وغيرها) مع الشيلة وهي غطاء رأس المرأة، وفي هذا كناية، فالشال والشيلة لا يلتقيان إلاّ في حالات معينة منها العناق.

ويقول:

مـــحـــصنات مـــا علقـــهن الدبق
مـــا كـــشف غـــراتهن كـــود الابريق
دوحـــــة الـبـــــرهـام وظلال الـغـــــوق
من قـــعـــد في ظلـهـــا مـــا فك ريق

فما علقهن الدبق في البيت الأول كناية عن حسن السمعة والسيرة وما فك ريق في البيت الثاني تعني لم يحصل على شيء لأن البرهام والغوق من الأشجار الباسقة ذات ظلال ولكنها غير مثمرة. ويقول أيضًا:

صـــــلاة اللـه منـي والســـــلامـــــا

على من فـــيـــه بالغـــفـــران فـــازي

عـــفـــيف الجـــيب مـــا داس الملامـــا

ولا وقـف عـلـى طـرق المخـــــــــــازي

و«عفيف الجيب وما داس الملاما ولا وقف على طرق المخازي» في البيت الثاني كلها تعني الطهارة والعفة.

استدراكاته الأدبية:

امرؤ القيس:

وتظهر براعة ابن لعبون في الوصف وانتقاء الكلمات وربطها بمعانيها جلية واضحة في شعره، فها هو يصف شخصًا مدبرًا هاربًا تتبعه أطراف ثوبه فيقول:

وأقـــفى مـــصـّــرٍّ كن جـــاكـــات شـــالـــه

جلمـــود صـــخـــر حطه الســـيل من عـــال

إنه تضمين واضح لشطر بيت مشهور لامرئ القيس، وهذا ما قد يجعل أحدهم يعلق عـــلى عجـــز هذا البيت بأنه لامرئ القيس، وكأنني بابن لعبون يجيبه بكبرياء الواثـــق من نفسه: نعم إنه لامرئ القيس الذي وصف حصانه بأنه:

مكر مـــفـــر مـــقـــبل مـــدبر مـــعـــاً

كـجلمـود صـخـر حطه السـيل من عل[٤٢]

وهذا الوصف ليس بدقيق فعندما يحط السيل صخرًا من عل يهوي به إلى القاع لا كرّ له ولا فر.

لفتاته الذهنية:

يبدع ابن لعبون، ويأتي بالجديد في ما لم يسبق إليه، ففي هذين البيتين يناجي أطلال حبيبته ويتعداها إلى الصدى فيقول:

أســـايل حـــجـــار الدار عن نزل حـــيّـــهـــا

ولا جـــابـني ملتمّ الاحـــجـــار بســـوالي

اســـأل الصـــدى: يا للعـــجب هل لهم تالي؟

قـــال الصـــدى: يا للعـــجب هل لهم تالي؟

يسـأل ابن لعبون أحجـار الدار فـلا تجيب ولن تجيب سـؤاله، وهذه حـقـيـقـة الأطلال ويسـأل الصدى ولابد للصدى من أن يجيب وهذه حقيقة أخرى، ولكن كيف كانت إجابة الصدى على تساؤل ابن لعبون؟

إنها لفتة ذهنية غير مسبوقة فقد كرر الصدى ما سمعه من ابن لعبون، وهذه طبيعة الصدى يردد ما قيل «يا للعجب هل لهم تالي؟» وهذه اللفتة – كما نظن – لم ترد في شعر شاعر نبطيًا كان أو فصيحًا سبق ابن لعبون أو عاصره.

ولفتة ذهنية أخرى لم أجدها عند شاعر آخر قول ابن لعبون:

فلو يممـــوني باســـفل اللحـــد قـــبله

وجـــوني لقـــوني يمة الشـــرق داير

إنها لفتة ذهنية أخرى غير مسبوقة فلم نسمع بعاشق حتى بعد مماته يستدير جثمانه الى جهة أحبته. إنه تصوير يفوق كل تعبير فقد تملك الحب ابن لعبون قلباً وجسداً. لقد ابدع ابن لعبون في هذا البيت أيما إبداع.

ومن الصور البيانية التي ربما لم يسبق ابن لعبون إليها قوله:

كن طيـــــة ثوبهـــا فـــوق الارداف

الهـــوا والماي من فـــوق الغـــريف

إنها من لفتات ابن لعبون الذهنية وصوره البديعة إنها صوت وصورة كما يقال في وقتنا الحاضر.

ومن تشبيهات ابن لعبون البديعة وصفه لوميض البرق بحركة يد الدفافة فهو يقول:

صـــــوت مـن الفـــــرقـــــا بلـيل لـعـى بـه
والـبـــرق مـــثل كـــفـــوف دقـــاقـــة الطار

ومرة أخرى يصف البرق بتصفيق العذارى فيقول:

وبرق ســـرى بـه كن عـــالـي رفـــيـــفـــه
ايدين العـــذارى حين تصـــفق بالاكـــفـــاف

ويصف ابن لعبون لنا منازل أحبته من بعيد بل يصورها بقوله:

يـا مـنـازل مـي فـي ذيـك الحـــــــــــزوم
قـــبلـة الفـــيـــحـــا وشـــرق عن سنام
في ســـراب عن جـــوانبـــهـــا يحـــوم
طافـــحـــات مـــثل خـــبـــز في يدام

يقول الأديب حسين سرحان [٤٣] عن هذا الوصف إنه من غرائب أوصافه، فهو يذكر رسماً يقوله ببساطة وهو لا يلهث، فكيف ترى المرق إذا طفح فيه الخبز، وتنفش، وأنت تنظر إلى الرسوم من بعيد والآل (السراب) يلعب بها، فيصعدها ويخفضها – يدنيها ويبعدها – أتجد أدق وأوعى وصفاً من هذا الوصف.

إنها من لفتات ابن لعبون الذهنية وصوره البديعة التي تتراءى أمام ناظريك تشبيهاً دقيقاً وصادقاً من واقع البيئة.

تضميناته البلاغية:

وتعدت اقتباسات ابن لعبون من الشعراء إلى القرآن الكريم والحديث الشريف فقد استعان بهما في شعره وحسبه بها من استعانة، كقوله :

جـــــــــانـا يـتـــــــــخـنـطـل
يمـــشـــي عـــلـــى الـــطـــل

بـيـــــــــــــر مـــــــــــــعـطـل
وقـــــــصـــــــر مـــــــشـــــــيـــــــد

وهذه من قوله جلت قدرته: (بئر معطلة وقصر مشيد)[٤٤].

وقوله يصف حربًا:

ترمي شـــررها مـــثل صـــفـــر جـــمـــاله
والبـــــيض تـنـخـى والمـنـاعـــــيـــــر ذلال

وهي من قوله عز وجل: (إنها ترمى بشرر كالقصر. كأنه جمالة صفر)[٤٥].

وقوله أيضاً:

تســـمع ندا زجـــر الملك في صـــفـــوقـــه
قـــضى القـــضـــا والـتـــفت الســـاق بالســـاق

وفي هذا البيت تضمين من قوله عز شأنه (والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذٍ المساق)[٤٦].

ومن الحديث الشريف قوله وصفًا للحواجب والعيون والخدود فيذهب بذلك بعيداً في ما استشهد به في قوله:

حـــــدر الحـــــواجب لميع ســـــيـــــوف
والـســـــــــــــيـف بـظـلالـه الجـنـه

وهذ تورية بديعـة مـأخـوذة من الحـديث النبـوي الشـريف «الجنة تحت ظلال السيوف»[٤٧] وابن لعبون، غفر الله له، أراد بهذه التورية معنى آخر وهو أن تحت الحواجب عيونًا تلمع كالسيوف لشدة سوادها وبياضها وفي ظلالها وتحتها خدود كالجنة.

استشهاداته الخفية:

يستعين ابن لعبون بأمثال عربية يضمنها شعره مباشرة أو يستعيض عنها بما يصوغه من كلمات تفيد معناها من طرف خفي قد لايفهمها عامة الناس ولا يلتقطها إلاّ الضليع بلغة العرب وآدابها، فقد ذكر ابن لعبون رجالاً بأسمائهم

وأحياناً بكناهم وبكلمات من قصائدهم تدل عليهم أو بنسبهم إلى بلدانهم، وعلى ذلك نستشهد بالآتي:

تستشهد العرب عند ذكر الوفاء بالسموأل فتقول فلان «أوفى من السموأل» أو «كوفاء السموأل» ويستعين ابن لعبون بذلك بقوله:

إن واعـــــدنيّ بالوصل في دجى الليل

يافن كـمـا تافي عـهـود السـمـوّل

بشكل مختصر لطيف خفي، يؤكد ابن لعبون أن ما يقوله في محبوبته مي هو عين الصواب فيقول:

مـقـال فـيـه مـا قـالت حـذامـا

وشـمس الحق تبـزغ بامـتـيـازي

وكأن ابن لعبون وباختصار يقول:

إذا قـالت حـذام فـصـدقـوها

فـإن القـول مـا قـالت حـذامُ

يعرج ابن لعبون على ذكر شاعر فحل في طرف بيت من رباعية ومن طرف خفي لا يكاد يحس به أحد فيقول:

لاقت ولاقني العـمـاهيج بسـعـاد

خـراعب اللي وصـفـهن بان بسـعـاد

واليـوم يوم اشـفـيت قـالن بسـعـاد

ركبن لي خـيل التـصـاديد برخـوت

إنها من روائع ابن لعبون ودليل فطنته وذكائه، فها هو يصف ملاقاته للبنات الجميلات (العماهيج) وهن مستبشرات سعيدات (بسعاد الأولى) ولكنه عندما أهم بما لا يردن أوقفنه عند حده وقلن حسبك (بس عاد الثالثة) ولكن ما اراد بـ بسعاد الثانية؟ لقد ذهب ابن لعبون بعيداً، فمن ذا الذي وصف الخراعب ببان بسعاد؟ إنه

من استهل قصيدته ببانت سعاد إنه كعب بن زهير بن أبي سلمى صاحب البردة على من أهداها السلام.

واستشهاد خفي آخر في هذه المروبعة لشاعر معروف:

وبقـــيت طرب به بالاحـــبـــاب مـــا سل

عن لذة الكندي على مـــــاي مـــــاسل

حـــيث الهـوى مـاصـول والغـضي مـاسل

لسـيـوف صـده والوصل غـيـر مـبـتـوت

في هذه المروبعة ذكر خفي لامرئ القيس، فطرب ابن لعبون مع أحبته وأنسه معهم جعله لا يسأل (ماسل الأولى) عن لذة الكندي وهو امرؤ القيس مع حبيبتيه أم الحويرث وأم الرباب بماء مأسل (ماسل الثانية).

ويذكر ابن لعبون الشاعر محسن الهزاني بنسبته إلى بلدته الحريق بقوله:

اترعن كـــــاس الهـــــوى لي واندفق

كـــاس عـــذري الهـــوى راعي الحـــريق

بديع اللغة:

طرز ابن لعبون قصائده وزينها بحلل بديع اللغة الجميلة ففي قصائده الجناس والطباق والمقابلة والاستعارة والكناية وغيرها، وأبدع في الاستهلال والاختتام وربما أغرق في الصنعة وتكلف، ومع ذلك بقيت قصائده جميلة سلسة.

ويتكرر البديع في شعر ابن لعبون، ومن ذلك بديع الجناس الكامل في قوله:

غـــــانيـــــات غـــــانجـــــات لـي تروم

كـنـهـن فـي كـنـهـن بـيـض الـنـعـــــــام

كنهن الأولى عامية بمعنى كأنهن والثانية خدرهن. والأمثلة على هذه كثيرة في ثنايا قصائده.

ارتجاله للشعر:

كثيرًا ما يرتجل ابن لعبون الشعر حال الحاجة إليه، ومن ذلك أنه كانت تربطه صداقة مع شاعر البحرين عبد الجليل الطباطبائي[٤٨]، وكانا يتراسلان شعرًا ولم ير أحدهما الآخر، وعندما ذهب ابن لعبون إلى البحرين قصد منزل صديقه، وكان الشاعر عبد الجليل في صدر المجلس والمجلس مليءٌ بالناس، فما كان من ابن لعبون إلاّ أن جلس في طرف المجلس على مضض منه، وعندما قام صاحب المجلس لغرض له داخل المنزل وعاد، مر على ابن لعبون وهو لم يعرفه، فانتهز ابن لعبون مروره فنطق بهذين البيتين مازحًا ومستفزًّا ومختبرًا نباهة صاحبه:

جـــــــانا يـتـــــــخـنـطـل
يمـــشـــي عـــلـــى الـــطـــل
بـيـــــــــر مـــــــــعـطـل
وقـــــصـــــر مـــــشـــــيـــــد

وهنا انتبه عبد الجليل لهذا الضيف، وذكر بهذين البيتين ابن لعبون وشعره وظنه هو بعينه، فرد عليه بشعر وبنفس الوزن والفكرة التي اقتبسها ابن لعبون من القرآن الكريم فقال:

دوبـــك تـــفـــــــــــــــــــتـــل
وأنـــــت الـــــتـــــنـــــتـــــل
قـــــــل لـــــــي أأنـــــــت الـــــــ
حـلـيـم الـرشـــــــــــيـــــــــد

وعندها تعارف الشاعران واحتفى عبد الجليل بضيفه الشاعر ابن لعبون وقرّبه منه في صدر المجلس.

ابن لعبون والشعراء اللاحقون:

وإذا كانت خواطر ابن لعبون قد تواردت مع من ذكرنا ممن سبقه من الشعراء أو توافقت معانيه مع معانيهم، فما عسانا أن نقول مع توارد خواطر شعراء لاحقين لابن لعبون مع معانيه وكلماته ولفتاته الذهنية؟. إن من جودة شعر

ابن لعبون ما جعل فحول شعراء العربية الذين أتوا من بعده يؤيدونه على صحة معانيه، ومن ذلك الأمثلة التالية:

أحمد شوقي:

يقول ابن لعبون:

وصلك إلا رامـــــــه عـــــــزيز تمنع
وهو مـــــثل بقل الدوح ينبت بالاطلال

ويقول أحمد شوقي:

أحـــــــــــرام على بلابله الدوح
حـــــلال للطيـــــر من كل جنسِ[٤٩]

بدر شاكر السياب:

يقول ابن لعبون في التفاتته الذهنية غير المسبوقة:

أسـايل حـجـار الدار عن نزل حـيّـهـا
ولا جـابني ملتمّ الاحـجـار بسـوالي
اسـأل الصـدى: ياللعـجب هل لهم تالي؟
قـال الصـدى: ياللعـجب هل لهم تالي؟

ويأتي الشاعر البصري بدر شاكر السياب وكأنه يحاكي التفاتة ابن لعبون الذهنية فيقول:

«أصيح بالخليج:
يا خليج
يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى!
فيرجع الصدى
كأنه النشيج:
يا واهب المحار والردى ..
يا خليج» [٥٠]

****

الهـوامـــش

(١) ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون)، ص ٤٨٣.

(٢) أبو العلاء المعري (سقط الزند)، ص ١٩٧.

(٣) ابن الرومي

(٤) أبو العلاء المعري (اللزوميات)، ص ١٣.

(٥) مسكين الدارمي

(٦) الفرزدق

(٧) عبد الكريم الحقيل (منهل المستفيد من الشعر المفيد)، ص ٢٩.

(٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص ١٦١.

(٩) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص ١٧١.

(١٠) ديوان أبي الطيب المتنبي، ج١، ص

(١١) مهدي محمد ناصر الدين (ديوان جميل بثينة)، ص٦٧.

(١٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ١٣٢. وصدر البيت هذا قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

(١٣) عبدالعزيز الغزي (الشعرفصيحه وشعبيه موهبة)، صحيفة الرياض، العدد ١٠٤٧١ في ١٤١٧/١٠/١٦هـ الموافق ١٩٩٧/٢/٢٣م.

(١٤) كعب بن مالك الأنصاري ص ٧٣.

(١٥) سحيم بن مصعب

(١٦) عبدالكريم الحقيل (منهل المستفيد من الشعر المفيد)، ص ١٢٤.

(١٧) فاروق شوشة (عشرون قصيدة حب)، ص ٥٠.

(١٨) فاروق شوشة (عشرون قصيدة حب)، ص ٨٨.

(١٩) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص١٤٦.

(٢٠) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ٣٠.

(٢١) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١١.

(٢٢) ديوان أبي الطيب المتنبي

(٢٣) عبد الله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط) ج١، ص ٢١٣.

(٢٤) أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (شرح المعلقات السبع)، ص ١٠٣.

(٢٥) ديوان عبيد بن الأبرص

(٢٦) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١٢٧.
(٢٧) ديوان عبد غوث
(٢٨) أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (شرح المعلقات السبع)، ص ١١١.
(٢٩) شرح القصائد العشر، ص٥٦.
(٣٠) المصدر السابق ص ٦١.
(٣١) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٤٩٠.
(٣٢) شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، ص ٢٢٦.
(٣٣) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١١٨.
(٣٤) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٤٠.
(٣٥) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٩٧.
(٣٦) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١١٩.
(٣٧) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٣٣.
(٣٨) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١٢٠.
(٣٩) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٤٢.
(٤٠) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١٢٠.
(٤١) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ٣٨.
(٤٢) مصطفى عبد الشافي (ديوان امرئ القيس)، ١١٩.
(٤٣) حسين سرحان، اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، مجلة العرب، ص ١٠٦٧، ربيع الأول ١٣٨٨هـ - حزيران ١٩٦٨هـ.
(٤٤) الحج: آية ٤٥.
(٤٥) المرسلات: آية ٣٢-٣٣.
(٤٦) القيامة: آية ٢٩.
(٤٧) حديث صحيح رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والحاكم في مستدركه عن أبي موسى الأشعري، انظر صحيح الجامع للألباني رقم ١٥٣٠- ٣١١٧.
(٤٨) عبد الله بن عبد المحسن الجماز، مقابلة شخصية في عام ١٣٩٩هـ، الرياض.
(٤٩) ديوان أحمد شوقي
(٥٠) ديوان بدر شاكر السياب (أنشودة المطر) ص١٧٨.

الفصل السادس

الأمثال والحِكم عند ابن لعبون

المثل هو تعبير بألفاظ جزلة يقصد منها بلوغ معانٍ معينة بأقصر جمل وأبلغ لغة. وعادة ما تكون الأمثال الشعبية لها نفس المغزى والمعنى لما يقابلها من الأمثال الفصحى ولا تختلف عنها إلاّ في مفردات عامية يمكن تفصيحها بسهولة.

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من استشهاد بمثل سار على ألسنة الناس، سواءً في نجد أو الزبير أو الساحل، أو ما استحدثه ابن لعبون من أمثال وصاغها شعراً، أو حكمة صاغها أو نقلها شعرًا موزونًا سار على ألسنة الناس في عموم المنطقة. يكاد ابن لعبون يتميز من بين شعراء النبط بكثرة أمثاله وحكمه، لقد أثرى ابن لعبون تراثنا الأدبي الشعبي بفيض من الأمثال والحكم، فقد صهر تجاربه وخبرته في حياته القصيرة، وبثها بين أبيات قصائده، والأمثلة على ذلك كثيرة.

الأمثال:

يعمد ابن لعبون أحياناً إلى لفت انتباه من يستمع إليه أو يقرأ شعره باستخدام كلمات تنبه إلى ما سيورده من أمثال ومن ذلك ذكره لكلمات منها: مِثل أو تقول أو تقل أو كما. وعلى سبيل المثال نورد هذه المجموعة من الأمثال والحكم التي وردت في شعر ابن لعبون.

«كما لهبة النار»:

زل المزاح وراح صـــبـــري حطيـــبـــه
من جـــادل ركّب على عـــضـــاي منشـــار
عـــجـــاب لعـــاب ولاني لعـــيـــبـــه
وان قـــاربك قـــربه كـــمـــا لهـــبـــة النار

«مثل كفوف دقاقة الطار» «ما حولي مدار ودوار»:

أمـــسى الوصل ينقـــاد منه بسـبـيـبـه
واليـــوم مـــا حـــولي مـــدار ودوار
غـــيـــبت لرضـــاه النجم في مـــغـــيـــبـــه
والبـــرق مـــثل كـــفـــوف دقـــاقـــة الطار

«دوس النعال»:

رنـة الخـلـخـــــال تحـــــدث بك وجل
مع كـمـالك مـا اسـتـحـيت من الرجـال
واهـل ذاك الـبـــــيت مـن هـذا الـنـزل
داســـتك خـــفـــراتهم دوس النعـــال

«كما طعس الرمال»:

عـن ســـــفـــــاهك في هـواهـم لا تـسل
يامـحـمـد مـا بقي فـيك احـتـيـال
تـــوبـــة لـــلـــه عـــن ذيـــك الـــنـــجـــل
والردوف اللـي كـــمـــا طعس الرمـــال

«ترى الأرواح يسرى عليها ويراح»:

خـــــذ مـــــا تـرا لـك تـرى الأرواح
يســـــرى عـلـيـــــهـــــا ويـراحِ

«يا مال سلال الأرواح»:

قـــــالت مـــــلاوي علـى مـــــا راح

يـا مـــــــــال ســـــــــلال الأرواحِ

«أسطى من الضرغام» «أقطع من الصمصام» «أكرم من الديم»:

صـــغـــرت بعـــينك ياعظيم العظايم

من اســـود النقطة حـــدر دارة الجـــيم

اصطى من الضـــرغـــام وامـــضى عـــزايم

واقطع من الصـــمـــصـــام واكـــرم من الديم

«حظي يقص السيف» «يشرب من الماي بكفوفه»:

علـمي بـهـم فـي لـيـــــالـي الـصـــــيـف

يـوم الـبـــــخـت نـاشـــــر نـوفـــــه

ايـام حـظـي يـقـص الـســـــــــيـف

يـشـــــرب مـن المـاي بـكـفـــــوفـــــه

اشتملت قصيدة ابن لعبون الذائعة الصيت والتي مطلعها:

ذا حس طار أو ضـــمـــيـــرك خـــفـــوقـــه

يـدق بـه مـن نـازح الـفـكـر دقـــــــاق

في معظمها على أمثال وحكم وما زال الناس يرددون أبياتاً من هذه القصيدة للاستشهاد بها ومن هذه الأمثال:

«تذكر بها عيش ما تذوقه» «ياعونة الله اليوم تقسيم الأرزاق»:

تذكـــر بـهـــا عـــيش مـــا تذوقـــه

ياعـــونة الله يـوم تقـــســـيم الأرزاق

«العبد عبد هافيات عموقه» «ان جاع باق عمومته» «ان شبع ماق»:

العـبـد عـبـد هافـيـات عـمـوقـه

إن جـاع باق عـمـومـتـه وان شـبع مـاق

«الحر حر يرفعنه سبوقه»:

الحـــر حـــر يرفـــعنه ســـبـــوقـــه

والبـــوم يلعى بين الأســـواق خـــفـــاق

كما اشتملت قصيدته المعروفة والتي مطلعها:

يـا عـــبـــيـــد من قـــصت يمينه شـمـــاله

يشـــوف فـــعله ذاك عـــدل ولـو مـــال

اشتملت على الكثير من الأمثال، ففي البيت الأول «يشوف فعله عدل ولو مال» ومنها «لا ناشد عما جرى له ولا سال»:

اقـــرب قـــريب له الى شـــاف حـــاله

لا نـاشـــد عـــمـــا جـــرى له ولا ســـال

«يا بادي بالقول هذا بداله» «قول بدل قول» «مال عوض مال» «القول واجد والحكي عند الأفعال» «الصج يبقى والتصنف جهاله» «الجد ما لانت مطاويه بتفال»:

يـا بـادي بـالـقـــــــــول هـذا بـدالـه

قـــول بدل قـــول ومـــال عـــوض مـــال

والكل منـا لـو يـطـاوع مـــــقـــــاله

القـــول واجـــد والحكي عند الأفـــعـــال

الصج يبـــقى والتـــصنف جـــهـــاله

والجـــد مـــا لانت مطاويه بتـــفـــال

«طيزين هو ويا رفيقه بسروال»:

يوم اســـتـــقـــروا عند راعي الوكـــاله

حـــيـــثـــه مـــدير للقنازع وفـــتـــال

والـــكـــل هـــذا رايم ذا وذا لـــه

طيـــزين هو ويا رفـــيـــقـــه بســـروال

«مـا صـابـه مـثل مـا جـا الزناتي بـالأمـثـال» «أرخص بنفس لا عليـهـا ولا له»

«كجلمود صخر حطه السيل من عال»:

يرجى الســـعـــد منهم وذا من هبـــاله

وصـــابه مـــثل مـــا جـــا الزنـاتي بـالامـــثـــال

أرخـص بـنـفـس لا عـلـيـــــهـــــا ولا لـه

غـــابط بـهـــا عـــمـــره على كن وظلال

واقـــفى مـــصـــرٍ كن جـــاكـــات شـــاله

جلمـــود صـــخـــر حطه الســـيل من عـــال

«كنه على وجنتي فوه» «تقول ذي حال سعلوه»:

وأرخـــــــصت دمـع عـلـيـــــــه اغـلـوه

كـنـه عـلـى وجـنـتـي فـــــــــــوه

تـشـــــــوف حـــــــال بـهـــــا غـلـوه

تـقـــــــول ذي حـــــــال ســـــــعـلـوه

«قوي عين ومشوه»:

والـيـــــــــــــوم يـوم انـهـم مـلـوه

قـــــالوا قـــــوي عـين ومـــــشـــــوّه

مـــــا ادري مـــــتـى مـــــا رد حـلـوه

تـنـزل ظـعـــــــونـي عـلـى جـــــــوّه

«سدره وانتم عصافير»:

ابـو صـــبـــاح ريف ركب مـــعـــاييـــر

هـو زبـن مـــضـــيـــوم جـــلا عن ديـاره

جـــابر لكم ســـدره وانتم عـــصـــافـــيـــر

لا ضـــيـم عـــصـــفـــور لجـــا في جـــواره

«كم خادم لك وهو مخدوم»:

كم خـــــادم لك وهو مـــــخـــــدوم
تـتـلـى ظـعـــــــــونـه وتـتـلـي لـه
واليـــوم صـــارت خـــيـــال حلوم
والـعـــــــز طـفـــــــيت قـنـاديـلـه

«يجيب كيله بمنديله»:

عـــقب الفـــهـــد تاخـــذ الفـــيـــوم
يـجـــــــيـب كـــــــيـلـه بمـنـديـلـه
شـــومي رمـــاك القـــدر بســـهـــوم
عـــــــقب الـتـــــــعـلـي نـزلـتـي لـه

«دود على عود»:

باتـن حـــــذاي الـعـــــاذلات الـهـــــواهـي
في ســـــد باب من بحـــور الـهـــوى هي
ركـبن بـه يـشـــــــدن دود عـلـى عـــــــود
والـنـفـس مـــــيـــــدان الـهـــــوى هـي

«ما بها كود الهبني»:

عـلـى دار بـشـــــرقي الـبـــــراحـــــه
تمخـلـت مـــــا بـهـــــا كـــــود الـهـــــبـني
لـكـن بـهـــــا عـــــقب ذيك الشـــــراحـــــه
الـى مـــــــــريـت بـاسـم الـلـه جـنـي

«ادق من الندم يا الورق سني»:

أبـات الـلـيـل فـي رجـــوى صـــبـــاحـــه
وأدق مـــن الـــنـــدم يـــا الـــورق ســـنـــي

على فـــقـــدي لغـــزلان الملاحـــه
طويلات المعـــانق ســـفـــهني

«ذا الخبز ما هوب من ذاك العجين»:
با شـــــرني بالملامـــــه وجلسن
عند راسي كـــالخـــضـــاري له رطين
عـــــاذلاتي في هواها ويخـــــسن
ذا الخـــبـــز مـــا هوب من ذاك العـــجين

«ألطم كما تلطم الشيعة» «راعي الهوى زايده مقطوع» «قلبه يعلق بشريعه»:
ياعلي ذا لي شـــهـــر واســـبـــوع
ألطم كـــمـــا تلطم الشـــيـــعـــه
راعي الـهـــــوى زايده مـــــقطوع
قلبـــــه يعلق بشـــــريعـــــه

«راعي الهوى دايم مسبوع»:
دونك ثويبي مـــــزوع مـــــزوع
فـــتق ظفـــوري بتـــرقـــيـــعـــه
راعي الـهـــوى دايم مـــســـبـــوع
بالليل تكثـــر ســـعـــاســـيـــعـــه

«مثل الحلوم» «كنهن في دار ابن عوام عام» «شبعة المسكين بايام الصرام»:
ياسنين اللي مـــضت مـــثل الحلوم
كنـهن في دار ابـن عـــــوام عـــــام
هل غـــريم الشـــوق يشـــبع منك يوم
شـــبـــعـــة المسكين بايام الصـــرام

«لم الهدوم»:
أو تلـمين الـشـــــمل لـم الـهـــــدوم
ياليـــالي الســـعـــد عـــودن بالتـــمـــام

أو تردين لبـــــعض ذيك الـهـــــمـــــوم

والعـــــرب والكل في ذيك الخـــــيـــــام

«لا فيه حول ولا قوه»، «كبير قوم وهم ذلوه»، «اطفوا بهجرانهم ضوّه»:

طـفـل بـزور الـهـــــــــــوى تـلـوه

لا فـــــيـــــه حـــــول ولا قـــــوّه

كـــــبـــــيـــــر قـــــوم وهـم ذلـوه

واطفـــــوا بـهـــــجـــــرانـهـم ضـــــوّه

«لا حلال ولا حرام»:

والـهـــــواوي مـن هواهـن مـــــحـــــروم

غـــــيـــــر وصل لا حـــــلال ولا حـــــرام

«يسقى شراب من سراب» «مطلق الكفين»:

قل عـــــسى يفـــــداه من لا هـو عـــــريب

وان وعـــــد يســـــقى شـــــراب من ســـــراب

عـند ابـو مـــــالـك مـــــلاذ لـلمـــــريـب

مـطـلـق الـكـفـين مـــــأمـــــون الجـنـاب

«مثل الفهد ما صاد جاب»، «بالعطا مثل الرباب»:

مـا مـدحـتـه غـيـر هو نعم الصـحـيب

ابـلـج مـــثل الفـــهـــد مـــا صـــاد جـــاب

انـت عـين الـكل يـا ســـــــقـم الحـــــــريـب

بـالـوطـيـس وبـالـعـطـا مـــــــثـل الـربـاب

«كم ادخل الحبس من مظلوم» ، «وما جاك من وادي سيله»:

إن جـــاك مـــثـلي كـــثـــيـــر همـــوم

يـلـوم حـظـه فـــــــــقـــــــــولـي لـه

كم ادخل الحبس من مظلوم
وما جاك من وادي سيله

«ما بك من الثنتين وحده»:

ابغى اتعصى امشي ولا اقوى يا عواد
مابك من الثنتين وحده يا عواد
تنشد لنا ركب نكيف يا عواد
مسومل عقب اهل مي مبهوت

«ما تذرى الطحين»:

اطلقت يمناي ملوي الرسن
وقطعت بوصالها طول السنين
وأظن رياح الهوى لي نسنسن
في ربوع كان ما تذرى الطحين

«ما ينفع المذبوح طولة قناته»:

تذكر مراكيض لك وهيهات
ما تنفع المذبوح طولة قناته

«سهام غارات المقادير عجلات»، «ما ظنها المظلوم تسبق دعاته»:

وسهام غارات المقادير عجلات
ما ظنها المظلوم تسبق دعاته
ما احلاك يا عصر غوانيه طربات
حيث المها بوصالهن مطرباته

«مد الحبل في ذمّهم واحتطب به»:

يطلق ابن لعبون العنان لذم أقوام فيقول:

أهل العمايم والنمايم والاصحاب
مد الحبل في ذمهم واحتطب به

فقوله مد الحبل في ذمهم واحتطب به كأنه يقول بالعربية «حدث ولا حرج» وسامح الله ابن لعبون وغفر له، فقد نهانا الشرع المطهر عن ذم العمائم أو التطاول عليها وعلى من تعمم بها.

«مثل القرع يفسد الى كثر لبه»:

ويمعن في ذمهم ويشبههم بالقرع الذي يفسد عندما يكبر:

رجالهم ما يسفه الاّ الى شاب
مثل القرع يفسد الى كثر لبه

«الى ظهر تلقاه دبه»:

ضيا غم عند الخواندات واطواب
والى ظهر للبر تلقاه دبه

«الطالب ارهى من المطلوب»، «مغالب الله مغلوب»:

وان قال شيخ فانا محسوب
عبد لعيناتها نوبي
الطالب ارهى من المطلوب
ومغالب الله مغلوبي

«مثل الذهب طاح مضروب»، «ابرد الى ذقته من الثلج مذيوب»:

وتحية مثل الذهب طاح مضروب
في كف محتاج ولا له معازيب
وابرد الى ذقته من الثلج مذيوب
شربة ضحى خامس على حنة النيب

«صبر أيوب»:

للمنتخي ستر العماهيج مندوب
إن علقت غمس الليالي كلاليب

اللي صـــبـــر عند البـــلا صـــبـــر ايوب
يـوم الـغـــــوانـي ذاهـلات الجـــــلابـيـب

«ما حد يسد السيل عنك بعباته»، «ان كان عندك غير قلبك فهاته»:

امـك وابـوك وكـل ذيـك الـقـــــــــرابـات
مـــا احـــد يســـد عنك الســـيل بعـــبـــاته
يـامـــا اجـــزعـــه دمع جـــرى بالمداجـــات
إن كـــان عندك غـــيـــر قلبك فـــهـــاته

الحِكم:

كما برع ابن لعبون بالاستشهاد بالأمثال وابتدع الجديد فيها، نراه قد طرّز شعره بالحكم مما شاع لدى العامة وسكبه شعرًا، أو مما اكتسبه من خبرته ومعاناته خلال رحلته القصيرة في الحياة ما جعله خبيرًا بصروفها وتقلباتها. وكما تناثرت الأمثال في قصائد ابن لعبون تناثرت الحكم. وعلى سبيل المثال سنورد أبياتاً من قصيدتين تتمثل فيها حكمته:

أرى الدار مـــا تـوفي مـــواضي وعـــودها
ولا عـــادها اللّي كـــان فـــيـــهـــا يعـــودها
وأرى الدّار لي غـــــدّارةٍ تمنـع الوفـــــا
غـــرورٍ وتنقض مـــا مـــضى من عـــهـــودها
لك الله مـــا تبـــقى على حـــال واحـــد
ولا ينعـــرف صكاتهـــا من ســـعـــودها
شـــقـــاها على طول الليـــالي مـــلازم
والاسـعـــاف مـــا تبـــقي على مـــا يفـــودها
هي العلة الصـــمّـــا هي المحنة التي
تحـــيـــر النواظر في مـــعـــاني ركـــودها

ألا يا غـــريم صـــار فـــيـــهـــا مـــولع
دع الدار تفـــعل مـــا تشـــا من حـــقـــودها
الى أقـــبل ســـعـــدها قـــابله ضـــد مـــا بـــهـــا
من الســـود أنحـــوس الليـــالي وكـــودها
ولا تـامن الصكات فـــيـــهـــا فكم لـهـــا
تجـــاوز عن العـــادات مـــجـــرى حـــدودها
تســـاعـــد بـهـــا من ســـاعـــفت له ولا بقت
على حـــالة شـــاف الطنا من كـــمـــودها
فكم حـــاذق مـــا نال فـــيـــهـــا مـــراده
ولا طاوعت له في مـــجـــاري سنودها
وكم ضـــاقت الحـــيـــلات فـــيـــهـــا على الذي
نشـــا مـــا نشـــا فـــيـــمـــا نشـــا بـه حـــسـودها
وكم طاوعت من لا لـهـــا فـــيـــه صـــال
جـــبـــان وترخص مـــا غـــلا من نقـــودها
فـــيـــالله عـــلام الظواهر ومـــا خـــفي
ومـــا حل باضـــمـــار الليـــالي وســـودها
ينصـــاك من لا يقـــدر اليـــوم حـــيله
ولا بـه على صكات بـقـــعـــا ردودها
رجـــا منك تفـــريج لما حل بالحـــشـــا
بحـــالات عـــســـرات تشـــعب عـــدودها

ومن توبته نستشهد بهذه الأبيات:

كل شـيٍّ غَـــيـــرْ رَبِّكْ وَالـعَـــمَلْ
لُـو تَـزَحْـــزَفْ لـكْ مَـــرَدهْ لـلـزّوالْ
مَـــا يـدُومَ الـعِـــزْ عَـــزَّ الّـلـهْ وَجَـلْ
فِى عَـــدَالٍ مَـــا بَدا فِـــيـــه الميَـــالْ

وَالـذى يَـنْـقَـــــــادْ بِـزْمَـــــــامَ الأمَـلْ
لا تـغَـــبْطَهْ فِى زَغَـــاتِيـــرَ الـهَـــبـــالْ
اسْـــتـــغْـــفـــر اللّهْ عَنْ كـــثْـــرَ الزَّلَلْ
وَاسْـــتِـــعِينْ أعنَايِـتـــهْ فِى كلْ حَـــالْ
تَـوبَـةَ المِغْـــــتَـــــرْ حَـــــاطْبه الأجَلْ
بَـالـعَـــجَلْ يَا أيّهـــاَ الرَّاجِى مُـــحَـــالْ
بَـادِرِهْ مَـــا دَامْ لِكْ فـــهـــا مَـــهَلْ
فَـــأَلْمَنَـايَا رَايـحـــاتٍ بِكْ عَـــجَـــالْ
وَاسْـــأَلْ اللِّى يَسْـــتِـــجِـــيبْ المْنْ سَـــأَلْ
هُو يجِـيـبِكْ مِـحـتَفٍ بِكْ حِـيثْ قَـال
إسْـــأَلَهْ بَأرســـالْ مَـــا جـــاء الرُّسُلْ
واَسْـمـــهَ المخْـــزُونْ في عِلْمـــهْ تَـعـــالْ
والمـــلائـــكـــة الـكـــرام اهـل المحـــل
واوليـــاه الواصلين به الحـــبـــالْ
يَسْـــمَح اللَّي فَـــاتْ في وَقْتْ الجَـــهَلْ
وَاسِع الغُـــفْـــرانْ وانْ ضَـــاقْ المجَـــالْ
الـعَـــفُـــو وَالصَّـــفحْ هُو للصَّـــفْح أهلْ
وَالـكَرَمْ وَالجـــــوُدْ جُـــــودهْ وَالـنَّـوَالْ
غَـــــــافِـــــــرَ الـزَّلَّتْ حَـيٍّ لَـمْ يَـزَلْ
لَوْ ذُنـوبَكْ رَاجِـــحَـــاتٍ بَالجـــبَـــالْ
يَـا هَل التَّـــقـــوى وَيَا ضَـــافِى الفَـــضلْ
تَـوبـةً لِـى مِـنْ عَـطَـايَـاكَ الجـــــــزَالْ
مِـنْ روايْـح رَحْـــــــمـتِـكْ عـلّ ونـــهَـلْ
لأهْلْ حُـــسْن الـظّـنْ بِكْ يَـا ذَا الجـــلاَلْ
والســـمـــوحَـــهْ فـــيك دوم لـم تـزل
جـــمْلـة الأقْـــدَامْ وقَـــبْـــر يـهـــالْ

فـــانَّ ذَا الدنْيَـــا كـــمَـــا وصف المثَلْ
وَالحـــيـــاة أبـهَـا كـمَـا طَيف الخـــيَـالْ
والـعـــــزيزْ أبـهَـــــا يـذِلْ ويِنـخـــــذلْ
يِبْـتلى فـيـــهَـا وَمـــا فِـيـــهـــا وبالْ
كـمْ رَأينَـا مِنْ نِـعِـــــيمٍ وَأضـــــمَـــــحَلْ
مَعْ حـــبِـــيبٍ نَازِلٍ فِـيـــهـــا وَشَـــالْ
يَـاعـــــــديم الـرأَىْ لُـوهِـى بـالـعَـــــــقْلْ
مَـــا ســـوَتْ عِنْدي عَلى بَخْـــتِكْ عـــقَـــالْ
مـــــخـلـفـــــهْ بـالـعـــــون عن زَهْـر النَّفلْ
لُـو تِـزَخْـــــــرَفْ لِكْ مَـــــــرَدهْ لـلـزَّوالْ

✱✱✱✱

الفصل السابع

ثقافة ابن لعبون وفحول الشعراء

من العلامات المتميزة لمعظم شعر ابن لعبون أنه متين الصياغة بعيد الدلالة وعباراته معبرة مؤدية لمدلولاتها وربما كان ذلك لسعة اطلاعه وخاصة قراءاته لفحول الشعراء، والجاهليين منهم على وجه الخصوص، وتأثره بأسلوبهم ونفسهم حتى حاكاهم وعارضهم وأخذ من معانيهم وضمّن كلماتهم واستعان بمفرداتهم.

إن من يتصفح ديوان أمير شعراء النبط محمد بن لعبون يلفت انتباهه الصلة الوثيقة بين أشعاره وأشعار فحول شعراء الفصحى، الجاهليون منهم والإسلاميون. فمما لا شك فيه أن محمد بن لعبون واسع الثقافة ملم بالتاريخ ضليع باللغة متمكن من مفرداتها مطلع على عيون الشعر العربي. وهذا ما جعل مفرداته جزلة المعنى عريقة الأصول وقصائده متينه البنيان.

لقد أدرك الشعراء والأدباء هذه الحقيقة ووصفوا ابن لعبون بمختلف الأوصاف وخلعوا عليه الألقاب كمتنبي النبط وشبهوه بعمر بن أبي ربيعة [١] وأمير شعراء النبط وقارنوه بجرير[٢] وقال بعضهم عنه بعد «ابن لعبون لا يلعبون»[٣].

إن هذه النعوت والألقاب التي أطلقها أدباء وشعراء اختلفت مشاربهم ولكنهم اتفقوا على وضع ابن لعبون في مكانه الذي يليق به في عالم شعر النبط وشعرائه.

إن ما ذكر عن ابن لعبون يسترعي الانتباه ويستحق الوقوف عنده لسبر أغوار شعره بتفحص وروية، ولعل ما قمنا به من لمّ شتات ما وصلنا من شعره سيوفر الفرصة للباحثين لقراءة شعر ابن لعبون بمختلف رواياته بين دفتي كتاب واحد.

ابن لعبون: جزالة مفرداته اللغوية:

يتميز شعر ابن لعبون بثراء مفرداته اللغوية العربية التي لها شروحاتها في معاجم اللغة ووردت في أشعار أصحاب المعلقات وفحول الشعراء العرب وربما حسبها القارىء عامية ولكنها عربية الأرومة استخدمها ابن لعبون وبسطها ليفهمها من حوله. لقد سعى ابن لعبون إلى استقامة وزن وقافية قصيدته وأداء معناها وإن كان ذلك على حساب مفردات اللغة ورسمها الإملائي وضوابطها النحوية، لذا فقد يضطر إلى حذف حروف من الكلمة أو زيادة حروف عليها وقد يأتي بالجديد وقد يدمج كلمتين في واحدة.

وربما اضطر ابن لعبون لابتداع أو ابتكار مفردات لا وجود لها في قواميس اللغة أو مفردات العامة ومن ذلك قوله:

ومـــجـــاملين عن هوى كل خـــرعـــوب

ومـــــفـــــارقين للطرب والغـــــوانيب

فكلمة خرعوب: هي المرأة الجميلة، أما الغوانيب فهي كلمة ابتكرها ابن لعبون ويقصد بها الغواني[٤].

ابن لعبون والمتنبي: التشابه والاختلاف:

يقول الأديب خالد بن سعود الزيد[٥] إن الأديب الراحل خالد بن محمد الفرج ترك الكثير من الآثار الأدبية منها مقالة بعنوان «ابن لعبون متنبي النبط» جاء فيها وصف ابن لعبون بأنه كالمتنبي في متانة شعره وجريانه على الألسنة مجرى الأمثال.

إن مقولة الأديب خالد بن محمد الفرج «ابن لعبون متنبي شعر النبط» لم تأت من فراغ. ولكن لماذا وصفه بمتنبي شعر النبط؟ إن وصف ابن لعبون بمتنبي النبط جعلني أبحث وفي عجالة عن أوجه التشابه بين الشاعرين، ابن لعبون والمتنبي، وبعدها وجدت نفسي أبحث عن الاختلافات بينهما أيضاً. إن هذا الموضوع يستحق أن يُفرد له مُؤلف وليس مقالة مختصرة.

إن استعراض حياة ابن لعبون وسيرته ومقارنتها بحياة أبي الطيب المتنبي وسيرته وتصفح شعر ابن لعبون وتصفح شعر المتنبي تجيب عن هذا التساؤل.

ولإبراز أهم ملامح التشابه والاختلاف بين الشاعرين المتنبي وابن لعبون أذكر الامثلة التالية:

١- الثقافة والاعتداد بالنفس:

يعتمد كلا الشاعرين على أسس قوية منها قوة الشخصية وسعة الثقافة والاطلاع. فكلا الشاعرين معتد بنفسه ولهذا الاعتداد أكبر الأثر في شعرهما.

٢- عصر المتنبي وعصر ابن لعبون:

يتفق عصر ابن لعبون وعصر المتنبي بسيادة الصراع وانتشار الفتن وكما ساد الأعاجم والعبيد في وقت أبي الطيب سادوا في وقت ابن لعبون وكما كان للمتنبي موقف منهم كان لمحمد بن لعبون موقفٌ متشابهٌ.

٣- نزعة القوة:

المتنبي وابن لعبون يتفقان بالإيمان بالقوة فكما مجّد المتنبي شبيب الذي ثار على كافور استثار ابن لعبون ابن عمه الشيخ ناصر بن راشد ليثور على ابن زهير.

٤- التصدي:

كان المتنبي قويًا في التعبير عن نفسه ولا يأبه لمن حوله وكذا كان ابن لعبون قوي الحجة نافذ الطعنات، وكانت كلمات ابن لعبون ككلمات المتنبي تحقق كل معانيها لما لها من قوة تعكس حدة قائليها ونفاذ طعناتهم.

٥ - السعي إلى السلطة:

لقد جد المتنبي للزعامة وأخذ السلطة أما ابن لعبون فإنه وإن زج نفسه في أتونها إلا أن السلطة لم تكن هدفاً له.

٦- الغرض من المدح:

مدح المتنبي واستجدى في شعره ومدح من طمع في نيله، ومدح أشخاصًا ثم هجاهم، وقد اعترف المتنبي بمدحهم أقوامًا لا يستحقون المدح وأنه مدحهم ليأخذ منهم، ومن ذلك قوله:

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
على هبة فالفضل في من له الشكر[٦]

أما ابن لعبون فنجده يختلف عن المتنبي فهو لم يمدح تزلفًا ولم يمدح أحداً ثم يهجوه كما فعل المتنبي، وبهذا تميز ابن لعبون عن المتنبي في وضوح مبدئه وصدق شعره.

٧- القوة في الغزل:

التغني بالقوة في مواقعها لا ضير فيها ولكن المتنبي وابن لعبون لم يتركا ذكر القوة والسيوف والقتل بل استمدا منها صورًا حتى في الغزل، فالمتنبي يقول:

كم قتيل كما قتلت شهيد
لبيض الطلى وورد الخدود[٧]

وبنفس القوة يتغزل ابن لعبون فيقول:

حدر الحواجب لميع سيف
والسيف بظلاله الجنه

ابن لعبون وامرؤ القيس:

الاقتباسات كلمات ومعاني:

يأخذك ابن لعبون بعيدًا وأنت تقرأ قصائده وكأنك تقرأ معلقات ولكن بلهجة عربية عامية. ومثالاً للمعاني الأصيلة لشعر ابن لعبون سنلقي بعض الضوء على

تشابه مفرداته وتشابه معانيه مع أحد اصحاب المعلقات وهو الملك الضليل امرؤ القيس، وتشابه بعض قصائد ابن لعبون بل ومعارضاته لبعض قصائد امرىء القيس واستدراكاته عليه، تدعو لدراسة هذا الشاعر المفلق وتلمس المعاني المبتكرة في شعره ومقارنتها بشكل أوسع مع شعر امرئ القيس وغيره من فحول الشعراء. ومثال لذلك ما ورد في قصيدة ابن لعبون اللامية التي مدح بها ابن عمه أحمد بن ضاحي بن عون المدلجي والتي مطلعها:

تعـــاليك يا سلمى تعـــاليل جـــهـــالي

وليـــفك عليل بالهـــوى دوم للتـــالي

تلمس فيها متانة الشعر الجاهلي ونفسه، ومن يقرأ أو يسمع هذه القصيدة لا يخامره شك أنه يحاكي منظوم شعراء الجاهلية وبخاصة امرؤ القيس. ومثال ذلك هذان البيتان:

ضـحـوك اللمى مـدمـوجـة السـاق كـالقنا

خـفـوق الحـشـا مـرتج الاعـجـاز مكسـالِ

اذا قلت هـاتـي حـــــاجـــــة لـي ودنقت

تنثـر لـهـا مـثل الشـمـاريخ مـيـالِ

إن معنى ومفردات هذا البيت خير دليل على تشابه نفس ابن لعبون مع صور لهذا البيت لامرىء القيس:

إذا قـلـت هـاتـي نـاولـيـنـي تمـايـلـت

علـيّ هضـــــيم الكشح ريّا المخلـخـل[٨]

وحتى ريا المخلخل لا يتركها ابن لعبون تمر هكذا دون أن يطرز بها بيتا من شعره فها هو في مربوعة له يقول:

ارفق فلـي فـــــيـــــهن ريـا المخلـخـل

مـبـري سـهـمـهـا بالضـمـيـر المخلخل

لا واعلى يجلي عـــضـــاي المخلـخـل

دهر مـرض في غـيّـهـا يا سـبـاهي

عارض ابن لعبون قصائد لامرئ القيس واستدرك على بيته المشهور:

مكر مفر مقبل مدبر معاً

كجلمود صخر حطه السيل من عل[٩]

فكما وصف امرؤ القيس سرعة حصانه في هذا البيت فقد وصف ابن لعبون شخصًا هاربًا ترفرف جاكات ثوبه من سرعة عدوه في بيت مشابه له في المفردات ومختلف عنه في المعنى:

واقفى مصرٍ كن جاكات شاله

جلمود صخر حطه السيل من عال

وعندما قيل لابن لعبون إن عجز البيت من امرىء القيس، قال نعم هو له، ولكنه أخطأ في استشهاده به لوصف حصانه، فجلمود الصخر إذا حطه السيل من عل لا يكر ويفر ويقبل ويدبر وإنما يأتي هاويًا داويًا. ألا ترى أن ابن لعبون استدرك على امرئ القيس ما لم يستدركه أحد قبله.

وذكر ابن لعبون الشاعر امرأ القيس في شعره بكنيته بالكندي في رباعية من رباعياته منها قوله:

بقيت طرب بالاحباب ماسل

عن لذة الكندي على ماي ماسل

ليت الهوى ماصول والغضي ماسل

لسيوف صده والوصل غير مبتوت

يقصد ابن لعبون بالكندي امرأ القيس وماسل الأولى تعني لا أسأل والثانية مأسل اسم موضع ماء، وابن لعبون استشهد بهذا الموضع حيث امرئ القيس يلتقي بأحبته هناك بقوله:

وكدأبك من أم الحويرث قبلها

وجارتها أم الرباب بمأسل[١٠]

أما ماسل الثالثة فتعني لم يسل سيوف الصد.

ابن لعبون والمنخل اليشكري:

ربما تأثر ابن لعبون بالمنخل اليشكري ونحا منحاه في وصف جدائل أو غرائر محبوبته بأنها كالحيات فيقول المنخل:

يعكفن مثل أساود الـ

تنوم لم تعكف لزور[١١]

وابن لعبون يشبه الجدائل بالعرابيد فيقول:

ومجدلات الغضى من فوق

ردفه عرابيد حيات

ابن لعبون والأعشى:

يقول ابن لعبون:

مع صحصح كنه قفا الترس مقلوب

طرب به الجني على فقده الذيب

يقول الأعشى:

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة

للجن بالليل في حافتها زجل[١٢]

بلاغة مطالع قصائد ابن لعبون:

ابن لعبون ولبيد بن ربيعة:

تتجلى عبقرية ابن لعبون وسعة ثقافته واطلاعه باهتمامه في اختيار مطالع قصائده وانتقاء كلماتها. ولسبر أغوار هذه العبقرية سأستشهد بمطلع أهم قصائده وهي توبته. لقد اجتهد ابن لعبون وأبدع في اختيار مطلع القصيدة ليتناسب مع عظمة وجلال موضوعها وليتوّجها به وهو يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ويتوب إليه.

استعان ابن لعبون بثقافته الدينية المتأصلة في نفسه وثقافته الأدبية والشعرية التي تملأ وجدانه ليجعل من «أصدق كلمة» مطلعًا ليحاكيها في توبته. بحث عن هذه الكلمة فوجدها في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قول لبيد «ألا كل شيء ما خلا الله باطل» وبحث في ذاكرته الشعرية فوجد قول لبيد ابن ربيعة:

ألا كل شيء مـــــا خـــــلا اللـه بـاطل

وكل نعـــــيم لا مـــــحـــــالة زائل[١٣]

وجد ابن لعبون الكلمة والبيت فأعاد صياغة المعنى وبحث عن قصيدة أخرى للبيد تقول:

إن تـقـــــوى ربـنـا خـــــيـــــر نـفـل

وبـإذن الـلـه ريـثـي وعـــــــــجـل[١٤]

وبهذا صدر قصيدته بمعنى البيت الأول من قصيدة لبيد وعارض القصيدة الثانية للبيد وجعل من قافية صدر مطلعها قافية صدر قصيدته، وإليك مطلع قصيدة ابن لعبون:

كـل شـيء غـــــيـــــر ربك والـعـــــمـل

لـو تـزخـــــــرف لـك مـــــــرده لـلـزوال

أو لعل ابن لعبون اطلع على قول الحارث بن عباد:

كـل شـيء مـــــصـــــيـــــره لـلـزوال

غـــيـــر ربـي وصـــالـح الأعـــمـــال[١٥]

ابن لعبون وجرير:

ذكرنا كيف تميزت مطالع قصائد ابن لعبون باستهلال يلفت انتباه سامعيه ويشدّهم إليه. إن لاختيار هذه المطالع دورًا كبيرًا في نجاح القصيدة وذيوع صيتها فهي كما يقول المثل العامي: «الرمح على أول ركزه» ومما لا شك فيه أن ابن لعبون قد أدرك هذه الحقيقة ولذا تعمد انتقاء مطالع قصائده، فكلمات مثل: يا منازل، ويا، وياذا، وقال، وقالت، ونح، وغيرها تثير عند سماعها ولأول وهلة فضولاً لمعرفة ما بعدها.

ومن خلال قراءات سريعة لمطالع شعراء العربية نجد أن ابن لعبون قد جارى فحولهم في هذا المجال ومن أولئك جرير، فقد استهل جرير عدداً من قصائده بكلمات مثل: حي المنازل، وحي الديار، وألا حي المنازل، وألا حي الديار، وحيوا الديار. وكما كرر جرير مطالع قصائده كذا فعل ابن لعبون، فهل هذا إعجاب به أم توارد خواطر.

وإليك أمثلة من قول جرير في هذه المطالع:

حي المنازل بالأجزاع فالوادي

وادي المنيفة إذ تبدو مع البادي[١٦]

ويكرر المطلع بقوله:

حي المنازل بالأجزاع غيرها

مر السنين آباد وآباد[١٧]

وقوله:

حي الديار على سفي الأعاصير

استنكرتني أم ضنت بتخبيري[١٨]

ألا حي المنازل بالجناب

فقد ذكّرن عهداً بالشباب[١٩]

ألا حي الديار وإن تعفّت

وقد ذكرن عهدك بالخميل[٢٠]

وأخيراً:

حيوا الديار وأهلها بسلام

ربع تقادم أو صريع خيام[٢١]

****

الهـوامـــش

(١) خالد سعود الزيد

(٢) عبدالله بن خالد الحاتم (أمير شعراء النبط)، مجلة البيان، العدد ٢، سنة ١٩٦٢م

(٣) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج٢، ص ٣٠٩

(٤) عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج٢

طلال السعيد (الموسوعة النبطية الكاملة) ج٢

(٥) أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية)، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٢، ٦ جمادى الأولى ١٤١٦هـ.

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي

(٧) ديوان أبي الطيب المتنبي

(٨) مصطفى عبدالشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١٥.

(٩) مصطفى عبدالشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١٩.

(١٠) مصطفى عبدالشافي (ديوان امرئ القيس)، ص ١١١.

(١١) المنخل اليشكري: شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، ص ٢٢٨.

(١٢) الأعشى، شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، ص ٣٥٣.

(١٣) ديوان لبيد، دار صادر، ص ١٣٩.

(١٤) ديوان لبيد، دار صادر، ص ١٣٢.

(١٥) عبد العزيز الغزي (الشعر فصيحه وشعبيه موهبة). الحارث بن عباد.

(١٦) ديوان جرير، دار بيروت، ص ١٠٩.

(١٧) ديوان جرير، دار بيروت، ص ١٠٥.

(١٨) ديوان جرير، دار بيروت، ص ١٩٢.

(١٩) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٢٠.

(٢٠) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٥٠٨.

(٢١) ديوان جرير، دار بيروت، ص ٤٢٦.

✱✱✱✱

الفصل الثامن

الأماكن والأسماء في شعر ابن لعبون

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ابن لعبون من ذكر اسم علم تصريحًا أو تلميحًا أو كنية، أو من معلم جغرافي أو بلد أو نهر أو وادٍ أو جبل أو أثر جرياً على عادة شعراء العرب، ويحدد ابن لعبون بعض الأماكن من خلال تحديد ما يحيط بها من معالم.

الأماكن:

تكرر عند ابن لعبون وصف الأماكن وخاصة تلك التي تربطه بمحبوبته. تغنى ابن لعبون بربوع الزبير وذكر مراتعها ومرابعها وحزومها وما بداخل البلد من أحياء وما يحيط بها من براري ومواقع وآثار وأطلال (الشكل ١٧).

يعد ابن لعبون أكثر الشعراء التصاقاً بالزبير وتغنياً بها وقد ذكر في شعره معالم بالزبير لم يأت شاعر قبله وحتى وقتنا الحاضر على ذكرها وترديدها.

يصف ابن لعبون بل يحدد منازل ميّ (الزبير) ويعرّفها ليستدل بها من لا يعرفها فيقول:

يا منازل ميّ في ذيك الحـــــــــزوم
قبلة الفيحا وشرق من سنام

فالفيحاء هي البصرة وسنام جبل معروف بين الزبير والكويت وهو للزبير أقرب.

ويذكر مواقع أخرى حول الزبير فيقول:

حـــي المـــنـــازل يمـــين اطـــلال

شـــرق الـعـــقـــيـلـة الـى هـيـلـه

العقيلة وهيله مسميات لمناطق بين الزبير وطرف خور عبد الله المعروف عند أهل الزبير بالمجدم والخوير.

ويذكر موضعًا آخر قرب الزبير فيقول:

فـــوق الأمـــيـلـح قـطـين خـــيـــام

مـــــضـــــروبـة دار مـــــا داره

والأميلح أو المويلح موقع إلى الجنوب الشرقي من الزبير ويعرف لدى أهل الزبير بالمويلحات.

يصف ابن لعبون منازل حبيبته «مي» ويحدد موقعها تحديداً فيقول:

يـا مـنـازل مـيّ عن قـــبـــة حـــسـن

من يســـار وعن قـــبـــر طلحـــة يمين

وقبة حسن يقصد بها قبر الحسن البصري، رحمه الله، وقبر طلحة هو طلحة ابن عبيدالله، رضي الله عنه، وكلاهما دفنا في الزبير، الأول في المقبرة المعروفة باسمه، والثاني خارج الزبير على قارعة الطريق المتجهة إلى البصرة.

ويأتي ابن لعبون على ذكر مواقع بعينها وأحياء باسمها مثل: ديم خزام [1]، الكوت، البقشة وخابور وغيرها، ومن ذلك قوله:

حـــي المـــنـــازل بـديم خـــــــــــــزام

اتحـــــيـــــه الجـــــار لـلـجـــــاره

ويقول :

حـــي المـــنـــازل عـلـى الخـــــــــابـور

من حـــــوض فلوان الى الـبـــقـــشـــة

الكوت وخابور، حوض فلوان، البقشة [٢] وهي أسماء أماكن بالزبير.

ويستغرق في وصفه لمواقع في جزيرة العرب فيذكر منها نجد وهيت وطويق وعفيف وتيماء والأحقاف وعُمان فيقول:

يا هل العيرات مامنهن عجاف
رابيات بنجد في هيت وريف
من جبل تيما الى حد الاحقاف
من خشوم طويق لبطانة عفيف
هايتات كالمها زرق الخفاف
من بنات عمان ممشاهن خفيف

ويقارن بين الشام والقطيف:

بالبعاد وكيف يقضى بايتلاف
حاجة بالشام ناس بالقطيف

ويذكر ابن لعبون أماكن وقرى في نجد منها الصفرات والبير، ومن ذلك في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

واقفيت تشتم للصفرات والبير
تقول عود جيتي خساره

ولا تغيب ثادق بشكل خاص وسدير ونجد بشكل عام عن خاطر ابن لعبون فيذكرها ويدعو لأهلها فيقول:

علمي بهم قطن على جو ثادق
ساقاها مرنات الغوادي ركومها

ويأتي على ذكر سدير بقوله:

الى جيت في وادي سدير فخلّها
تذب العفا ما فوقها الا وسومها

وفي مدحه للأمير أحمد بن محمد السديري يذكر الغاط بقوله:

عـــامـــدات نجـــد من بعـــد المســـاف

خـــاصـــات الغـــاط من نجـــد المريف

ويذكر ابن لعبون بلدة ديلم التي انتقلت لها ميّ فيقول :

يـا مـــــال نجـم حـــــداه نجـــــوم

يـــدق ديـــلـــم ومـــن هـــي لـــه

ديلم من بلاد عربستان على حدودها مع العراق وكانت ديلم وقتذاك أكثر سكانها عرب وحكمها عرب من قبيلة الخليفات.

وتمضي السنون التي عاشها ابن لعبون في دار ابن عوام (الزبير) سريعة، ويتحسر على ذلك بقوله:

يـا سنـين لـي مـــضت مـــثل الحلوم

كـنـهـن فـي دار ابـن عـــــوام عـــــام

وفي الكويت ذكر وارة مفاخرًا فقال:

عن المجـــد انشـــد ولـد يام ومطيـــر

وانشـــد جـــمـــاجم روســـهم عند واره

وفي البحرين يأتي على ذكر جال الرفاع:

ليت أهلـنـا واهـل مـي جـــمـــيـــع

نـازلـين عـلـى جـــــال الـرفـــــاع

وذكر البصرة في إحدى نقائضه لابن ربيعة:

ولـولا حـــمـــود هـو وداود شـــالـه

مـا اسـتـملك البـصـره وبذله للأمـوال

ويأتي ابن لعبون في قصيدة له على ذكر شط العرب بقوله:

لـو رمـــيت بـه الذي لك من خـــصـــيم

مـا جـرى شط العـرب غـيـر الدمـوم

واستشهد بعذوبة النيل فقال:

وبحـــــــر جناه الدر واحلى من النيل

اضـــحى بعـــينه كـــالســـراب يتـــحـــوّل

وينسب ابن لعبون رجال لبلدانهم كقوله:

اترعن كـــــاس الـهـــــوى لـي واندفق

كـــاس عـــذري الـهـــوى راعي الحـــريق

وراعي الحريق إشارة إلى الشاعر محسن الهزاني، وهو من بلدة الحريق بنجد.

الأسماء:

الأنبياء:

ورد في شعر ابن لعبون ذكر لأسماء عدد من الأنبياء، منهم إمامهم وخاتمهم محمد بن عبد الله عليهم وعليه أفضل الصلاة والتسليم، فقد اختتم ابن لعبون بذكره والصلاة والسلام عليه في عدد من قصائده. واستشهد بذكر عدد من الأنبياء بما اتصفوا به من صفات غدت مضرب المثل، ومن الأنبياء الذين ذكرهم: يعقوب ويوسف وأيوب ويونس وذكر ابن مريم كناية عن عيسى، عليهم جميعاً وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والتسليم.

ومن ذلك قوله:

يا ركب مـــا ســرتوا بيـــوسف ليـــعـــقـــوب

قـــبل الفـــجـــر ينبـــاج والليل غـــربيب

الملائكة:

كما ذكر ابن لعبون أسماء ملائكة منهم هاروت وماروت وجبريل وميكائيل.

ومن ذلك قوله:

ينضـــا البـــراقع عن لمى فـــيـــه مـــردل

مـــاي الحـــيـــاة وبين اشـــافـــيـــه مـــردل

عـــسل بـهن وســـاحـــر الطرف مـــردل
مـن شك مـــــا هـاروت لـحـظـه ومـــــاروت

النساء:

ميّ وهيلة:

ردد ابن لعبون ذكر أسماء نساء منها ما هو مستعار ومنها ما هو حقيقي. ومن الأسماء التي رددها ابن لعبون كثيراً ميّ الذي قيل إنه اسم من تعلق بها قلبه لأول مرة وهي مي المطيرية في بلدة ثادق قبل خروج ابن لعبون منها، وبعد ذلك استعان باسم مي كاسم مستعار لكل من تعلق قلبه بهن أو غازلهن.

لقد طغى ذكر ميّ على كل الأسماء وكادت لا تخلو قصيدة من قصائده من ذكرها. وابن لعبون عندما استعان باسم ميّ جرى كعادة شعراء العرب الى اللجوء إلى تسميات استعاروها لأحبتهم ولسان أحدهم يقول:

أســمــيك ســعــدى في نسـيــبي تارةً
وآونـة اســـــمـــــا وآونـة لـبـنـى
حـــذارًا من الواشين أن يســمــعــوا بنا
وإلاّ فـــمن ســـعـــدى لديك ومن لـبـنى

وهي حال ابن لعبون وإلا فمن هي مي؟ إنه اسم استعان به ابن لعبون لمناجاة حبيبته.

يذكر أن الاسم الحقيقي لميّ هو هيلة، وعندما يئس من الفوز بها صرح باسمها علانية بقوله:

والـلـه لـولا الحـــــيـــــا واللـوم
لا صـــــيـح واقـــــول يـا هـيـلـه

أخريات:

وتكررت أسماء نساء في شعر ابن لعبون منها ما كان كنية لشخص مثل لطيفة (أخو لطيفة)، وضحى (ولد وضحى)، مريم (أخو مريم). وردد أسماء نساء

ربما استعان بها لتلطيف قصائده مثل قوت، سعاد، زينب، هند، ليلى، هياء، قماشة، ساره. أما اسم سلمى فقد ذكره وقصد به الدنيا والعامة وخاصة النساء يقلن «صكته سليمى» و«سليمى الغايرة» وسليمى هو تصغير سلمى.

. ومن الأسماء التي رددها اسم فريجة الذي قيل إنه اسم ربابته التي كان يلجأ إليها «لتفرّج» همومه، ويبثها لواعجه وأشجانه وغرامياته[٣]. ومن قائل إنه اسم إمرأة دفافة (ضاربة دف)[٤].

أمراء ووجهاء :

ذكر ابن لعبون رجالاً معروفين تركوا أثراً في حياته وحياة من حوله منهم الأمراء والوجهاء والشعراء. جاء ابن لعبون على ذكر أسمائهم صريحة أو مكناة أو تلميحاً وتعرض لهم في شعره ذكراً أو مدحاً أو هجاء. لقد ذكر ابن لعبون أسماء رجال مدحهم مثل محمد بن ثاقب (أبو إبراهيم) وضاحي العون وابنه أحمد أو أحمد بن محمد السديري وأبومالك وأولاد سالم وجاسم أو قاسم.

ومن المسؤولين العثمانيين في العراق ذكر الوالي العثماني في بغداد وهو داود باشا وذكر كاظم آغا المتسلم العثماني على البصرة، وربما قصده بقوله راعي الوكالة.

ومن شيوخ الكويت ذكر الشيخ جابر بن عبد الله الصباح مرة باسمه جابر، ومرة أبو صباح، وأخرى أخو مريم. ومن آل سعود ذكر مقرن، وتركي، وثاقب، ومن أمراء المنتفق ذكر حمود بن ثامر السعدون وابن صلال من فرسان المنتفق.

شعراء:

ومن الشعراء الذين عاصروا ابن لعبون ونادمهم وذكرهم في شعره عبدالله بن ربيعة وابن جلق. وقد ردد ابن لعبون اسم صديقه وغريمه ابن ربيعة بأكثر من اسم وكنية منها عبدالله، وعبيد، وابن ربيعة، وربما قصده بقوله ابن عايد، كما وذكر زيد الربيعة أخا الشاعر ابن ربيعة.

أشار ابن لعبون إلى رجال مثل استشهاده بالسموأل أو بذكر ما يدل عليهم من طرف خفي كقوله: خراعب اللي وصفهن (بان) بسعاد يقصد به كعب بن زهير بن أبي سلمى، رضي الله عنه وفي هذا إشارة إلى قصيدته بانت سعاد، وقوله: (عن لذة الكندي على ماي ماسل) ويقصد بالكندي هنا امرأ القيس، وقوله أيضًا: (كاس عذري الهوى راعي الحريق) ويريد به محسن الهزاني. وذكر الزناتي خليفة بقوله: (وصابه مثل ما جا الزناتي بالامثال).

مجهولون:

واستشهد بذكر أسماء لأشخاص غير معروفين لدينا أو ربما لا وجود لشخوصهم وذلك لما اقتضته ضرورة القصيدة مثل سلامة وصالح حراش وأخو قوت وفهد.

أما عبداللطيف الذي ورد في إحدى قصائده فليس المراد به اسمًا وإنما عبدٌ للطيف أي محبوبته.

وأسماء كرر مناداتها أو الاستعانة بها في عدد من قصائده ربما رمزًا أو لأشخاص حقيقيين مثل عواد وعلي اللذين اختلف الرواة في حقيقتهما ومن خلال قراءة قصائد ابن لعبون يكاد ينحصر ذكر علي في قصائده المغناة وخاصة تلك التي ربما نظمها وهو في البحرين . أما عواد فيكاد ينحصر ذكره في طوال القصائد وفي المهمات الصعبة وكأنه صديق حميم وأمين سر مؤتمن ينتدبه لتقصي أخبار مي وطواريها.

الكنى:

عمد ابن لعبون إلى الكنية عند ذكره لعدد من الأشخاص مثل: أخو لطيفة، أخو مريم، أبو صباح، أبو مالك، أبو سالم، أبو إبراهيم، بنت بنقير، ابن عايد، راعي الوكالة.

ذكره نفسه:

ذكر ابن لعبون نفسه في عدد من قصائده مرة باسمه صريحاً «محمد» أو استعار بذلك كقوله ابن حمد أو ابن مدلي (مدلج) ومرة ذكر ابن لعبون، وربما قصد نفسه بقوله أخو لطيفة، وكذلك راعي المنظوم وبارع الزين.

الزهور والنباتات:

ومن الأزهار والنباتات الموسمية والبرية العطرة الرائحة ذكر ابن لعبون الجثجاث والرمث والحزا والزهر والشيح والقيصوم والبختري والخزامى وغيرها. ومن ذلك قوله:

ولا تحسب الجثجاث والرمث والحزا

والشيح والقيصوم عطّة هدومها

****

الهـــوامـــش

(١) يرى كثير من الناس أن اسم ديم خزام هو أصلاً دم خزام وأطلق على الموقع الذي دارت فيه رحى معركة الجمل حيث عقر جمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المسمى «خزام». ولكن هذا ليس بصحيح ويفند الصانع والعلي (إمارة الزبير بين هجرتين)، ج٤، ص ٢١٥ هذا الرأي لأسباب عدة أهمها:

أ – ليس لهذه الرواية سند تاريخي.

ب – أن جمل عائشة، رضي الله عنها، يدعى عسكرًا وليس خزامًا.

ج – لم تنحصر معركة الجمل في مكان واحد بل شملت مساحة شاسعة في المنطقة.

ويفسر الصانع والعلي تسمية الموقع بديم خزام أن هنالك طريقتين لزراعة الحنطة الأولى ديمًا ويسمى بعلاً اعتمادًا على الديم أو المطر، والثانية سيحًا ويعتمد على الري وكان أحد المزارعين واسمه خزام زرع حنطته ديمًا واختار هذا الموقع وكان منخفضًا تتجمع فيه مياه الأمطار وأصاب خيرًا بينما تلف زرع أصحاب السيح في ذلك الموسم فقال الناس «ديم خزام غلب سيح الجماعة» وذهبت مثلاً وسمي الموقع بديم خزام.

(٢) البقشة اسم مكان في الزبير وأصلها بخشة كلمة عثمانية تعني الحديقة أو البستان.

(٣) فريجة قيل إنه اسم ربابة ابن لعبون: عبدالله بن خالد الحاتم (خيار ما يلتقط من الشعر النبط)، ج١، ص ٢٨٩، خالد بن محمد الفرج (ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد)، ج١، ص١٤٤، حسين سرحان (اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون) مجلة العرب، ج٩، سنة ٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، ص ١٠٦٨.

(٤) فريجة قيل إنه اسم لامرأة دفافة (قارعة دف)، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري (لماذا خرج ابن لعبون من الزبير ومتى خرج؟)، صحيفة الجزيرة يوم ١٩٩٥/٩/٩م.

✱✱✱✱

الفصل التاسع

معارضات الشعراء لشعر ابن لعبون

ذاع صيت ابن لعبون وانتشر شعره بين الناس في مختلف البلدان وتسابق الشعراء في سلك ما ابتدعه من فنون الشعر واتباع مدرسته وعارضوا جل قصائده وتنافسوا في ذلك. لقد تأثر عدد كبير من فحول شعراء النبط في عصر ابن لعبون وبعده بشعره ورددوا اسمه واقتبسوا من معانيه واستعانوا بمفرداته وتضمين أبيات وشطور من شعره، ومن أبرز أولئك الشاعر عبدالله بن ربيعة وعبدالله الفرج وعبدالمحسن الطباطبائي ومحمد بن عبدالله القاضي وغيرهم.

وباختصار سنورد أمثلة على معارضات الشعراء لعدد من قصائد ابن لعبون والمهملة وذات القوافي.

القصائد:

قصيدة:

اللهْ عَـــسَى بَرْقٍ سَـــرَى يَابن عَـــايِدْ
مُـــوضِى بُروقـــهْ مـــخِلِفَـــات المَواعِـــيـــدْ
والى صـــــدَقْ جِـــــعْلهْ يِمينَ الْفـــــرايِدْ
هـامِـي ربـابـهْ نَـازحٍ فـي تـخـــــــــاديـدْ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٥٤) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٢ بيتاً يعاتب فيها الشاعر محمد بن فوزان مطلعها:

كـــــثـــــر الحكي مـــــا لنـا بالعـــــوايد
وانت تدري يـا مـــحـــمـــد فـــلا زيد

الاولـــى طـــرف عـــن الخـــلـــق نـــايـــد
لـولا حكـايـا بـعض الـنـاس مـــــقـــــاريـد

ورد ابن فوزان (ديوان الفرج ص٥٤) على عبدالله الفرج بقصيدة عدد أبياتها ٢٦ بيتاً مطلعها:

اهـلاً عـــــدد مـــــا هـللـوا بـالمســـــايـد
أو عـــد مـــا ركب ســـرى يخـــبط البـــيـــد
أو عـــد مـــا يهـــتـــاش خـــوص الجـــرايد
أو عـــد مـــا ضـــجت غـــروب المعـــاويد

قصيدة:

يـا مـنـازل مـيّ فـي ذيـك الحـــــــــــزوم
قـــبـلـة الفـــيـــحـــا وشـــرق عن سنام
في ســـراب عن جـــوانبـــهـــا يحـــوم
طافـــحـــات مـــثـل خـــبـــز في يدام

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص١٣٧) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٥٣ بيتاً مطلعها:

هل عـــرفت الدار خـــافـــيـــة الرســـوم
او منع عـــرفك لهـــا منهـــا الهـــدام
أقـــفـــرن برســـومـــهـــا ايام الحـــســـوم
وأبعـــدن سكانـهـــا عـــبـــر العـــوام

قصيدة:

فَـــلا َذْر نُورْ الشَّـــمْسْ والشَـــمْسْ خَـــدِّكْ
ولا القَـــمَـــرْ السَّـــيَّـــارْ يَومْ أنْتْ سَـــاير
عليْـــهَـــا مَـــلامي كَلّمَـــاَ ذَر شارِقْ
وَعْـــتب كِـــبِـــيـــرٍ حِـــيْـــثـــهْ امْ الكَبَـــايِرْ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٥٩) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٤٤ بيتاً ومطلعها:

تفكرت بالدنيـــا وشـــفت العـــبـــاير
ومن عـاش في الدنيـا يشـوف العـبـاير
وبيـــحت مما هالني الســـد بعـــدمـــا
غـــشى القلب مـــر لاجي فـــيـــه حـــاير

وقد استعان الفرج في هذه القصيدة بكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته ومن ذلك قوله:

عليـــهن مـــلامي كل مـــا ذر شـــارق
وعـــتب كـــبـــيـــر كل مـــا ســـار ســـاير

قصيدة:

ألا يـا بـارق يـوضـى جـنـاحـــــــــــه
شـــــمـــــال وأبـعـــد الخـــــلان عـني
علـى دار بشـــــــرقي البـــــراحـــــه
أقـــفـــرت مـــا بـهـــا كـــود الهـــبني

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٤٧) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٣ بيتاً ومطلعها:

عـــــلامي مـــــا امل من النيـــــاحـــــه
وفـــشـــر الســـد مـــفـــجـــوع كـــمني
وطرفي مـــا يوني بانســـــفـــاحـــه
وفي طيب الكرى مـــا هو مـــتـــــهني

قصيدة:

يَـا مَنـازِلْ مَـىْ عَنْ قـــــبَّـــــةْ حَـــــسَنْ
مِنْ يسَـــارْ وعَنْ قَـــبـــرْ طَلْحَـــهْ يمِينْ

في ربوع كل مـــا فـــيـــهـــا أسن
في ديار كل مـــا فـــيـــهـــا حـــزين

عارض هذه القصيدة الشاعر عبدالمحسن الطباطبائي بقصيدة مطلعها:

هـل عـــــــرفت الـدار يـا نـافـي الـوسـن
او مـنـع عـــــرفـك لـهـــــا طـول الـسـنـين

وذكر ابن لعبون في هذه القصيدة إشارة إليه بقوله:

واعـــتـــبـــر في قـــول من قـــال يخـــسن
«ذا الخـــبـــز مـــا هوب من ذاك العـــجـين»

لقول ابن لعبون:

عـــــــاذلاتـي في هـواهـا و يـخـــــــسن
هـا الخـــبـــز مـــا هوب من ذاك العـــجـين

وعارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٤٤) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٤ بيتاً ومطلعها:

طال لـيـلـي من جـــفـــا جـــفـنـي الـوسن
عـن نـظـيـــــــر الـعـين وابـديـت الـكـنـين
أرقـنـي مـن عـــــــقـب مـــــــا ونـسـن
في فـــــروع الـدوح ورق ســـــاجـــــعين

واستخدم الفرج الكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته في هذه المعارضة ومن ذلك قوله:

وحـلـفـن لـي بـالحـــــسين وبـالحـــــسن
قـلـت بـالـســـبطين مـــــا عـــــوّل ولـين

وقول ابن لعبون:

وحـلـفـن لـي بـالحـــــسين وبـالحـــــسن
قـلـت حـــــاشـــــا مـــــا نـطـيـع المجـــرمـين

وختم معارضته بما ختم ابن لعبون قصيدته إلا أنه استبدل ردّن في بيت ابن لعبون في راحن بقوله:

واحـــــمـــــد الله يـوم راحـن وافلـسـن

والـثـنـا لـلـه رب الـعـــــــــــالمـين

قصيدة:

تَعـــالِلك يَا سلمى تَعـــالِيل جـــهَّـــال

ولِيـــفِكْ عـليلٍ بـالـهَـــوى دَوم للـتَّـــالـي

ومَن سَـــالَكْ سَلمىَ صـــفَـــا البَين حِـــزبه

وَمَن طَاوَلكْ طَالَتْ لَيـــالِيـــهْ بِعـــوَالِي

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٠٤) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٣ بيتاً وأخذ مي من ابن لعبون بقوله:

تحـــــملت يـا مي الـعـنـا مـنك عـــــزالـي

ولا طعت بك بـاللـوم عـــــمي ولا خـــــالـي

وقـــضـــيت انا لي بك زمـــان على المدا

وانا كـــان قـــبل اهواك يا مي مـــا آلي

هذا وقد استعان الفرج في معارضته بالكثير من مفردات ابن لعبون ومعانيه بما في ذلك استخدامه لاسم مي.

قصيدة:

هَـل الـدارْ يَـا عَـــــــــــوّادْ إلاَ مَـنـازِلْ

سَـبـارِيتْ يًا عَـوّادْ خِـفْـيَتْ رسُـومـهَـا

يلوحْ السَّنَا فـيـــهَـا كـمـا لاَحْ زرُقَـــهْ

عَلى خَـــدْ مَي مِـنْ بقـــايَا وشـــومـــهـــا

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٢٧) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٤ بيتاً ومطلعها:

هل الدار الا خـــافـــيـــات رســـومـــهـــا
وهل شـــاخص في الحي الا رســـومـــهـــا
عـــواف تلوح أطلالهـــا في عـــراصـــهـــا
كـمـــا لاح بكفـوف العـذارى وشـومـــهـــا

وقد ضمن الفرج شطور أبيات من ابن لعبون واستعان بكثير من مفرداته ومعانيه ومن ذلك: تبصر خليلي هل ترى من ظعاين وختم قصيدته بتضمين شطر من بيت من أبيات قصيدة ابن لعبون ويذكره باسمه بقوله:

فـالـى جـيـتـهـا دعـهـا لقـولـة مـحـمـد
تذب العـفـا مـا فـوقـهـا الا وسـومـهـا

وذلك لقول ابن لعبون:

إلىَ جِـــيتْ فِى وَادِى سِـــدَيرٍ فَـــخَلَّهَـــا
تَذُبَّ الْعَـفـا مـاَ فَـوقَـهـا الا وُسُـومَـهَـا

قصيدة:

خَـــلاَ السَّـــفْحْ يَاعَـوَّادْ مـــا فِـيـــهْ من هَلَهْ
عُـقْبْ خـبـرْنَا بـهْ غَـيْـرْ راك وَصـفْـصـافِ
عَـفَـتْـهَ البـــوَادى وارْعَج الرِّيحْ وَاخْـتـفى
خِـفْـيتَ رسُـومـهْ كـمـا دَارٍ بـالاحـقـافِ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص٨٩) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٦٠ بيتاً ومطلعها:

على الســفح للتــسليم يا ركب عــوجــا في
عـسى بانحـراف العـيس لي مـشف اوشـافِ
دعـــــونـي اوادع بـالـنـفـــــودين مـنـزل
حـبـيـبي ومـعـهـد يـا ركب بدر الانصـافِ

وفي معارضته هذه استعان الفرج بجل معاني ومفردات ابن لعبون والإشارة إليه بالاسم ومن ذلك قوله:

ثليله الى دنق بقـــولة مـــحـــمـــد
تنثـــر لهـــا ظليل ســـاف على ســـافي

ومحمد هو ابن لعبون لقوله:

إلَى قَلْتْ هَاتِى حـاجَـــــــةٍ لِي وَدَنّقَتْ
تَنثْـــر لَهَـــا ظِلِيلْ سَـــافٍ عَلىَ ســـافٍ

وعارضها في قصيدة أخرى (٣٢ بيتاً ص ٩١) مطلعها:

خليلّي عـــوجـــا لي على المنزل العـــافي
لعلي ارى التـــسليم مـــشف لي وشـــافي
دعـــــــونـي أوادع بـاللـوى لـي مـنـازل
حـبـيب عـفت يا ليـتني مـثلهـا عـافي

وفي هذه القصيدة يستشهد وبطرف خفي في ابن لعبون بقوله:

وعـصـر تقـضى يوم ثوبي على الهـوى
حـواشيـه مـا احـتـاجت كـمـا قـيل للرافي

لقول ابن لعبون:

أجَـــــاذِبْ ردَاهَا يَـومْ ثوبِى من الهَـــوى
جِـدِيدٍ وَلا احْـتْـاجَتْ حـواشِـيـهْ للرّافي

وعارضها الفرج (ديوانه ص ٩٤) في قصيدة ثالثة (عدد أبياتها ٣٢ بيتاً) يقول مطلعها:

الله لحـــد بيـــحت مـــا كـــان خـــافي
وأفـــضـــيت ســـد طالما عـــز ينشـــاف
مـــســـتـــحكم بالعـــون هذا الجـــوى في
الـله يمـد المبـــــــتـلي مـنـه بـالـطـاف

تضمنت الكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته.

قصيدة:

يَا رَكْبْ مـا سـرتوا بيُـوسِفْ لـيـعْـقـوبْ
قَـبْل الفَـجِـرْ ينبَـاج وَاللَّيلْ غِـرْبِيبْ
مِـقـدَارْ مـا يَفْـرَغْ مِنْ الكَاسْ مَـشْـرُوبْ
تَـرَيَّضُـوا يَـا رَكبْ مَنْـتُمْ اجَـانِيبْ

عارض هذه القصيدة عدد من الشعراء منهم عبدالله الفرج ومحمد العبدالله القاضي، فقد عارض عبدالله الفرج (ديوانه ص١١) عارض هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٨ بيتاً ومطلعها:

بـالـلـه يـا ركـب تـعـنـى بمكتـوب
حـاوي سـلام مـا حـوته المكاتيب
مـا افـتـر عـمـا جـانس الرد مـقلوب
الا وهو يفـضح عـقـود الرعـابيب

كما وعارض هذه القصيدة محمد العبدالله القاضي (الأزهار ص ٤٢) في قصيدة تتكون من ٤٥ بيتاً بعث بها إلى الأمير أحمد بن محمد السديري ومطلعها:

يـالـلـه قـربوا كل منـجـوب
هجن تفـوج افـجـوج نكد الدباديب
مع زمـرة الويلان عـامين مـحـسـوب
يرعن زهر قـفـر حـمى المغـاليب

قصيدة:

مـا طَرَقْ فـوقْ الْوَرَقْ يَابِنْ جلَقْ
زُورْ كَف فَـوقْ كَف مـا يِلِيق
كلمَـا هَبَّ الْهـوا لِهْ واصْطفَقْ
حَـمّلهْ بِفْـرَاقـهْمْ مَـا لا يطِيقْ

عارض هذه القصيدة عدد من فحول شعراء النبط وقد كانت معارضتهم محكمة لدرجة التبس أمر نسبة معارضاتها على بعض الدارسين إلى قائليها، ومن ذلك نسبة معارضة الطباطبائي إلى ابن لعبون مرة (الصفراني) ونسبتها إلى ابن مسلم (الظاهري) مرة أخرى، ومن هذه المعارضات نورد هذه الأمثلة:

عارض هذه القصيدة محمد بن عبدالله القاضي بقصيدة (٣٣ بيتاً - الأزهار ص٣٠) بقوله:

هبت اريـاح الـفـــــــراق والـلـى بـرق
بـارق من صـــوب ســـاعـــات المضـــيقْ
كـلمـــــا غـــــرب دجـى لـيـل غـــــسق
كـل هـم جـــــاه من فج عـــــمـــــيق

وعارض القصيدة أيضاً إبراهيم بن محمد القاضي بقصيدة (الظاهري) مطلعها:

بـادرن الـعـــــوق والـبـــــوم اصـطـفـق
فـي هـوانـا لـين ســـــــوى لـه طـريـق

وعارضها الشريف ابن منصور بقصيدة (الظاهري) أخذ من ابن لعبون بعض معانيه ومفرداته ومن ذلك قوله:

لـفـــــتـــــة الـغـــــزلان وبـطـون الـسلـق
حـــــملـن الـقـلـب حـــــمـل مـــــا يـطـيـق

وعارض القصيدة أيضاً محمد بن مسلم بقصيدة (٤٣ بيتاً الحاتم ج٢ ص١١٠) بقصيدة مطلعها:

مـــــا شـــــدا الـبـلـبـل بـصـــــوت او نـغـق
ازرق الـطـيـــــــجـــــــان بـالـدوح الـوريـق
او تـقـلـقـل صـــــــوت رعـــــــد او بـرق
بـارق الا واشـــــــرقـنـي فـي الـبـــــــريـق

ويأتي ابن مسلم على ذكر ابن جلق في قصيدته بقوله:

او يـراكـم فـي مـنـامـكـم ابـن جـلـق
خـــذ ثلاث سنين سكر مـــا يـفـــيق

ويذكر ابن لعبون بقوله:

ليت ابن لعـــبـــون منجـــوب العـــمق
شـــايف ذيك الجـــوازي يوم ســـيق
كـــان فـــارقـــه العـــزا والا شـــهق
شـــهـــقـــة من حـــرها يمشي شـــريق
ولو يشـــوف اخـــدودهن وقت العـــرق
كـــان زهد الورد والراح العـــتـــيق

أما الشاعر عبدالمحسن الطباطبائي (الصفراني ج٤، ص ٣٢) فقد عارض هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٥ بيتاً ومطلعها:

يـــا مـــنـــازل مـــي فـــي ذيـــك الـــبـــلـــق
عـــافـــيـــات مـــا بقي فـــيـــهـــا صـــديقْ
في ســـــراب لايح مـــــثل الـبـــــهق
طافـــحـــات دورها مـــثل الغـــريقْ

نسب الصفراني هذه القصيدة إلى ابن لعبون وضمها الظاهري مع قصيدة ابن مسلم. وفي رواية «بودي» يا منازل هند بدلاً من منازل مي وهذا هو الأصح، ومما يؤكد أنها ليست من شعر ابن لعبون ما ذكره ناظمها الطباطبائي حول ابن لعبون وابن جلق بقوله:

لـو مـــحـــمـــد مع نديمه بن جلق
صـــابهم مـــا صـــابني صـــاروا رقـــيقْ
ليت هو من صـــافح عـــصـــرهم واعـــتنق
واحـــتظى من كـــيـــفـــهم بفك ريقْ

قصيدة:

أرى الدار مـــا توفي مـــواضي وعـــودها

ولا عـــادها اللّي كـــان فـــيـــهـــا يعـــودها

وأرى الدّار لي غـــــدّارةٍ تمنـع الوفـــــا

غـــرورٍ وتنقض مـــامـــضى من عـــهـــودها

عارض هذه القصيدة الشاعر عبدالله الفرج في رثاء إحدى قريباته (ديوانه ص٣٩) بقصيدة عدد أبياتها ٨٢ بيتاً ومطلعها:

ارى الدار مـــا توضي ليـــالي ســـعـــودها

وهل شـــابـهـــا غـــيـــر اتلع الجـــيـــد رودها

تعـــفت وهي مـــا ناوحت صـــوب مـــزنه

ولا زلزلتـــــهـــــا كـــــالمدافع رعـــــودها

ورثى عبدالمحسن الطباطبائي (الرشيدية ج٢ ص ٢٥٠) الشاعر عبدالله الفرج بقصيدة تتكون من ٧٦ بيتاً ومطلعها:

سل الدار عن مـــا ســـال دارس عـــقـــودها

لـهـــا ضـــاع يا عـــثـــمـــان واسط عـــقـــودها

بقـــايا لـهـــا رسم يضـــاهي بحـــيـــهـــا

مـــراجـــيع وشم في مـــعـــاصم عنودها

لم يكتف عبدالمحسن الطباطبائي بمعارضة قصيدة ابن لعبون بل استهلها بتضمين عجز من بيت من قصيدة ابن لعبون في قوله:

مـــــضى ذا بمودة الشـــــيخ نرسم ونرخ

سل الدار عن مـــا ســـال دارس عـــقـــودها

وفي القصيدة إشارة خفية إلى ابن لعبون في البيت:

فـــلا جـــالت بســـاحـــاتهـــا الهند هندها

ولا ينـجـلي من قـــولتك كـــود كـــودها

لقول ابن لعبون:

الى أقـبل سـعـدها قـابله ضـد مـا بـهـا

من السـود أنحـوس الليـالي وكـودها

قصيدة:

سـقَى صـوب الحَـيَـا مِـزنٍ تَـهَـامَـا

عَلَىَ قَـبْـرٍ بِتَلعـاتْ الحَـجَـازي

يِعطْ بْهَـا البَـخَـثْـرىْ والخْـزَامَى

وتَرْتَـعْ فِـيـهْ طفَـلاَتْ الجـوازي

عارض هذه القصيدة عدد من الشعراء ومنهم الشاعر الكبير عبد المحسن الطباطبائي بقصيدة عدد أبياتها ٥٩ بيتاً ومطلعها:

سـقَـا سـحب الطهـا ديم الخـزامـا

ثمـان مـسـتـهل الذيل يازي

ملث من مـراويح الغـمـامـا

على شـاطيـه ينحـاز انحـيـازي

وقد أورد الأديب عبداللطيف البابطين في مخطوطته وفي طبعتها الأولى هذه المعارضه منسوبة إلى ابن لعبون ، في حين إن الطباطبائي يذكر في هذه المعارضة الشاعر ابن لعبون بقوله:

دهـانـي مـا دهـى ذرب الـكـلامـا

ابـن لـعـبـون مـن خـطـب المـرازي

قصيدة:

لـو بـاتمنَّـى قلـتْ يَـالـيـتْ مـنْ مَـاتْ

حَـيث الطَّرَبْ ووْصَـال الأحـبَـابْ فَـاتـهْ

ويـقْلِـب الحـــــزْن الطِّـويـل الذَّى فَـــــاتْ
يـنْـصـاهْ فِـى قَـلْـب الخـلِـى واعِـــــــداتـهْ

عارض الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٢٩) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٣٩ بيتاً ومطلعها:

مـــا بـال منهـــوم بـالاحـــبـــاب مـــا بات
الا بـلـيـل الـنـابـغي فـي مـــبـــاتـــــــه
ومـــســـهـد يشكي الـتـــجـــافي ولـيـعـــات
مـــا زال مـــالوم الحـــشـــا في شكاتـــــه

قصيدة:

عـــــلامـــــه مـــــا ينابيني عـــــلامـــــه
ويخـــــفي مـــــا بقلبـــه من غـــرامـــــه
ويـخـلـف سنة الـعـــــشـــــاق عـنـهـــــا
ومـــــثله مـــــا يغـــابي في كـــلامـــــه

عارض عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٣٣) هذه القصيدة بقصيدة عدد أبياتها ٤٥ بيتاً ومطلعها:

على دار نعت فـــيـــهـــا الحـــمـــامـــه
وسلسل مـــدمـــعي خـــافي الـعـــلامَـــهْ
وقـــفت بحـــيـــهـــا واذكى غـــرامي
هـزار نـاح فـي ذيـك الـعـــــــدامـــــــهْ

قصيدة:

قـــــالـتْ فـــــريـجَـــــهْ لِـوَرْقٍ نَـاحْ
يَـامَـــــــــــــــالْ ســـــلاَّل الأَرْواحِ
يَـالْـوُرقْ عَـطْـنـى هَـواكْ وَشَـــــــــاحْ
وَاعْطِيكْ طَوقِى ومِـــــسْـــــبَـــــاحِي

عارضهما الشاعر عبدالله الفرج (ديوانه ص ٣٦) بقصيدة عدد أبياتها ١٥ بيتاً ومطلعها:

حـــي المـــنـــازل وهـــن طـــلـــوح
حي الذي رســـمـــهـــا مـــاحي
حـــمـــام يا اللي لعى بصـــدوح
حـــاد على الدوح مـــا ياحي

ويأتي عبدالله الفرج على ذكر ابن لعبون من خلال استشهاده بحب ابن لعبون لابن ضاحي بقوله:

حـــبي لهـــا مـــا يريد شـــروح
حب بن حـــمـــد لاحـــمـــد الضـــاحي

قصيدة:

حَـــيِّ المـــنَـــازِلْ وهـــنّ طْـــلُـــولْ
تِحِـــيَّـــةَ الصَّـــاحِبَ أصـــحَـــيـــبَـــهْ
وَقِفْ علـيـــــــهِنْ عَـــــــرض وَطُول
وَقْـــفَـــةْ مـــحَـــمَّـــدْ عَلىَ الخـــيـــبـــهْ

عارض عبدالله الفرج (ديوانه ص ١١٤) هذه القصيدة بقصيدة تتكون من ١٢ بيتاً حوت الكثير من مفردات ومعاني ابن لعبون ومطلعها:

قـــــال المعنى يا مـــــلا واطولْ
ليل العنا ومـــــفـــــارق الغـــــالي
مـــا أقـــوى على فـــرقـــا زريف الطولْ
الجـــــــــادل اللـي هـو هـوى بـالـي

قصيدة:

يا عْـــبَـــيـــدْ منْ قَـــصَّتْ يمِينهْ شـــمـــالِهْ
بِشُـــوفْ فِـــعلهْ ذَاكْ عَـــدْلٍ ولـو مَـــالْ

أحْـسِبْ رِفِـيـقِى يسْـتـحِى مِنْ ظلاَلـهْ
وَاثْرَهْ إلـىَ شَـاف الْموالِـيمْ خَـيَّـالْ

عارضها الشاعر محمد بن عبدالله القاضي (الأزهار ص ٩) بقصيدة عدد أبياتها ٤٨ بيتاً ومطلعها:

الصبر محمود العواقب افعالِهْ
والعقل اشرف ما تحلت به الحالْ
والصمت به سر سعد من ينالهْ
والهذر به شر وشوم وغربالْ

كما واستعان عبدالله الفرج (ديوانه ص ١١٧) بمعنى بيت ابن لعبون في هجائه لمحمد بن فضل بقوله:

قصيت يا محمد يمينك بيسراك
وادعيت نفسك عرضة للغرابيل
ما جزت عمن هو بالآداب مولاك
عبدالله المنشي رياض التعاليل

ومثال آخر يأخذ محمد بن مسلم معنى بيت ومفرداته من شعر ابن لعبون ليصدر به قصيدة له بقوله:

حنا عصافير وابا زيد سدره
الى ضيم عصفور تلاجا بجنابه

وهذا مأخوذ من قول ابن لعبون:

جابر لكم سدره وانتم عصافير
لا ضيم مضيوم لجا في جواره

قصيدة:

حي المنازل وهن اصفوف
انحب عليهن واهلهنه

ومن ألطف معارضات الشعراء لشعر ابن لعبون ما نظمه عبدالله بن جابر حينما رأى فتاة في الرمضاء تمشي حافية القدمين في قصيدة مطلعها:

غنى القميري مرصوف

غاط على الشمس مكتنه

ويضمن في قصيدته أبياتاً كاملة من قصيدة ابن لعبون ومن ذلك قوله في البيت الثالث:

يا كيف ابا صف وهو موصوف

مهرة شريف ومعتنه

وفي البيت التاسع يضمن بيتاً آخر بقوله:

والجن وسطه تدق دفوف

والبوم يلعي عليهنه

المهملة:

قصيدة:

أحْمد اَلْمحمُودْ مَا دَمْعٍ هَمَلْ

أوْعَدَدْ مَا حَالْ وَادٍ لِهْ وِسالْ

أوْ عَدَدْ مَا وَرَدْ وُرَّادَ الدَّحَلْ

أوْ رِمِى دَلْوهْ ومَا صَدَرْ ومالْ

تبع عبدالله الفرج (ديوانه ص ١٣٥) الشاعر ابن لعبون في نظم المهملات فنظم ٣٤ بيتاً من المهمل ولكنه لم يتبع ابن لعبون في القافيتين بل عمد إلى المروبع ومطلعها:

احمد الله عد ما حاول وسام

واحد رام العلا دوم وسام

احمده واوحده دوم عدد

ما دعاه لحام اولاد وسام

كما وتبع ابن لعبون في نظم المهملات عدد من الشعراء مثل فهد بورسلي وعبدالله الدويش الذي يقول في مطلع مهملته:

حل مـــا حلل وكل مـــا هو حـــلال
لا رعـــا الله كل مـــحـــروم وحـــدود
حـــرم المحـــروم لو طال الســـؤال
مـــا عـــلاك اللوم والله الودود

المروبعات:

قصيدة:

مـــرْجَلْ غـــرَامكْ عنْد أهلْ مَي جَـــاشي
وَاغْـضـبتْ فِي قَـولِي عَـذولِي وجـاشِي
لاَ تسْـتـبِـيسْ إنْ حَـجَّـبُـوهَا يَا عَـوَّادْ
إنْ كـانْ جَـاشِكْ بَالْهَـوَى مِـثلْ جَـاشِي

جارى عبدالله الفرج الشاعر ابن لعبون في معظم فنونه وفي المروبعات نظم الفرج (ديوانه ص ٧٣) مروبعة عدد أبياتها ٣٠ بيتاً ومطلعها:

يا علي وان نابك من أمـــر النوى شي
عنّز على مـــولى الســـحـــاب النواشي
فان كان ما تقوى العزا عن ظبا الخال
بع بالهـــفـــا نفـسك بســـوق النواشي

وفي هذه المروبعة الكثير من معاني ابن لعبون ومفرداته وفيها أيضاً إشارة إلى حب ابن لعبون لقوله:

اهوى غـــزالٍ بحليّـــه مـــا أحـــسن
لا مي ابن مـــدلج ولا قـــوت مـــحـــسن
آه على اللي ينعش الروح مـــحـــسن
فـيـمـا مـضى واليـوم وين انتـعـاشي

ذات القوافي:

مـــــــا لــونّ يـاقَـلْـبٍ دوىَ * بِــهْ جـراحِ
بِـهُــدَاك لِى مَــا تَرْ عــوي * قَــولْ نصـّاحْ
يَا قَلْب لـو هَــبَ الْــهَــــوَى * لِــكْ ونـاح
بَالكْ تجِــيــبــــهْ يَالغَــوِي * ويْن ما رَاحْ

تبع عبدالله الفرج (ديوانه ص ٣١) الشاعر ابن لعبون في نظم ذوات القوافي فنظم قصيدة تتكون من ٩ أبيات ومطلعها:

القـول قــاله مــحكم الجـيـفـان * بابيـات
للي غــرامــه ينعش المحــزون * كــالقــوت
بيض يقــولن للفــتى الولهــان * من مــات
في حــبــهن مــبــهت ويكون * مــبــهــوت

****

صور وأشكال
الباب الأول

ابيض

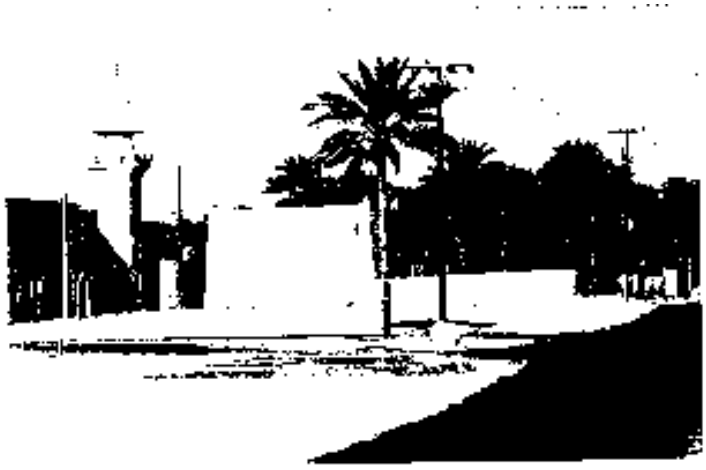

(الصورة ١)

صورة حلة الماجدية في بلدة ثادق حيث منزل الشيخ حمد بن لعبون وفي هذه البلدة كان مسقط رأس الشاعر ابن لعبون وفيها ترعرع.

(الصورة ٢)
حلة المنيزلة في بلدة ثادق حيث أمضى ابن لعبون طفولته وفيها نبغت موهبته الشعرية.

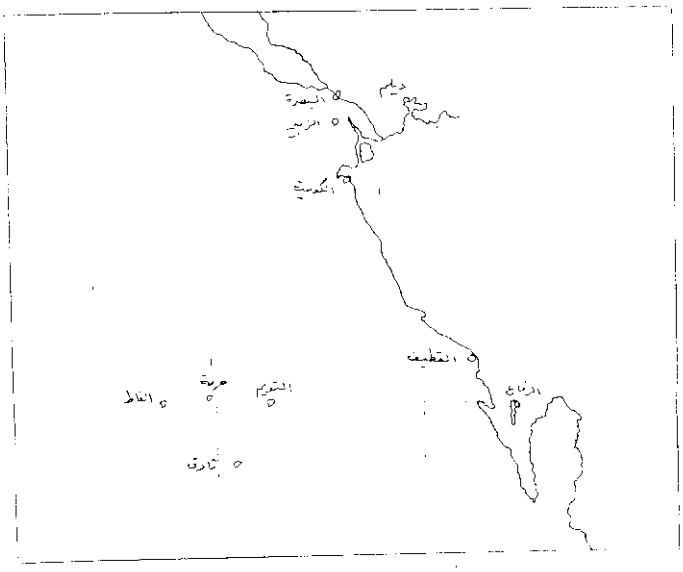

(الشكل ٣)

خريطة لبعض المواقع التي وردت في شعر ابن لعبون

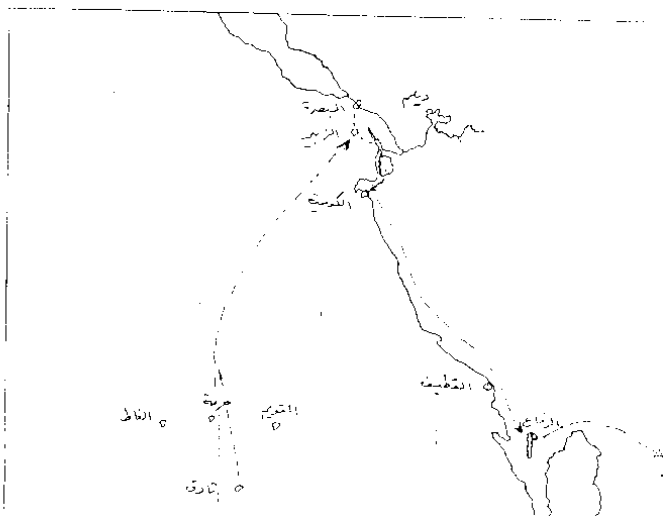

(الشكل ٤)

خريطة تبين أهم البلدان التي سافر إليها ابن لعبون

(الصورة ٥)
جو ثادق الذي دعا له ابن لعبون بالمرنات غوادي ركومها.

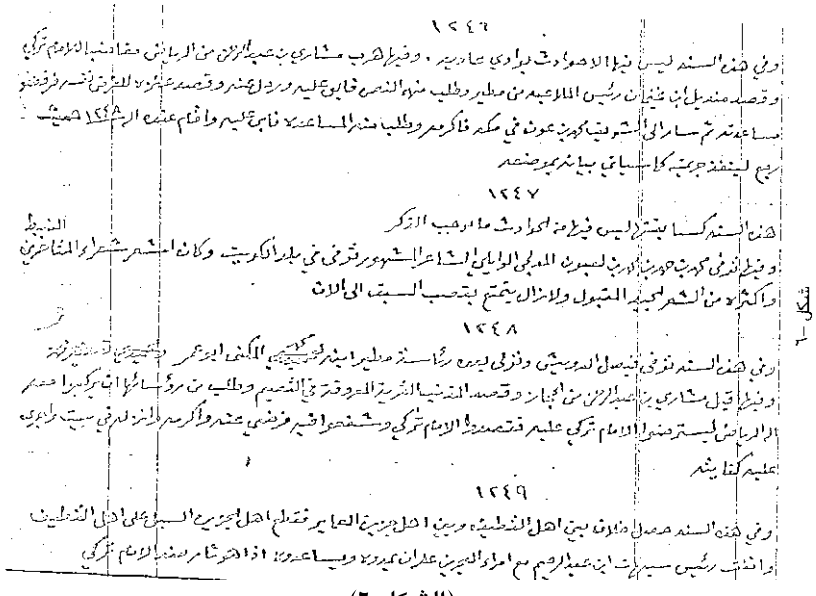

١٢٤٦

وفي هذه السنه ليس فيها الا حوادث بوادي عادية . وفيها ضرب مشاري بن عبدالرحمن من الرياض مذهب الامام تركي
وقصله مندبلا بن ضيفان رئيس الملاعبه من مطير وطلب منه النصر فاجابه عليه ورد الخبر وقصد عنزه للشرقي فنصر فرفضو
مساعدته ثم سار الى الشرقيب كويتين عون في مكه فاكرمه وطلب منه المساعده فاجابه عليه واقام عنده الى ١٢٤٨ حيث
رجع لينفذ جيشه كما سياتي ببيانه بموضعه

١٢٤٧

هذه السنه كسابقتها ليس فيها من الحوادث ما يرهب الذكر

النبط

وفيها توفي كويت بن عون الشريف المعروف بالشاعر المشهور وتوفي في بلدة الكويت وكان اشعر شعراء المتاخرين
واكثرهم من الشعر الجيد المقبول ولا زال يتمتع بتعصب السبق الى الان

١٢٤٨

وفي هذه السنه توفي فيصل الدويش وتولى بعده رئاسة مطير ابنه [illegible] الملقب ابو عمر
وفيها قبل مشاري بن عبدالرحمن من الجبار وقصد المذنب الشريف المعروف في القصيم وطلب منه مؤازرته اثار كبرا عصر
الرياض ليستر ضوا الامام تركي عليه فتصدوا الامام تركي وشتتهم واشر فرضي عنهم واكرمهم الذي لم في بيته واجزل
عليهم كما ينبغي

١٢٤٩

وفي هذه السنه حصل خلاف بين اهل القطيفه وبين اهل جزيره العابر فتغلب اهل الجزيره السبق على اهل القطيف
وانتهت رئيس سيهات ابن عبدالرحيم مع امراء العرين عدان عبدالله وساعدوه واذا عشار مذهب الامام تركي

(الشكل ٦)

صورة لما ذكره المؤرخ مقبل الذكير عن ابن لعبون

(الصورة ٧)

ساحل البحر أو السيف قريباً من نقعة البحر حيث دفن ابن لعبون.

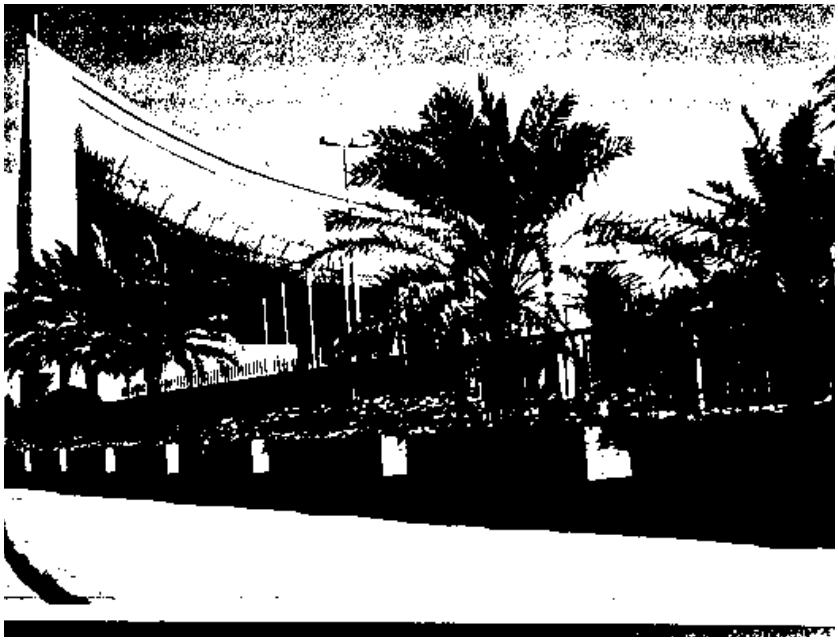

الصورة ٨
مجلس الأمة الكويتي

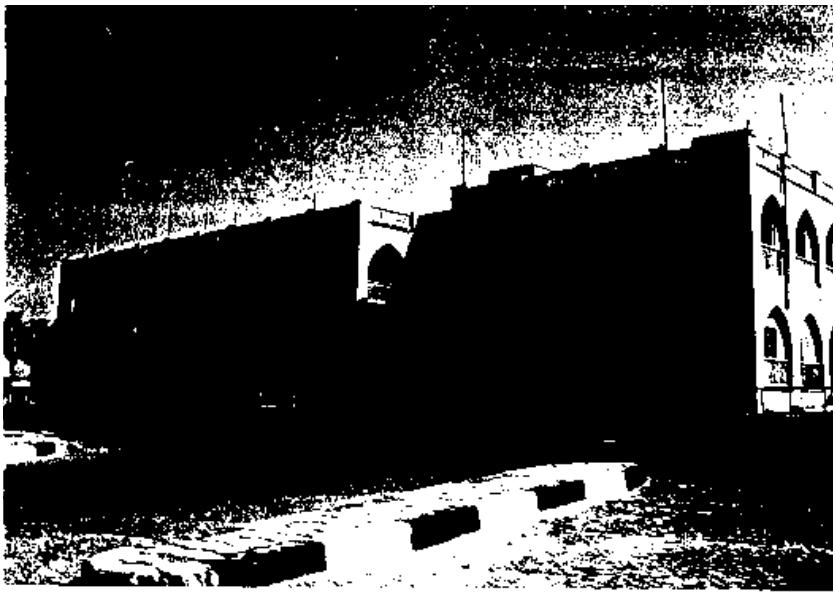

الصورة ٩

بقايا المستشفى الأمريكي

(الصورة ١٠)

ديوانية البدر غدت الآن متحفًا وقبل قرن وثلاثة أرباع القرن أمضى ابن لعبون فيها زمنًا بعد وصوله للكويت من الزبير

(الصورة ١١)

على هذه الدكات داخل ديوانية البدر وخارجها مقابل البحر جلس ابن لعبون يسترجع ذكريات أيامه الجميلة في الزبير وينظم القصائد متغنياً بها وبمحبوبته ميّ.

(الصورة ١٢)

بلدة أشيقر حيث كانت بلدة للوهبة وبني وائل يتقاسمون البلد ويتناوبون الخروج إلى الفلاة، الى أن أغلق الوهبة بوابات البلدة في وجه بني وائل فغادروها قرابة مطلع القرن الثامن الهجري ليبنوا لهم مجداً في سدير

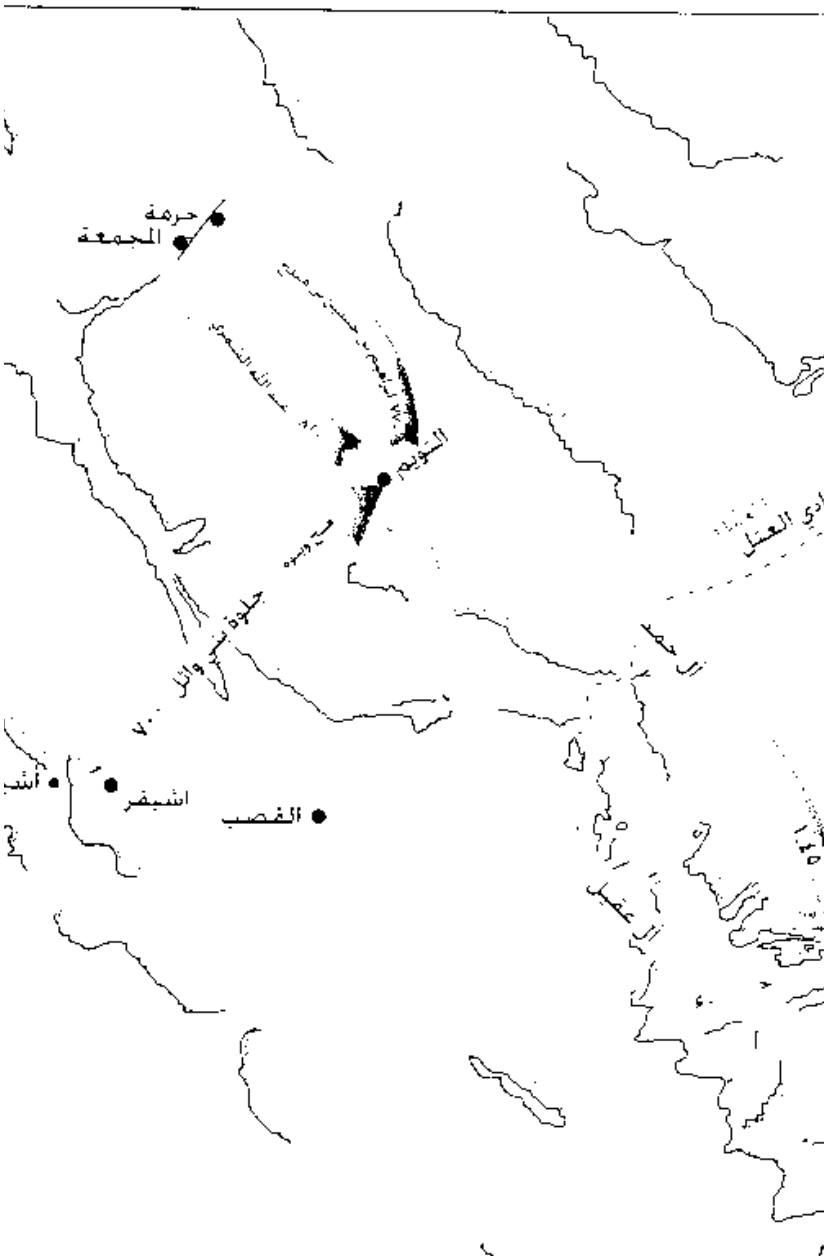

(الشكل ١٣)

خريطة تبين تفرق بني وائل بعد انتقالهم إلى بلد التويم
عقب خروجهم من أُشيقر

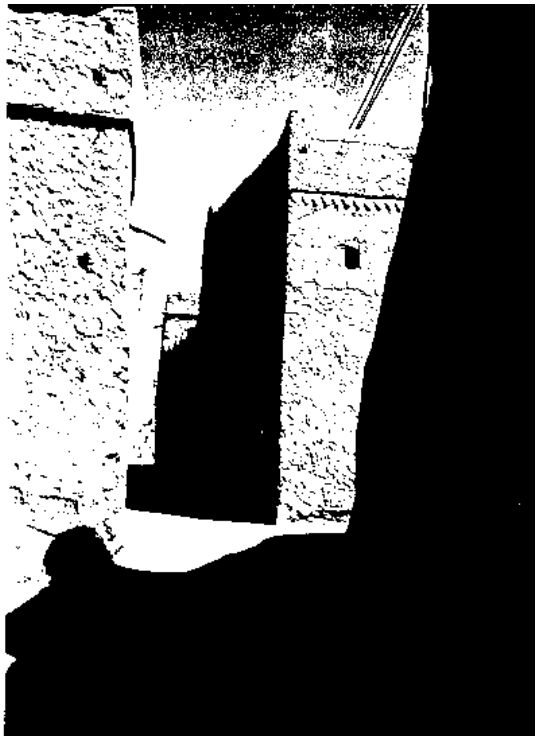

(الصورة ١٤)

بلدة حرمة التي أسسها
الجد إبراهيم بن حسين بن
مدلج عام ٧٧٠ هـ تقريبًا

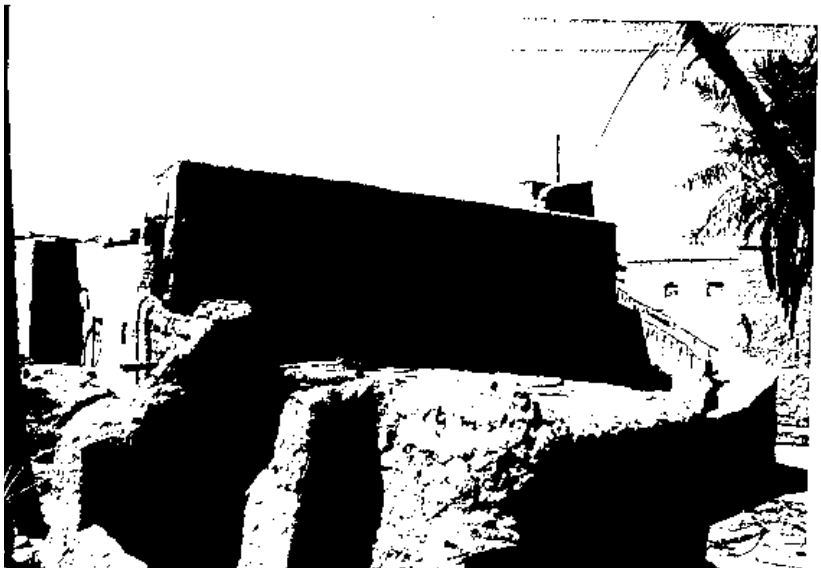

(الصورة ١٥)
بلدة حرمة التي عمَّرها الجد إبراهيم بن حسين بن مدلج عام ٧٧٠ هـ تقريبًا

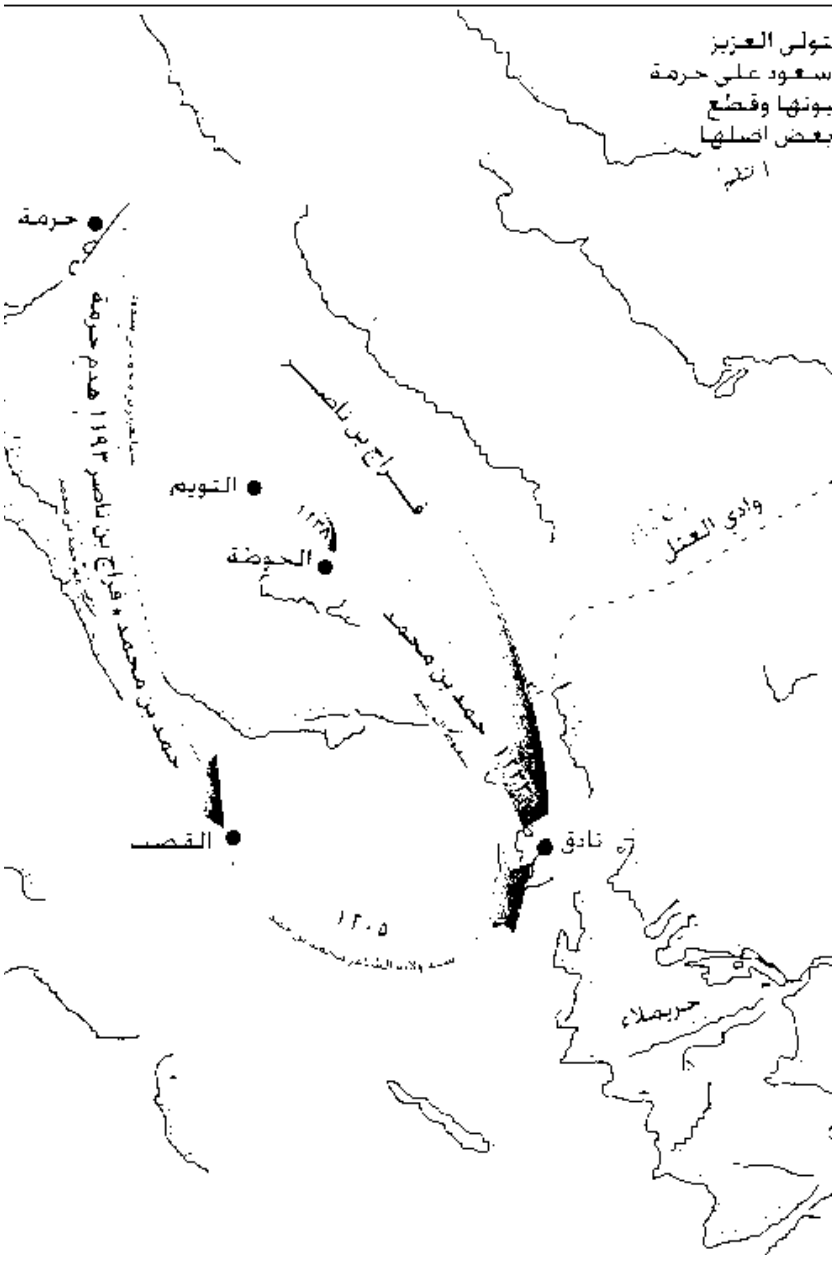

(الشكل ١٦)

خريطة تبين نزوح عائلة ابن لعبون بعد أحداث عام ١١٩٣هـ وتنقلها بين بلدان نجد قبل الاستقرار ببلد الجدود التويم

(الصورة ١٧)

بلدة حرمة بلد الآباء والأجداد كانت مهوى قلوب أفراد عائلة ابن لعبون بعد نزوحهم عنها بعد أحداث عام ١١٩٣هـ

(الصورة ١٨)

بلدة القصب المحطة الأولى في طريق نزوح عائلة ابن لعبون بعد خروجها من حَرْمَة في عام ١١٩٣هـ

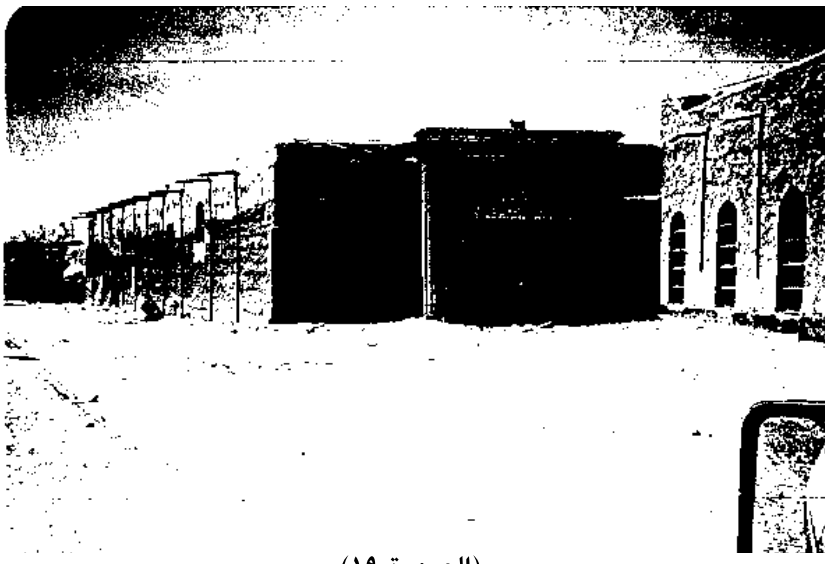

(الصورة ١٩)

سبق الشاب ابن لعبون عائلته في الهجرة من بلدة ثادق فقصد الزبير في عام ١٢٢٢هـ وهو ابن السابعة عشرة وأمضى فيها ريعان شبابه وتغنى بربوعها وأطلالها وأيام أحبته فيها. وهذه مدرسة النجاة الأهلية إحدى مناهل العلم في الزبير

(الصورة ٢٠)

بلدة حوطة سدير التي انتقلت إليها عائلة ابن لعبون في عام ١٢٣٣ وبعد خمس سنوات من الاستقرار في هذه البلدة تركتها العائله إلى بلد الجدود بلدة التويم

(الصورة ٢١)

بلدة التويم التي عمرها الجد الأكبر لآل مدلج كانت خاتمة النزوح والترحال واتخذها الشيخ حمد بن محمد بن لعبون سكنًا له ولعائلته وذلك في عام ١٢٣٨ بعد رحلة استغرقت حوالي نصف قرن

(الصورة ٢٢)

الزبير ثغر نجد وعلى أطراف جزيرة العرب وعند طرف الخليج وتخوم البادية ومشارف البصرة اختارها أهل نجد واتخذوا منها بلدًا ووجدوا فيها بديلاً لنجد فهي نجد الصغيرة

(الصورة ٢٥)

جال الرفاع بالبحرين والذي تغنى به ابن لعبون في قصيدته المشهورة «يا علي صيح بالصوت الرفيع» وما زالت هذه القصيدة تغنى.

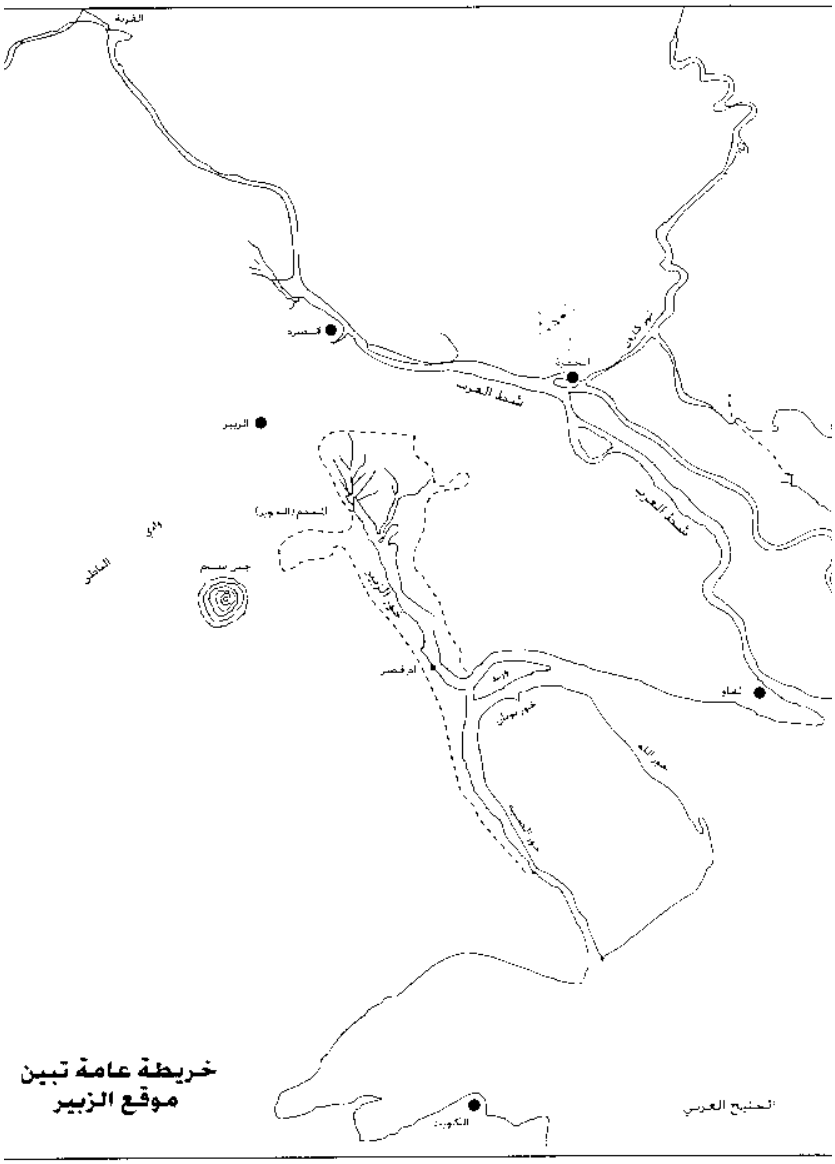

(الشكل ٢٣)

الموقع الجغرافي للزبير على أطراف الجزيرة العرب وعند طرف الخليج العربي وبين الكويت والبصرة وبادية جنوبي العراق أضفى عليها أهمية استراتيجية

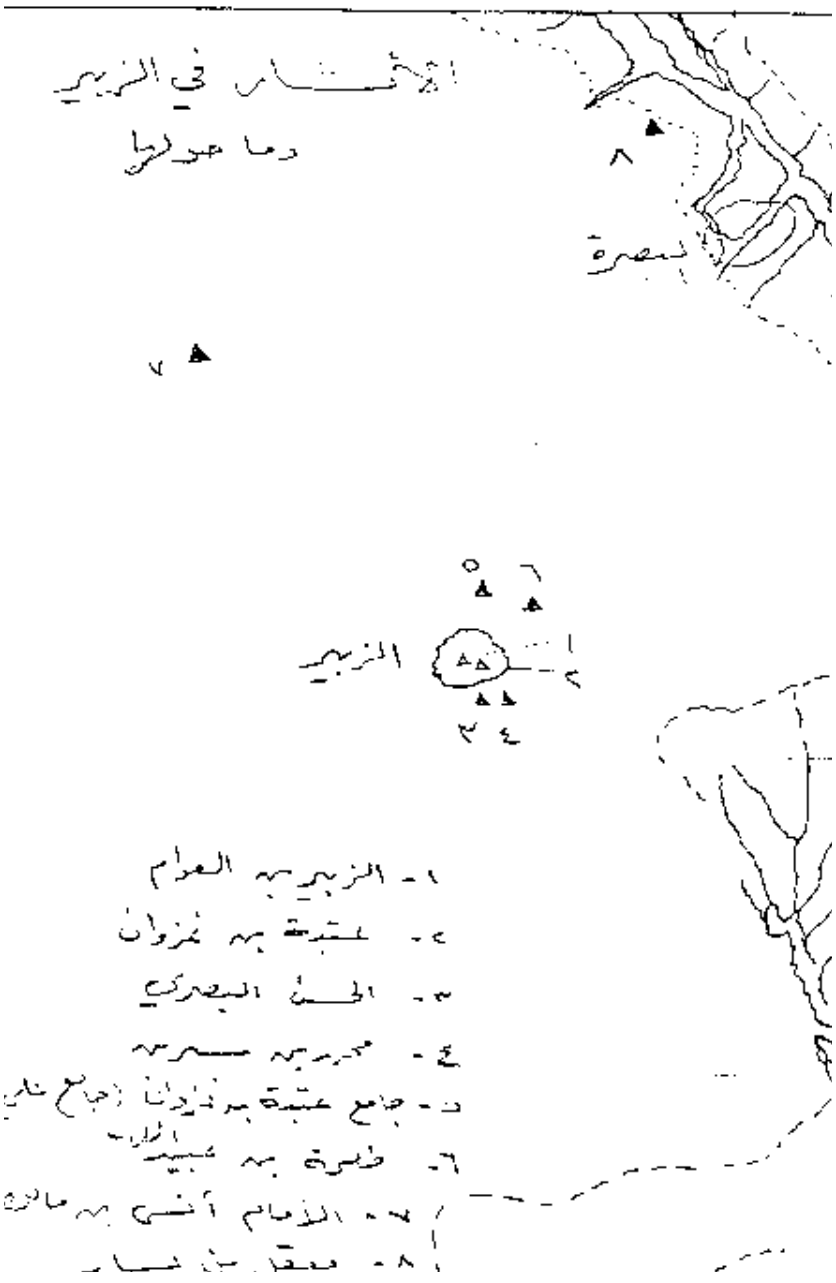

(الصورة ٢٤)

انتشار عدد من قبور بعض الصحابة والتابعين أضفى على الزبير صبغة دينية.

ابيض

صور وأشكال
الباب الثاني

ابيض

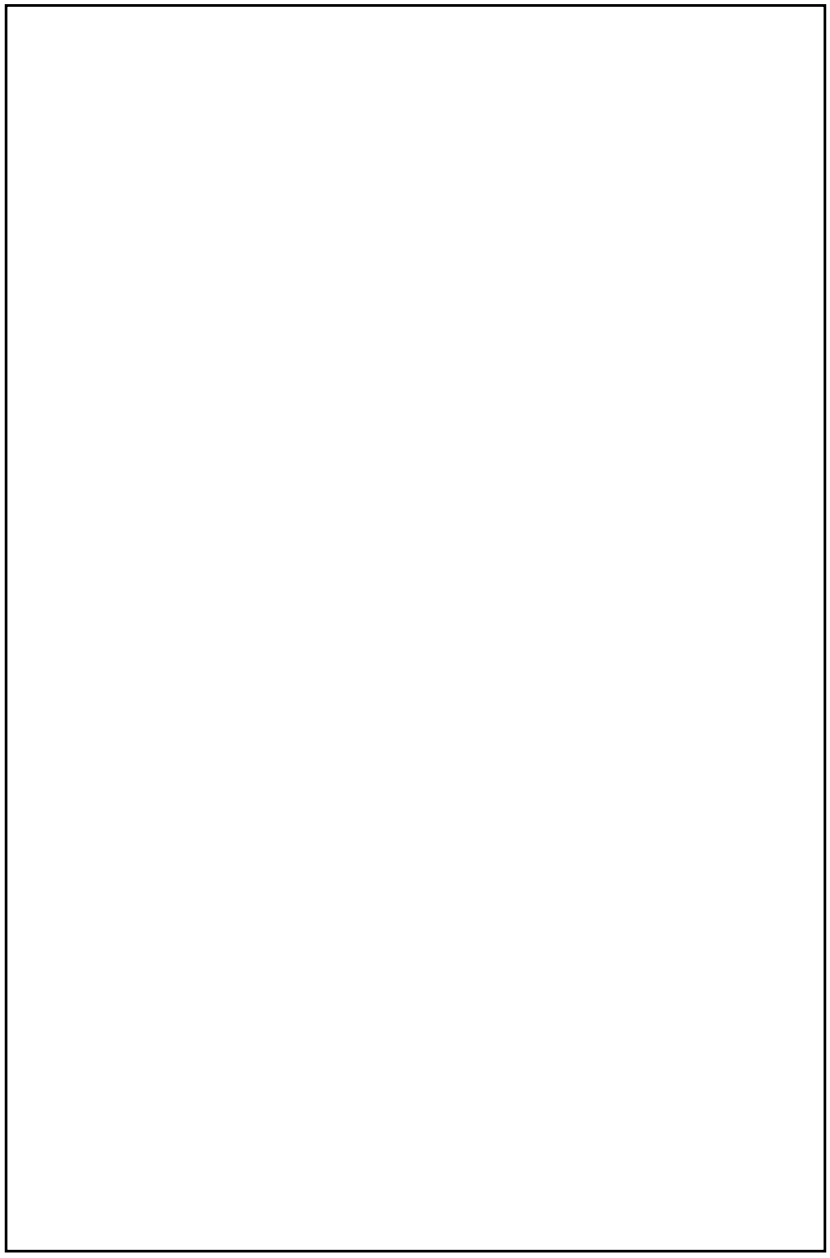

(الشكل ١)

صورة لغلاف مجلد «لباب الأفكار في غرائب الأشعار» لجامعه محمد بن عبدالرحمن بن يحيى رحمه الله.

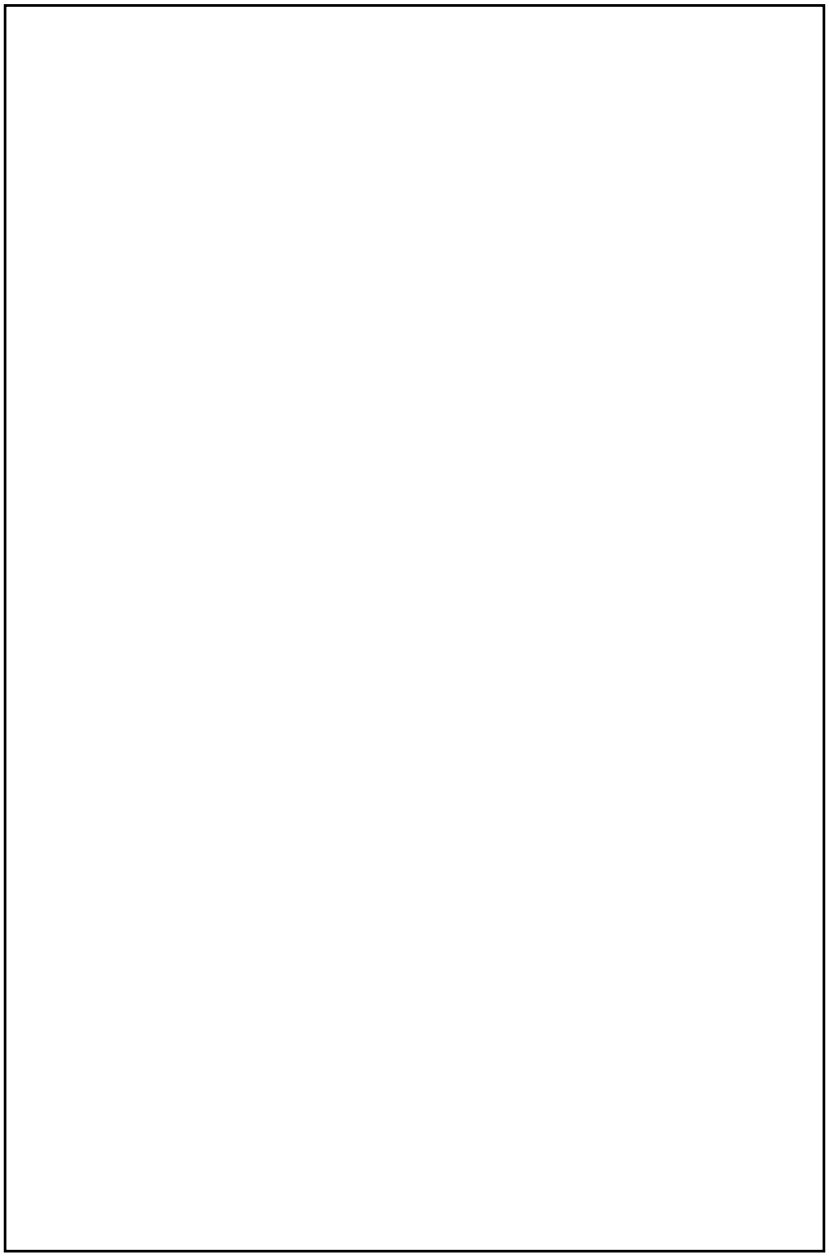

(الشكل ٢)

صورة غلاف ديوان إبراهيم بن جعيثن ومحمد العبدالله العوني لجامعه محمد العبدالرحمن اليحيى ومرتبه ومفسر بعض ألفاظه عبدالله بن خالد الحاتم.

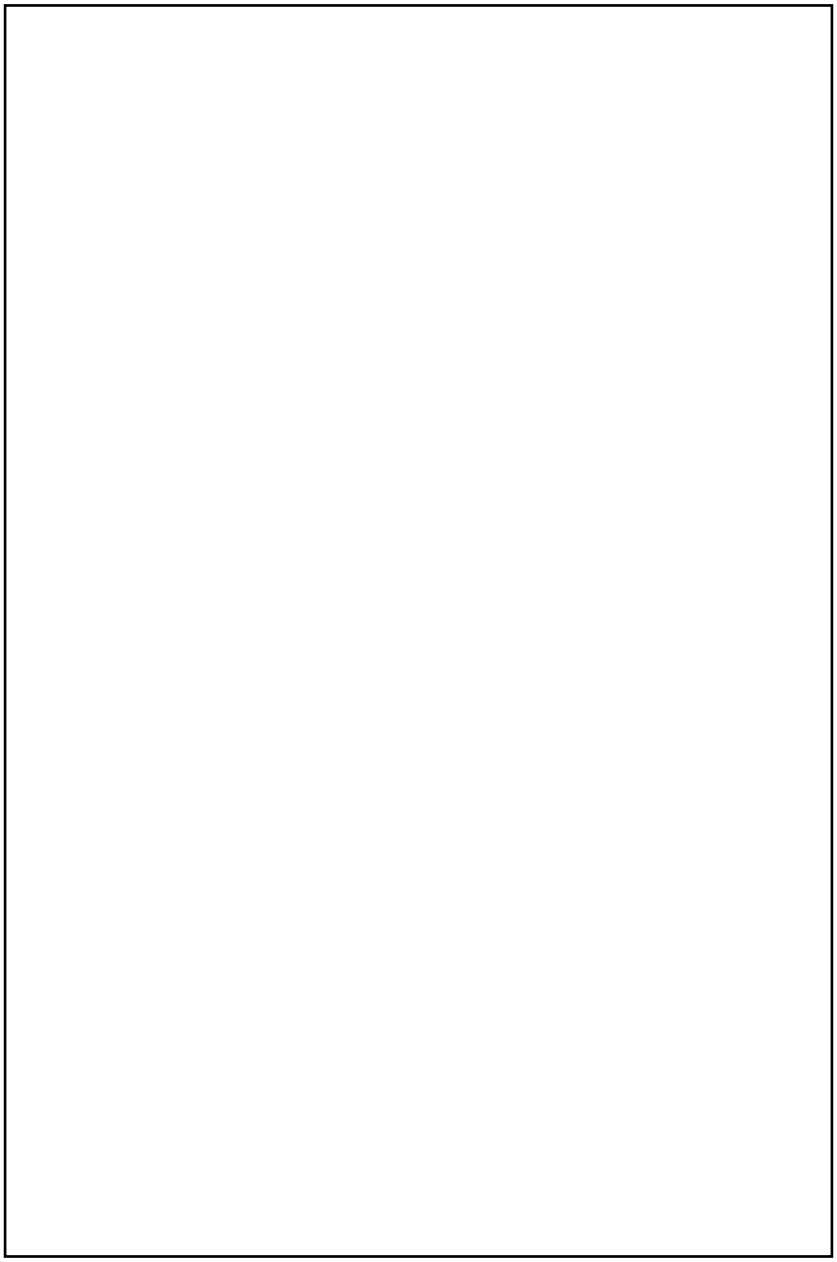

(الشكل ٣)

نموذج لشعر ابن لعبون من مخطوط سليمان الدخيل رحمه الله.

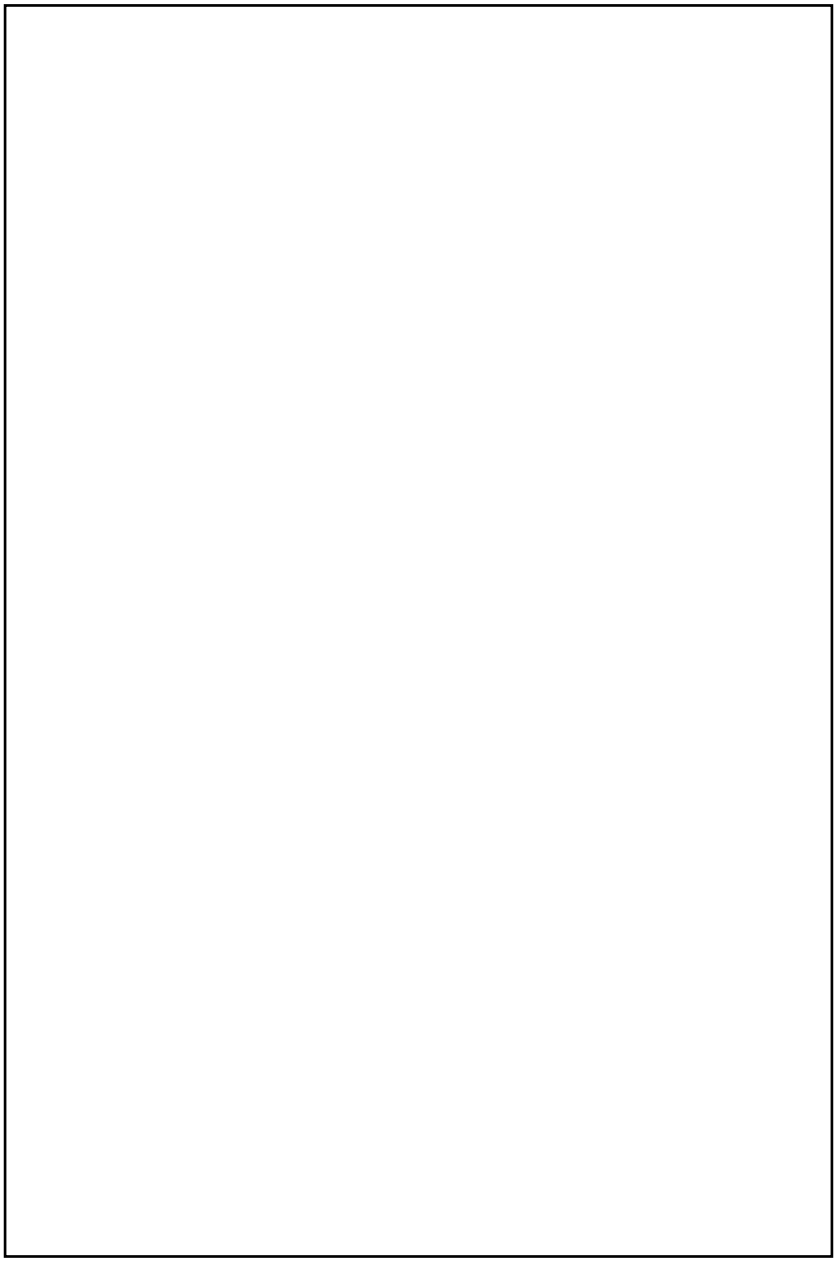

(الشكل ٤)

صورة غلاف الجزء الأول من مجلد «ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد» لمرتبه ومفسر ألفاظه خالد بن محمد الفرج.

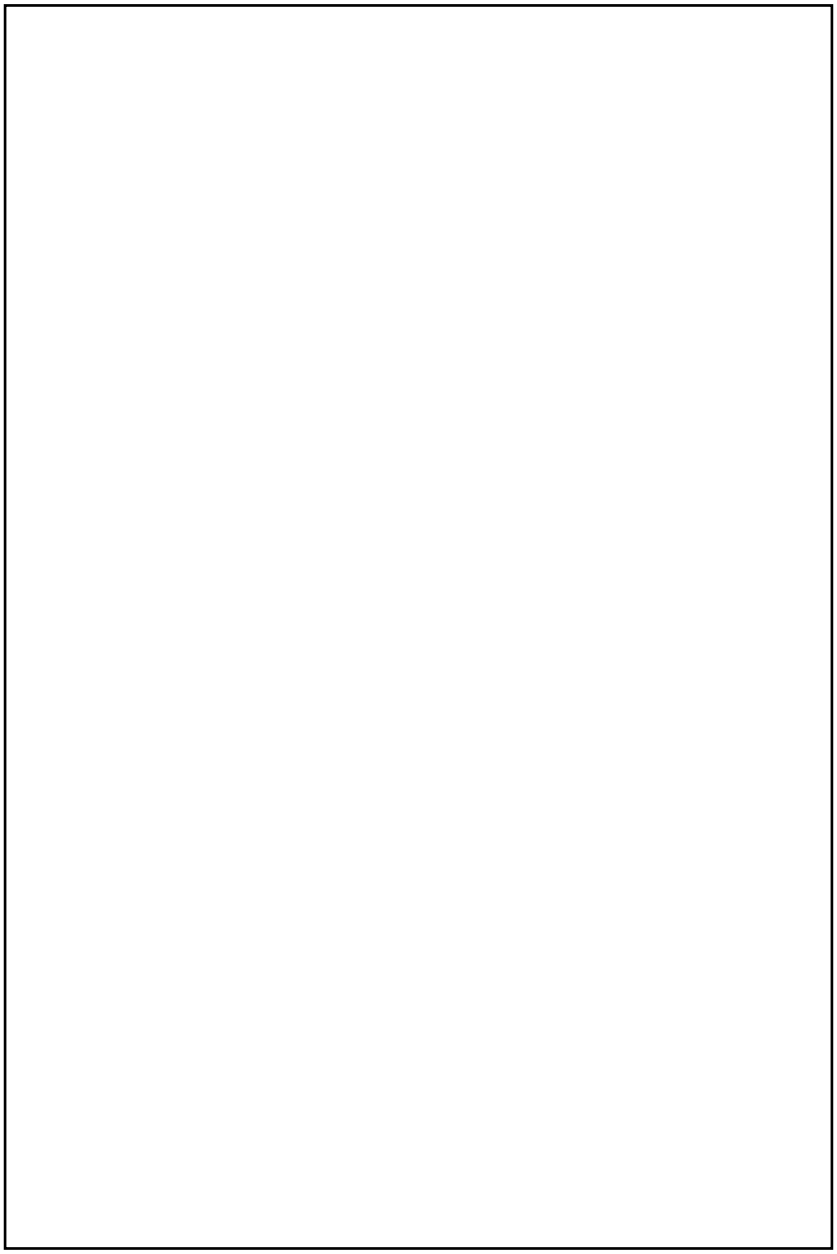

(الشكل ٥)

صورة تنويه جامع ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد بإرشاد وأمر الوزير عبدالله بن سليمان بجمع وترتيب وطبع الديوان.

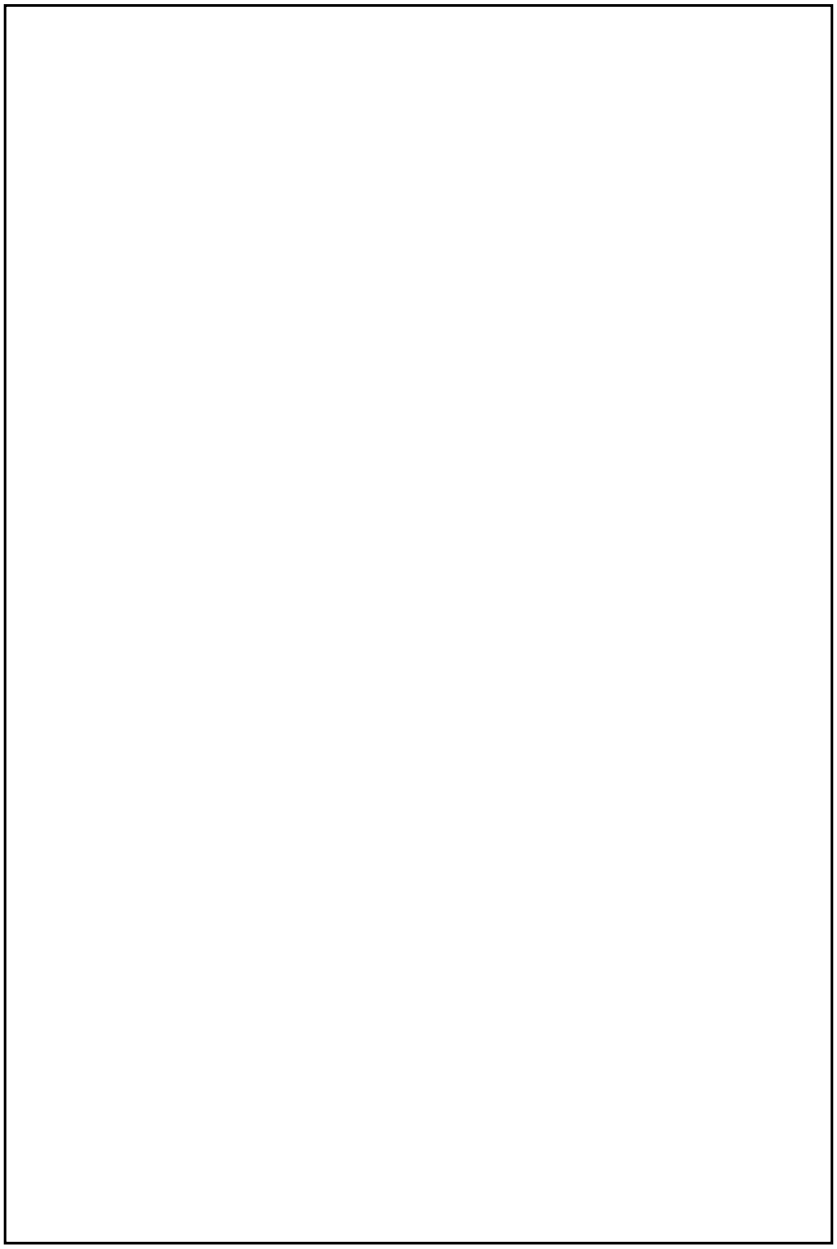

(الشكل ٦)

صورة غلاف الجزء الأول من مجلد «خيار ما يلتقط من الشعر النبط» لجامعه وملتقطه عبدالله بن خالد الحاتم.

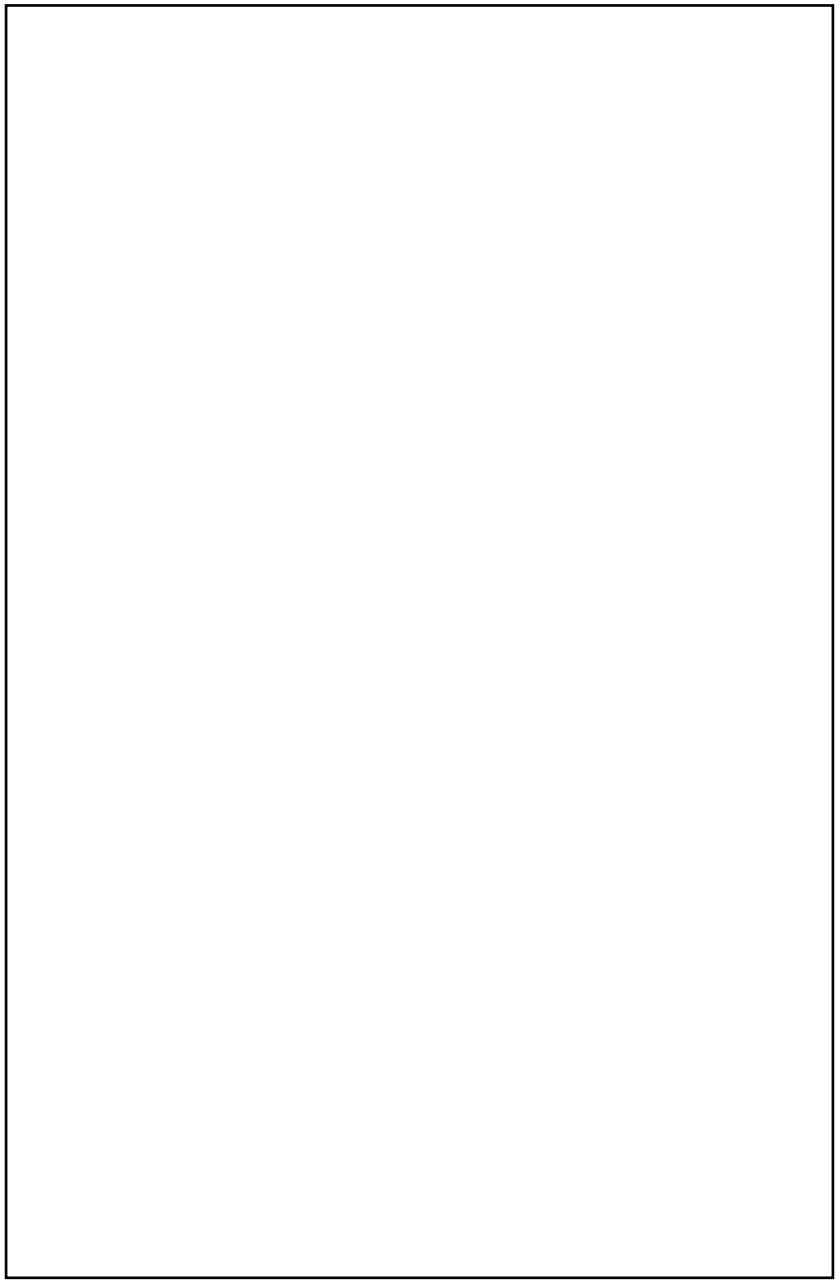

(الشكل ٧)

صورة غلاف ديوان سعد بن حمد بن حريول بشرح زيد بن فياض.

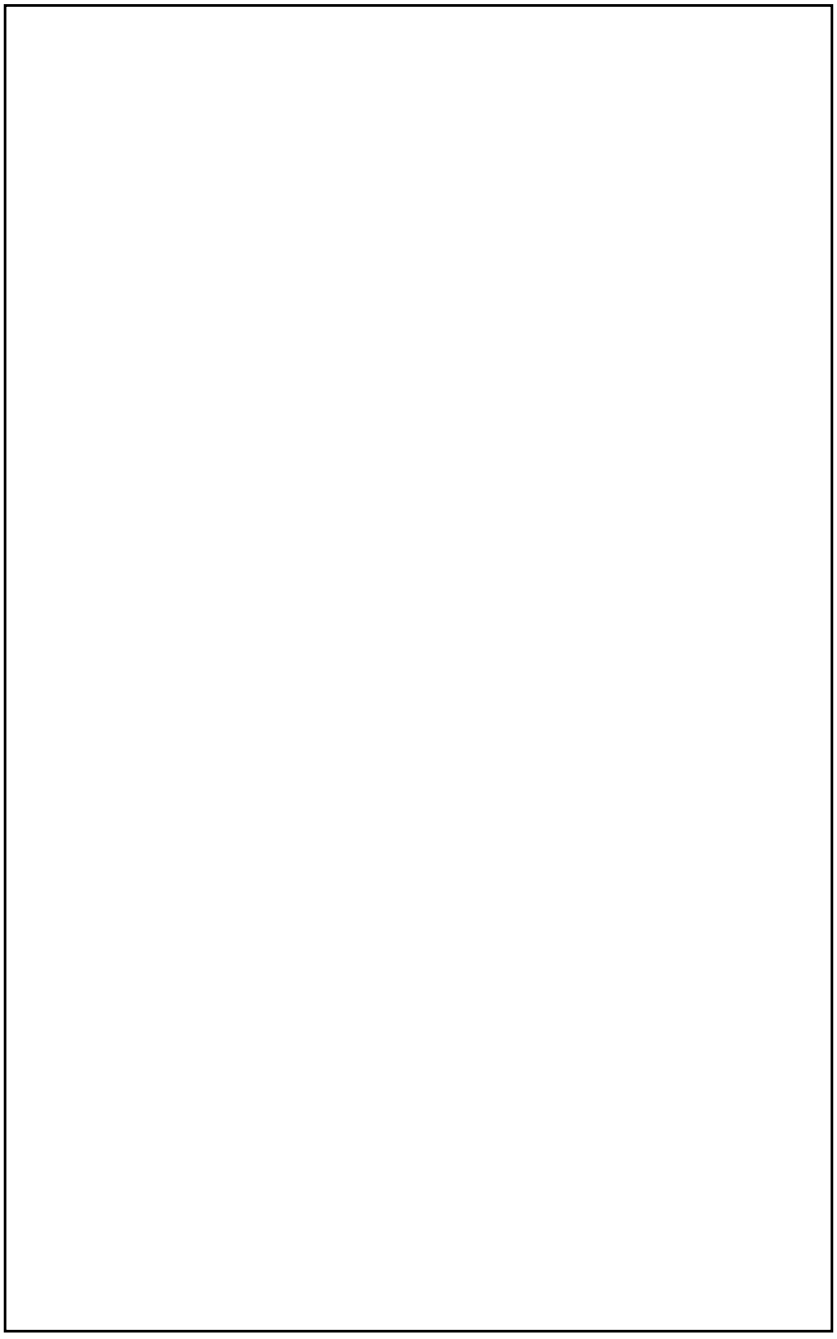

(الشكل ٨)

نموذج لشعر ابن لعبون بخط حمد بودي رحمه الله.

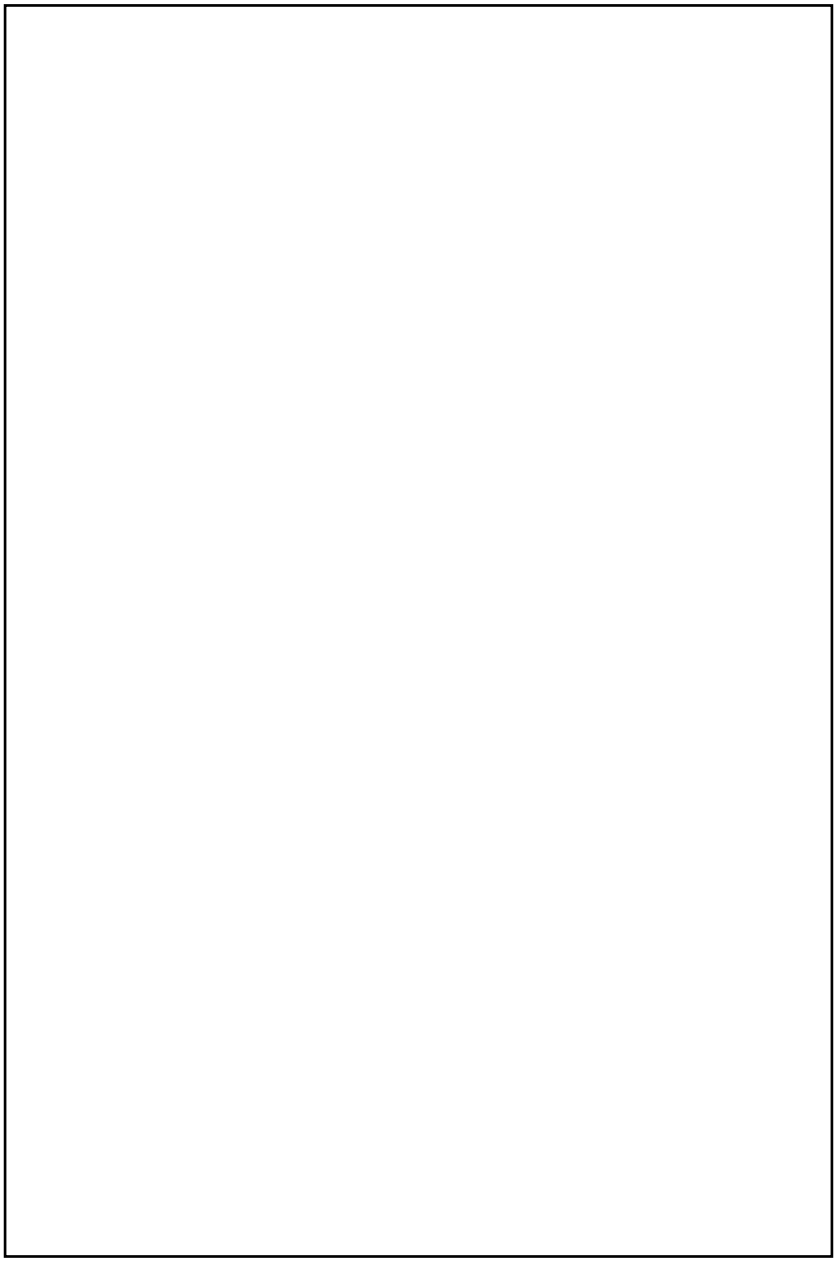

(الشكل ٩)

نموذج لشعر ابن لعبون بخط عبداللطيف بن سعود البابطين سلّمه الله.

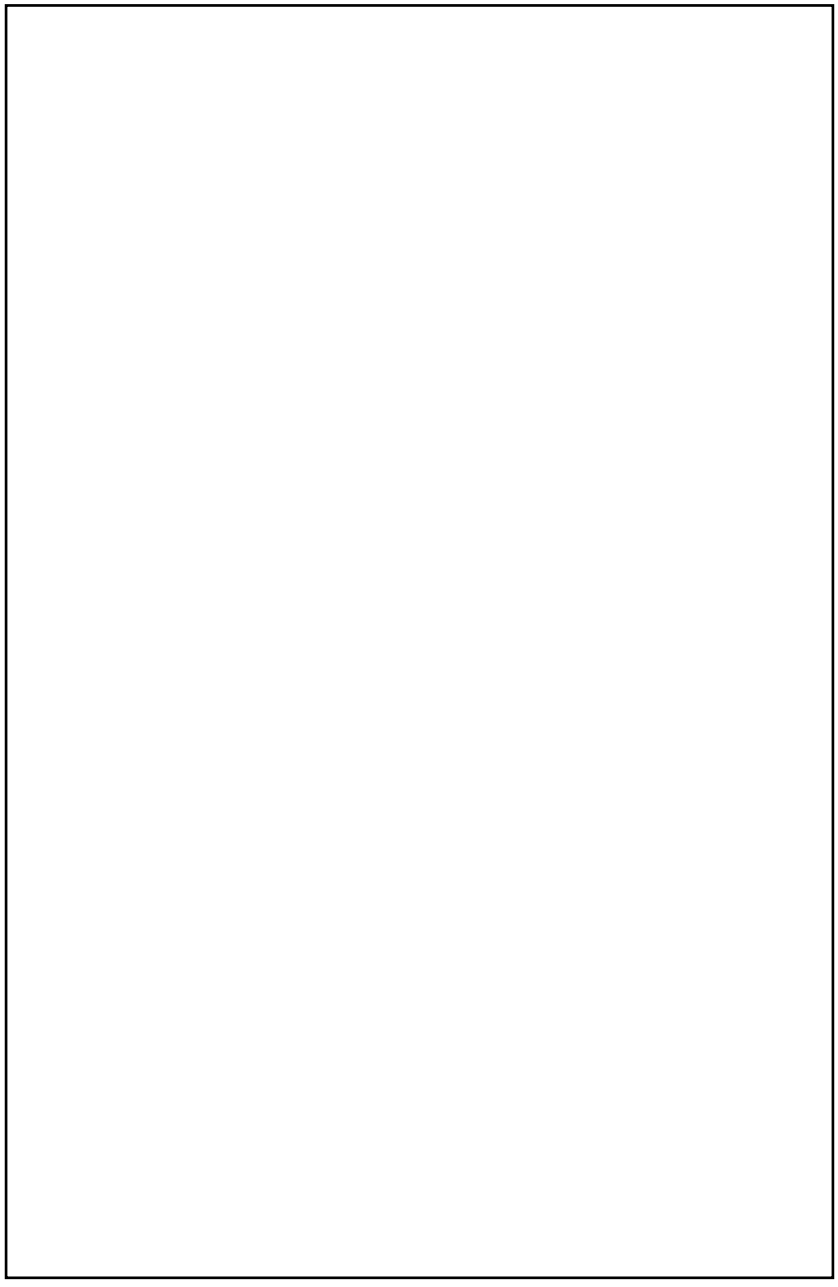

(الشكل ١٠)

من فهرس مجموعة حمد بودي بخطه رحمه الله

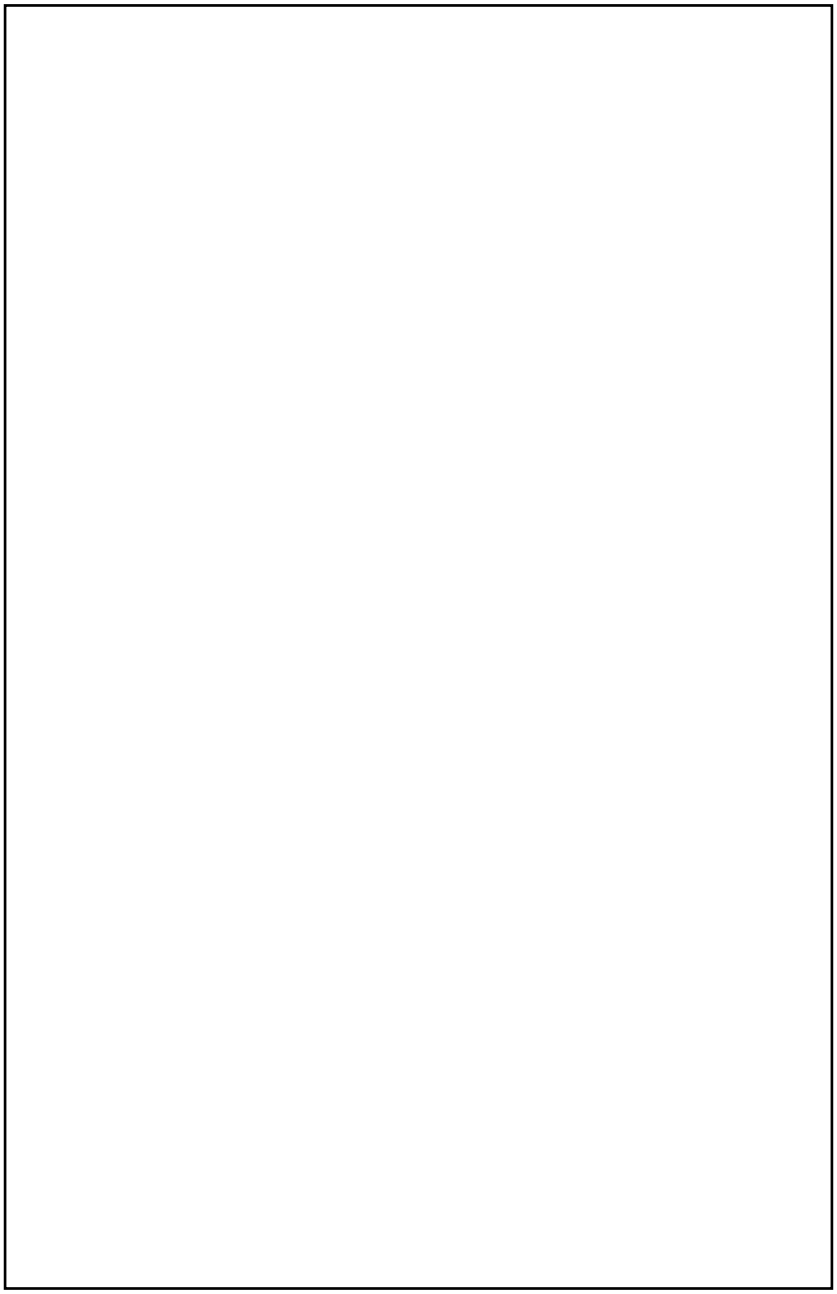

(الشكل ١١)

نموذج لشعر ابن لعبون بخط عبدالله بن محمد الفاخري سلمه الله.

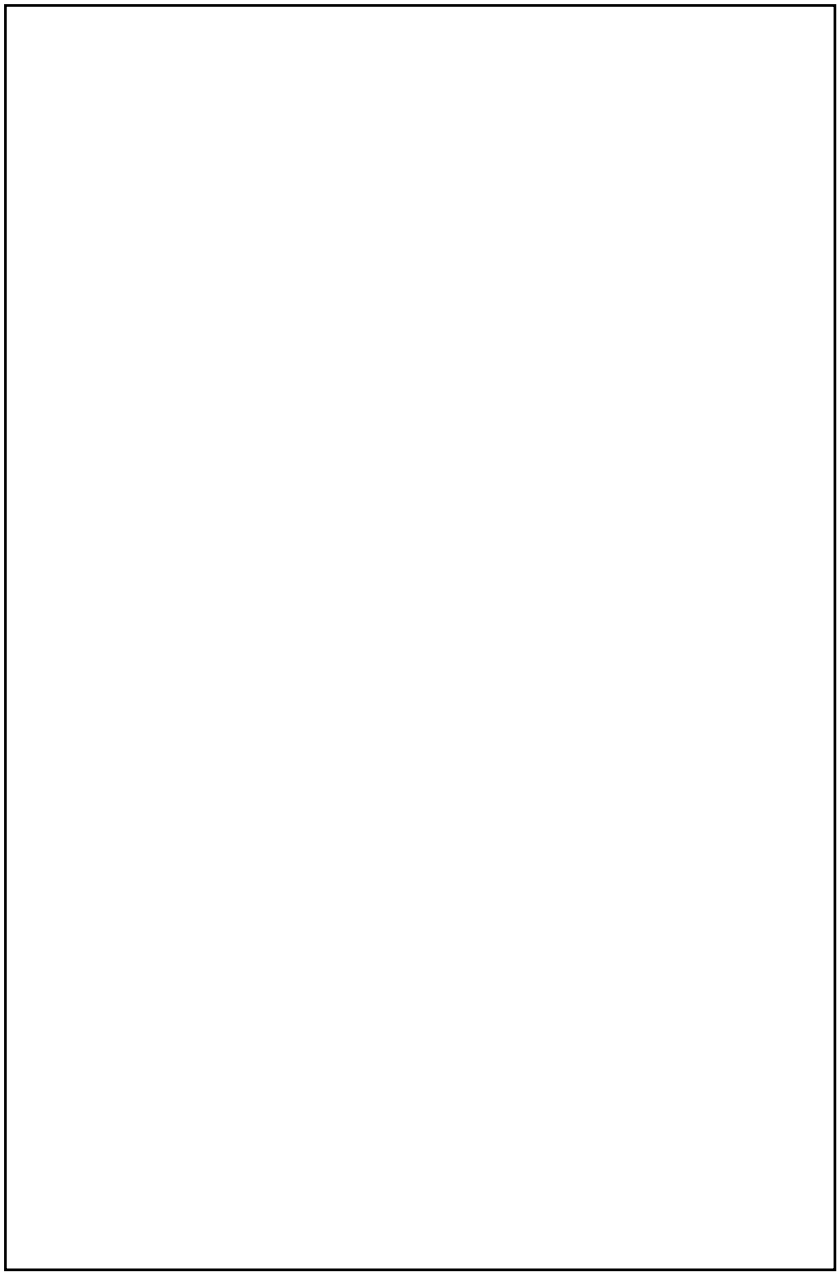

(الشكل ١٢)

نموذج لشعر ابن لعبون من مجموعة عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي رحمه الله

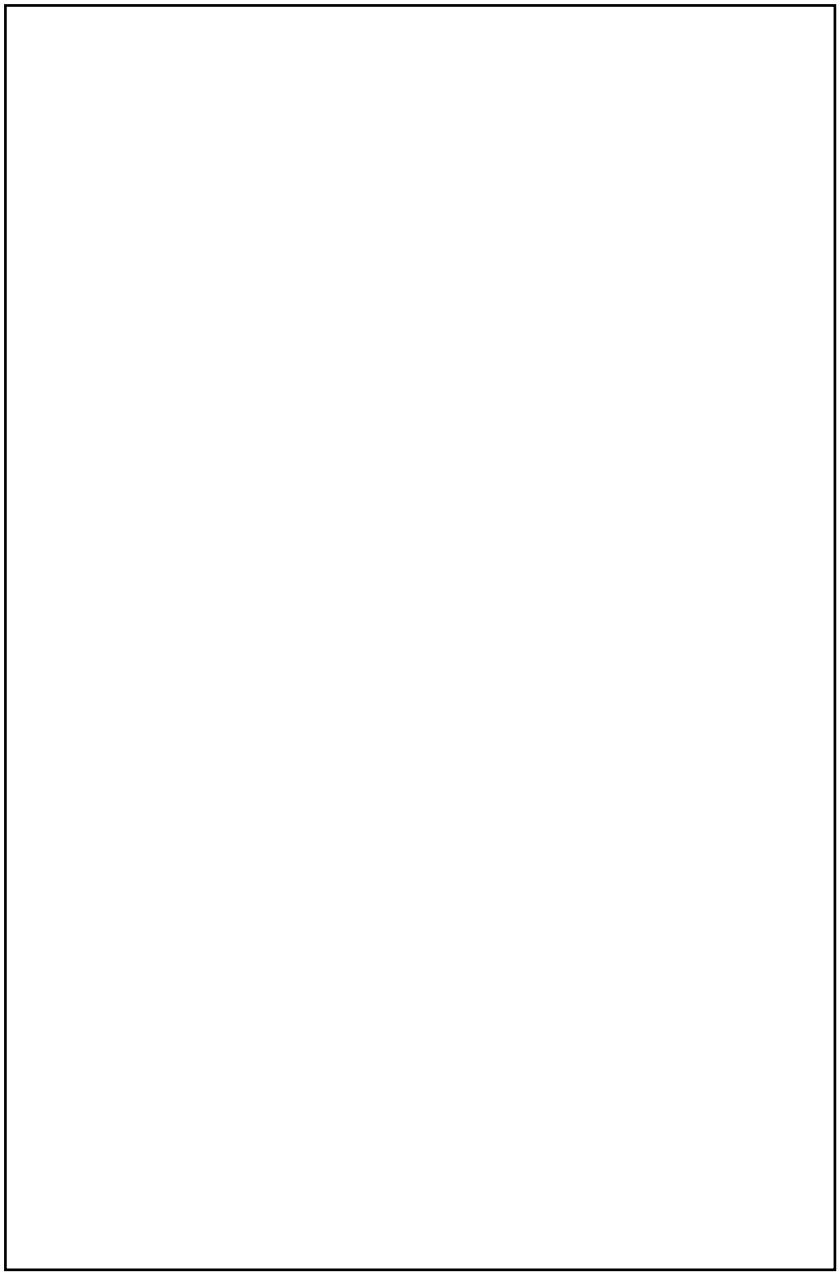

(الشكل ١٣)

شعر ابن لعبون بخط الأديب أنستاس الكرملي

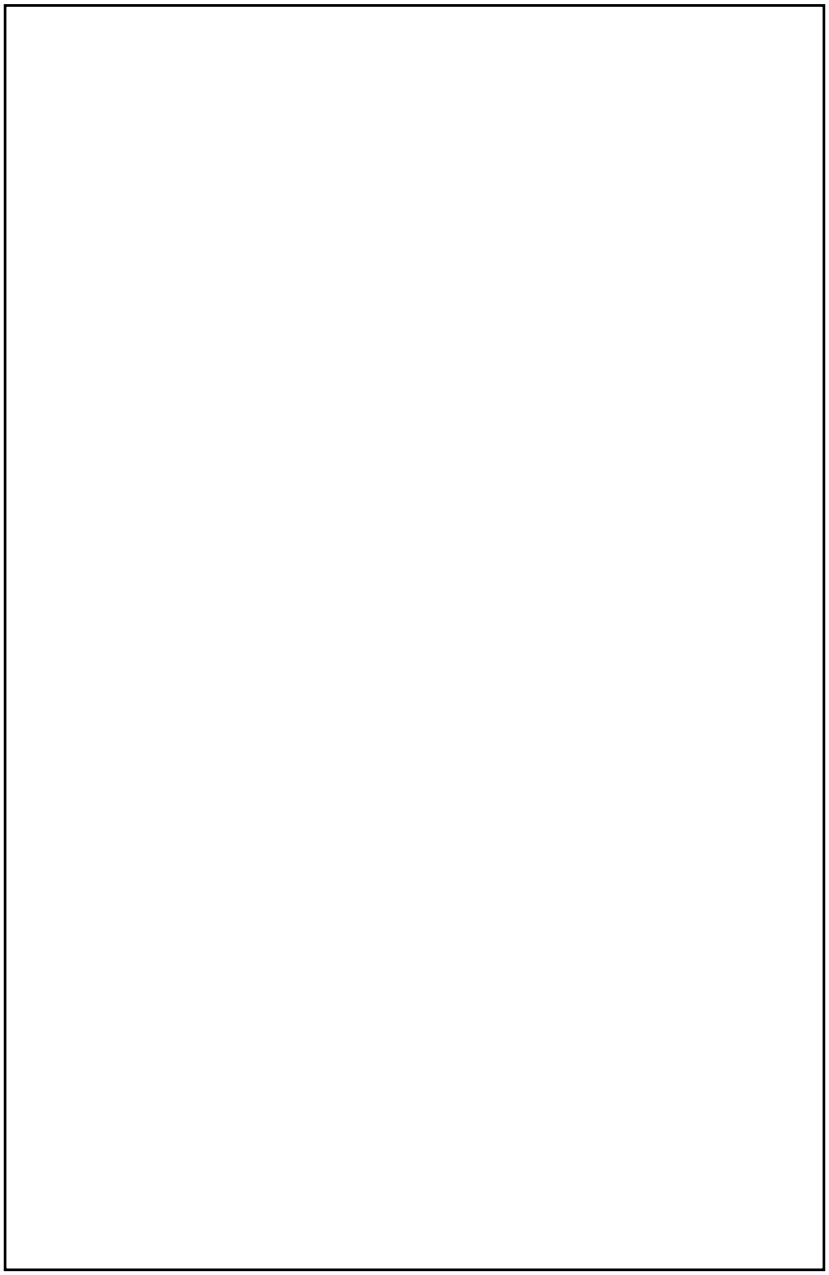

(الشكل ١٤)

نموذج شعر ابن لعبون الذي حصل عليه المستشرقان سوسن وهوبر .

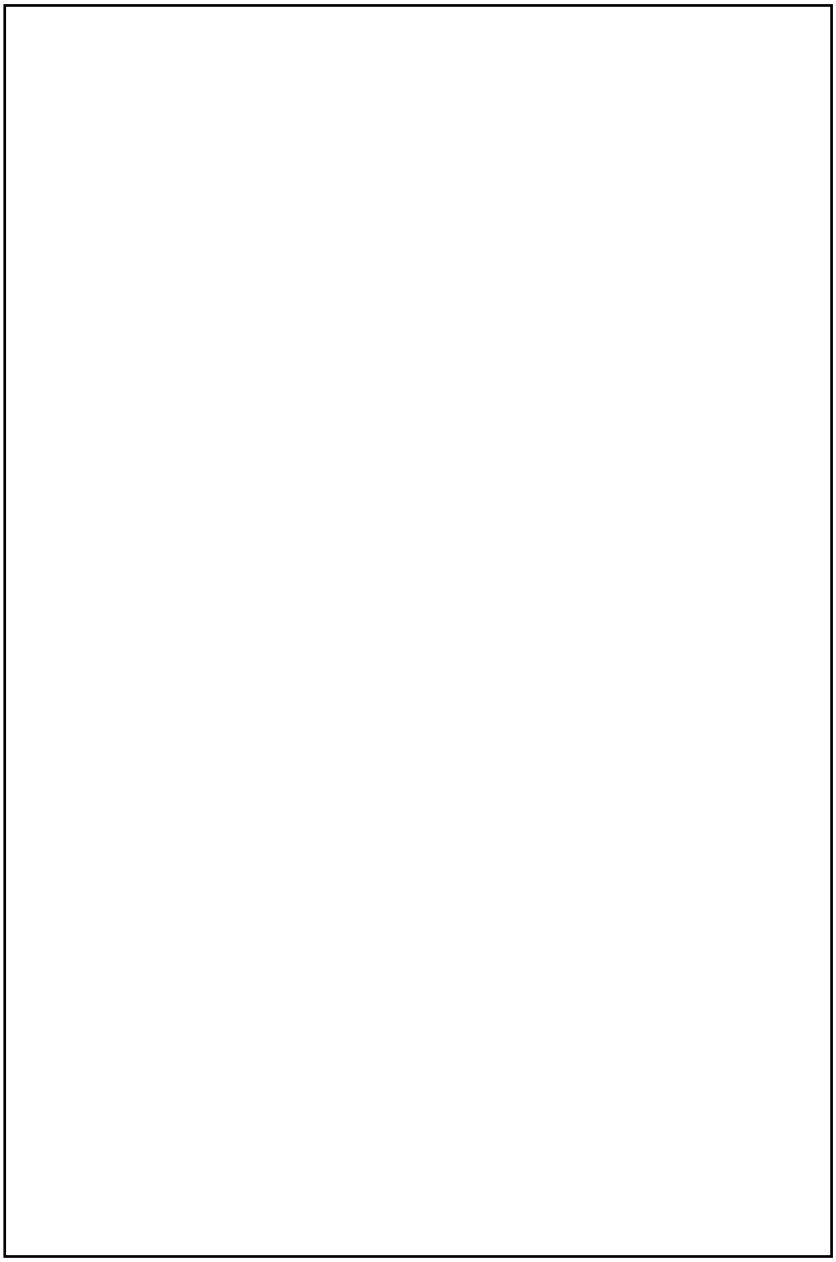

(الشكل ١٥)

صورة غلاف الجزء العاشر من مجموعة «الأزهار النادية من أشعار البادية» التي نشرتها مكتبة المعارف لصاحبها محمد سعيد كمال بالطائف.

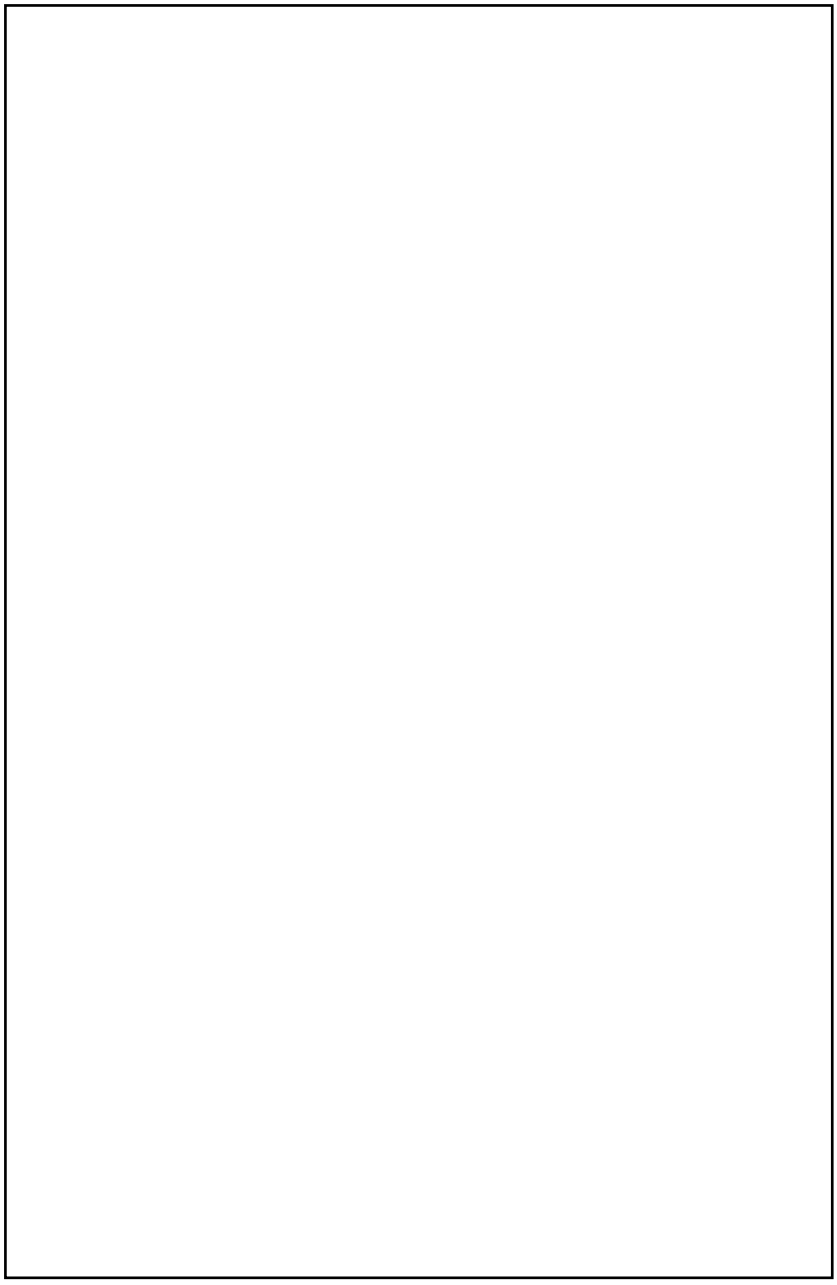

(الشكل ١٦)

صورة غلاف كتاب «ابن لعبون حياته وشعره» جمع وترتيب يحيى الربيعان.

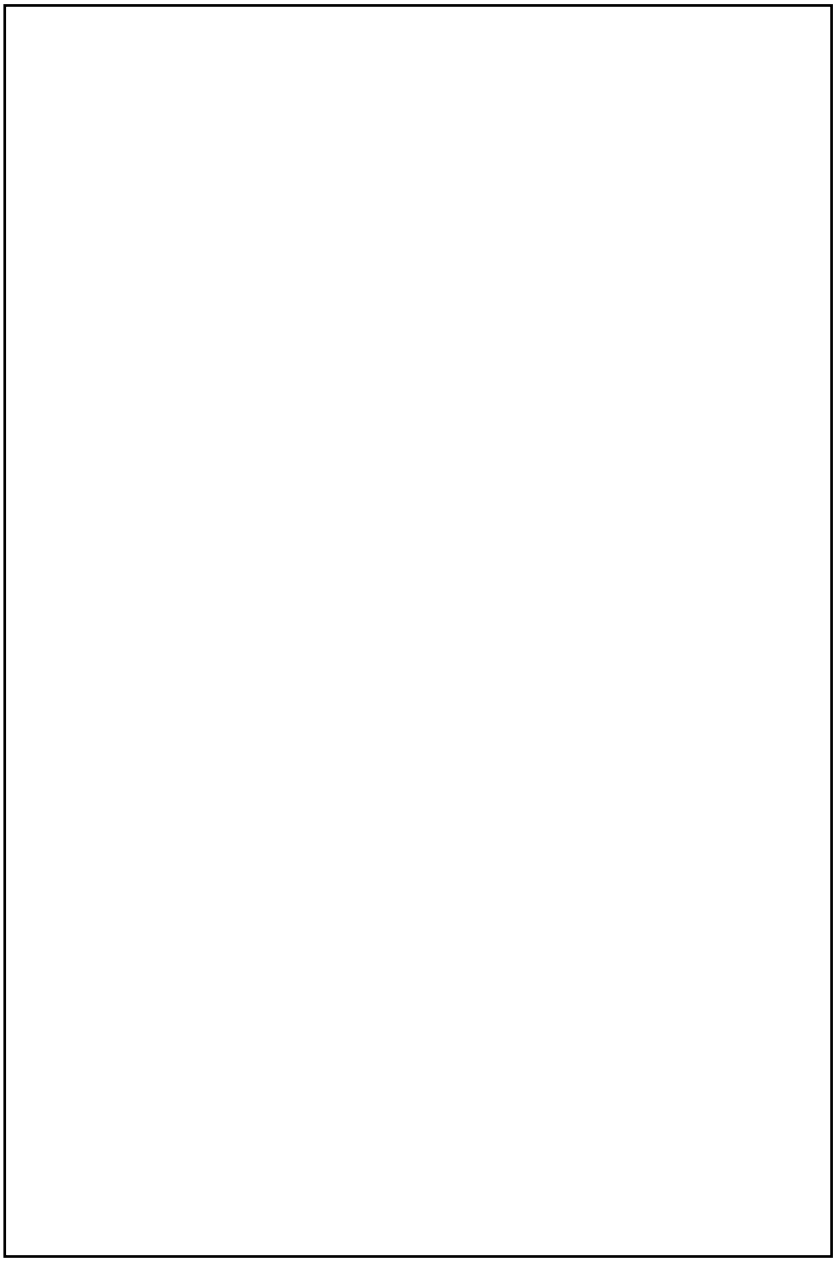

(الشكل ١٧)

خريطة تبين أهم المواقع المحيطة بالزبير والتي ذكر ابن لعبون بعضها في قصائدة التي تغنى بها.

ابيض

مصادر
الكتاب

ابيض

مصادر الكتاب

المراجع العربية:

المخطوطات:

١ – سليمان السكيت/ بدون اسم، سليمان الحديثي، الرياض.

٢ – سليمان بن صالح الدخيل/البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم، بغداد.

٣ – عبدالرحمن بن إبراهيم الربيعي/ البحر الزاخر من شعر الأوائل والأواخر، مجموعة مركز ابن صالح الثقافي بعنيزة، القصيم.

٤ – عبدالرحمن بن محمد بن يحيى/ لباب الأفكار في غرائب الأشعار، مجموعة عبدالله بن خميس وسليمان الحديثي، الرياض.

٥ – عبداللطيف بن سعود البابطين/ طرائف الكلام من شعر العوام، الزبير ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م.

٦ – عبدالله بن محمد الفاخري/مجموعة الفاخري، الرياض.

٧ – فهد بن خالد بن عيسى الصويغ/ بدون اسم، أحمد بن فهد العريفي، حائل.

٨ – محمد بن حمد بودي/ مجموعة بودي، عبدالله بن محمد الفاخري، الكويت.

٩ – مقبل الذكير/ العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية، بغداد.

متفرقات:

١ – مجموعة المستشرق البرت سوسن، هولندا.

٢ – مجموعة المستشرق تشارلز هوبر، فرنسا.

٣ – مجموعة أنستاس الكرملي، بغداد.

مقابلات شخصية لرواة وجمّاع وحفّاظ:

١ – إبراهيم اليوسف، الرياض.

٢ – أحمد الجارالله، الكويت.

٣ – حصة بنت عبدالعزيز اللعبون، الزبير – الرياض.

٤ – خالد سعود الزيد، الكويت.

٥ – رضيمان بن حسين الشمري، الرياض.

٦ – عبدالرزاق العدساني، الكويت.

٧ – عبدالعزيز بن سعود البابطين، الكويت.

٨ – عبداللطيف بن سعود البابطين، الزبير – الرياض.

٩ – عبدالله بن عبدالمحسن الجماز، الرياض.

١٠ – عبدالله بن محمد الفاخري، الرياض.

١١ – عبدالله بن محمد بن خميس، الرياض.

١٢ – مبارك بن عمرو العماري، البحرين.

١٣ – محمد الغنام، ثادق.

١٤ – محمد بن علي الشرهان، الرياض.

١٥ – منصور الخرقاوي، الكويت.

١٦ - ناصر بن حمد اللعبون، سدير.

١٧ - هيا بنت عبدالله بن حمد بن لعبون، الرياض.

١٨ - يوسف بن حمد البسام، الدمام.

مطبوعات:

١ - إبراهيم بن صالح بن عيسى/ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٦م.

٢ - أبوالبقاء العكبري/ ديوان أبي الطيب المتنبي، بيروت: دار المعرفة.

٣ - أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، ابن لعبون في الزبير، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠٦٠ تاريخ ١٤١٨/٣/١٥هـ - ١٩٩٧/٧/١٩م. الرياض.

٤ - أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري، ابن لعبون في الزبير، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠٦٧ تاريخ ١٤١٨/٣/٢٢هـ - ١٩٩٧/٧/٢٦م. الرياض.

٥ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون عنزي وليس دوسريًا، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٧/٤ هـ.

٦ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون والبكاء العاطفي، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠٢٥ في ١٤١٨/٢/٩هـ.

٧ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون وذات القناع، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٩٧ في ١٤١٨/١/١١هـ.

٨ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ ابن لعبون ومي والغزل المبكر، صحيفة الجزيرة، العدد ٩٠١٨ في ١٤١٨/٢/٢هـ.

٩ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ إخراج ابن لعبون من الركام، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٣/٣٠هـ الموافق ١٩٩٥/٨/٢٦م.

١٠ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ البائية وقيمتها الدلالية، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٩ بتاريخ ١٤١٦/٥/١٣ هـ. ١٩٩٥/١٠/٧م.

١١ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ أوزان ابن لعبون وألحانه، صحيفة الجزيرة، ١٩٩٥/٩/١٦م.

١٢ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ قصيدة ابن لعبون على قافيتي الباء من المسحوب .. وقيمتها الدلالية، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٤٠٢ ١٤١٦/٥/٦هـ.

١٣ - أبوعبدالرحمن محمد بن عمر بن عقيل الظاهري/ لماذا خرج ابن لعبون من الزبير؟ ومتى خرج، صحيفة الجزيرة، ١٩٩٥/٩/٩م.

١٤ - أبو زكريا يحيى بن علي الكريزي/ شرح القصائد العشر، بيروت: دار الجيل.

١٥ - أحمد المحيطيب/ الفنون الشعبية في المنطقة الشرقية، مجلة القافلة، الظهران.

١٦ - أحمد بن فهد العلي العريفي/ معجم الشعراء الشعبيين، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

١٧ - أحمد شمس الدين، (تحقيق)/ سقط الزند - أبو العلاء المعري، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٠هـ /١٩٩٠م الطبعة الأولى.

١٨ - إيليا الحاوي/ الشعر العربي المعاصر، بدر شاكر السياب، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٣م.

١٩ - بادي فيحان المصري/ حول جريسي اليماني وعلاقة ابن لعبون بالدواسر - تعقيباً على مقال ابن عقيل، صحيفة الجزيرة، ١٤١٦/٥/٩هـ.

٢٠ - تاريخ حمد بن محمد بن لعبون الوائلي الحنبلي النجدي/ مطبعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.

٢١ - حسن سعيد الكرمي/ قول على قول، الأجزاء ١، ٢، ٣. بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

٢٢ - حسين بن غنام/ تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، الجزء الأول، مطابع الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٣ - حسين سرحان/ اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، مجلة العرب، جزء ٩، س٢، ربيع الأول ١٣٨٨هـ، حزيران (يونيو) ١٩٦٨م.

٢٤ - حسين سرحان/ اللفتات الذهنية في شعر ابن لعبون، مجلة العرب، ج٩، السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٨٨هـ - الموافق حزيران ١٩٦٨م.

٢٥ - حمد الجاسر (تحقيق)/ بنو وائل ونسب آل مدلج- حمد بن محمد بن لعبون، مجلة العرب جزء ٧ و٨ س ١٦، محرم وصفر ١٤٠٢هـ /نوفمبر و ديسمبر ١٩٨١م.

٢٦ - حمد الجاسر/ ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد، القسم الأول، صحيفة البلاد السعودية العدد ١٢٠١ تاريخ ١٣٧١/١٠/٢١هـ.

٢٧ - حمد الجاسر/ ديوان النبط مجموعة من الشعر العامي في نجد، القسم الثاني، صحيفة البلاد السعودية العدد ١٢٠٢ تاريخ ١٣٧١/١٠/٢٢هـ.

٢٨ - حمد بن محمد بن لعبون/ تاريخ ابن لعبون، الطائف: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ.

٢٩ - خالد سعود الزيد/ خالد الفرج: حياته وآثاره، مقالة «ابن لعبون متنبي النبط» ص١٨٣، ط٢ الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٠م.

٣٠ - خالد محمد الفرج/ ابن لعبون متنبي النبط، الكويت: مجلة البيان، العدد السابع، أكتوبر ١٩٦٦.

٣١ - خالد محمد الفرج/ ديوان النبط مجموعة الشعر العامي في نجد، الجزء الأول، القاهرة: المطبعة العربية.

٣٢ - خالد محمد الفرج/ ديوان عبدالله الفرج في شعره العامي النبطي، الطبعة الثانية، دمشق، ١٣٧٣هـ (طبعة ذات السلاسل - الكويت).

٣٣ - خليف بن سعد الخليف/جواهر الشعر الشعبي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٤ - خير الدين الزركلي/ الأعلام: قاموس تراجم، الجزء السادس، ط ٢.

٣٥ - ديوان السيد عبدالجليل الطباطبائي، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٥هـ، القاهرة.

٣٦ - ديوان الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني وقصائد أخرى نبطية، دار الكتب المصرية، الطبعة الرابعة ١٣٨٤هـ.

٣٧ - ديوانية شعراء النبط/من شعر النبط لمجموعة من الشعراء، الجزء الأول، الكويت.

٣٨ - سعد بن راشد الشليل/ من قصائد المرثيات في الشعر النبطي من الشعراء والشاعرات، الجزء الأول، الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٣٩ - سعد بن عبدالله الصويان/أدب البدو في كتابات الرحالة والمستشرقين، ١-٤ حلقات ، صحيفة الحياة، العدد ١٢٢٧٢ الى ١٢٢٧٥ في ١٩٩٦/١٠/١م إلى ١٩٩٦/١٠/٤م.

٤٠ - شفيق الكمالي/الشعر عند البدو، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٤١ - صادق محمد أحمد بخيت/ الأنباط والشعر النبطي في مدخل تاريخي موجز، الكويت: مطابع الهدف.

٤٢ - طلال بن عثمان المزعل السعيد/ الشعر النبطي: أصوله، فنونه، تطوره، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨١م.

٤٣ - عبد الله بن ناصر بن إبراهيم الزير/ جواهر الكلام من شعراء الزبير الكرام، مطبعة دار المجد، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٤٤ - عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي/ مقدمة ابن خلدون، دار العودة، بيروت.

٤٥ - عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي/ إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٤٠٠هـ، الجزء الأول، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤٦ - عبدالرزاق عبدالمحسن الصانع وعبدالعزيز عمر العلي/ إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ - ١٤٠٠هـ، الجزء الرابع، الكويت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٤٧ - عبدالعزيز بن سعود الغزي/ الشعر فصيحه وشعبيه موهبة، جريدة الرياض، العدد ١٠٤٧١ في ١٤١٧/١٠/١٦هـ الموافق ١٩٩٧/٢/٢٣م.

٤٨ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ ابن لعبون .. الوجه الآخر .. صراعه مع ابن زهير، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ٨٤٠٧ في ١١/٥/ ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥/١٠/٥م.

٤٩ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ ابن لعبون .. وائلي عنزي، مجلة الحرس الوطني، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٥م.

٥٠ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ ابن لعبون جسر النبط إلى الفصحى، المجلة العربية، ص ٤٠، العدد ٢٢٥، شوال ١٤١٦هـ الموافق مارس ١٩٩٦م.

٥١ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ أنساب القبائل ليست مجالاً لمحاورات فكرية يا دكتور، مجلة الحرس الوطني، ربيع الآخر ١٤١٧هـ الموافق أغسطس - سبتمبر ١٩٩٦م.

٥٢ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ شعر النبط في جزيرة العرب انتشاره وتطوره، ج ١ صحيفة المدينة، العدد ١٢٢٩٧ في ١٩ رجب ١٤١٧هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٩٦م.

٥٣ - عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون/ شعر النبط في جزيرة العرب انتشاره وتطوره، صحيفة المدينة، ج٢، العدد ١٢٢٩٨ في ٢٠ رجب ١٤١٧هـ الموافق ١١ ديسمبر ١٩٩٦م.

٥٤ - عبدالكريم بن حمد الحقيل/ منهل المستفيد من الشعر المفيد، الرياض: مطابع الفرزدق،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٥٥ - عبداللطيف سعود البابطين، تحقيق عبدالله بن خميس/ من عيون الشعر الشعبي أو طرائف الكلام من شعر العوام ، مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٦ - عبداللطيف سعود البابطين، ترتيب وشرح د. مرسل فالح العجمي/ من روائع الشعر النبطي أو طرائف الكلام من شعر الأعلام، مطابع الخط، الكويت، ١٩٩٤م.

٥٧ - عبدالله العلي الزامل/ أضواء على الأدب الشعبي: مقارنة الشعر العربي الفصيح والشعر النبطي المليح، الجزء الأول، جدة، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر.

٥٨ - عبدالله العلي الزامل/ من الأدب الشعبي، الرياض: الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة، ١٣٩٨ هـ.

٥٩ - عبدالله بن خميس/ الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، الرياض: مطابع الرياض، ١٣٧٨هـ.

٦٠ - عبدالله بن عبدالرحمن البسام/ علماء نجد خلال ستة قرون، الجزء الأول، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٨٩هـ.

٦١ - عبدالله بن عبدالكريم المعجل/ حوطة سدير (سلسلة هذه بلادنا)، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م، الرياض.

٦٢ - عبدالله بن محمد بن خميس/ الأدب الشعبي في جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٦٣ - عبدالله بن محمد بن خميس/ رموز من الشعر الشعبي تنبع من أصله الفصيح. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٦٤ - عبدالله خالد الحاتم/ أمير شعراء النبط: محمد بن لعبون، الكويت: مجلة البيان، العدد الأول، أبريل ١٩٦٦.

٦٥ - عبدالله خالد الحاتم/ أمير شعراء النبط: محمد بن لعبون، الكويت: مجلة البيان، العدد الثاني، مايو ١٩٦٦.

٦٦ - عبدالله خالد الحاتم/ خيار ما يلتقط من شعر النبط، جـ١، ط٢، دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٦٨م.

٦٧ - عبدالله سعود الصقري/ من نوادر الأشعار.

٦٨ - عبدالله عبدالعزيز الدويش/ الفن والسامري، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م الكويت.

٦٩ - عبدالله عبدالعزيز الدويش/ الفنون الشعبية: الفريسني، العرضة، الحداء، الهجيني، مطابع القبس التجارية، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م الكويت.

٧٠ - عبدالله عبدالعزيز الدويش/ ديوان الشاعر حمد عبداللطيف المغلوث، ذات السلاسل، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م الكويت.

٧١ - عبدالله عبدالعزيز الدويش/ مختارات من أعلام شعراء النبط، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م الكويت.

٧٢ - عبدالمحسن بن عثمان أبابطين/ المجموعة البهية من الأشعار النبطية، ط ٣، الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٧٣ - عثمان بن عبدالله بن بشر/ عنوان المجد في تاريخ نجد، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧٤ - علي الحمد الصفراني/ من البادية، الجزء الحادي عشر.

٧٥ - علي الحمد الصفراني/ من البادية، الجزء الرابع، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، القاهرة.

٧٦ - عمر أبي النصر (تحقيق)/ اللزوميات : لزوم ما لا يلزم - أبو العلاء المعري، بيروت : دار الجيل، ١٩٦٩م.

٧٧ - عيسى بن سلمان الخليفة/ روضة الشعر: الشعر النبطي، القسم الأول، وزارة الإعلام، المنامة، البحرين، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٧٨ - عيسى بن سلمان الخليفة/ روضة الشعر: منتخبات من الشعر النبطي والعربي، الطبعة الثانية، طبع على نفقة الشيخ سلمان بن حمد الخليفة حاكم البحرين، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٧٩ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي النشأة والبداية، مجلة المنهل، العدد ٥١٣، المجلد ٥٥، رمضان، ١٤١٤هـ/ فبراير- مارس ١٩٩٤م.

٨٠ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي خصائصه ومصطلحاته، مجلة المنهل، العدد ٥١٥، المجلد ٥٥، شوال - ذو القعدة ١٤١٤هـ/ أبريل - مايو ١٩٩٤م.

٨١ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية، مؤسسة الثقافة والفنون، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٨٢ - غسان حسن أحمد الحسن/ الشعر النبطي، مجلة المنهل، العدد ٥١٤ المجلد ٥٥، ذو الحجة ١٤١٤هـ/ مايو ١٩٩٤م.

٨٣ - فاروق شوشة/ أحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي، مكتبة مدبولي. القاهرة ١٤٠٦هـ./١٩٨٦م.

٨٤ - فايز موسى الحربي/ أشعار قديمة تنشر لأول مرة مع تنبيهات هامة لبعض الأخطاء التاريخية في كتب الأدب الشعبي، الجزء الأول، الرياض، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٥ - فضل بن عمار العماري/ ابن لعبون .. دوسري، مجلة الحرس الوطني، العدد ١٥٦، ربيع الأول ١٤١٦هـ الموافق أغسطس ١٩٩٥م.

٨٦ - فضل بن عمار العماري/ الحديث ذو شجون عن ابن لعبون، مجلة الحرس الوطني، شعبان ١٤١٦هـ الموافق يناير ١٩٩٦م.

٨٧ - فهد حمد أحمد المغلوث/ حمد المغلوث الشاعرية والعذوبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨٨ – فهد محمد الفردوس/ ديوان ابن فردوس، الكويت، مطابع دار السياسة.

٨٩ – لبيد بن ربيعة العامري (ديوان)، بيروت: دار صادر.

٩٠ – مجلة التراث الشعبي/قاموس الآلات الموسيقية، – السنطور، العدد١٠، السنة السابعة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وزارة الإعلام، بغداد.

٩١ – مجلة العرب/ مؤرخو نجد، الرياض، السنة الخامسة، الجزء التاسع، ربيع الأول ١٣٩١هـ، ص ٧٨٥– ٧٩٩.

٩٢ – مجلة العرب/ مؤرخو نجد، الرياض، السنة الخامسة، الجزء العاشر، ربيع الثاني ١٣٩١هـ، ص ٨٨١– ٨٩٣.

٩٣ – مجهول/ ديوان الدرر اليتيمة، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة التاسعة، الرياض.

٩٤ – مجهول/ منتخبات من الشعر النبطي لأشهر شعراء نجد، لا ذكر للمؤلف أو الناشر أو المطبعة أو سنة الطباعة.

٩٥ – محمد الباتل المجيدل/ الشعر النبطي تسميته وبناؤه، دارة الملك عبدالعزيز، العدد ٢، ص ١٧٨–٢٠٦، محرم – صفر – ربيع الأول، ١٤١٢هـ.

٩٦ – محمد بن إبراهيم بن صالح الهطلاني/ديوان الدر الممتاز من الشعر النبطي القديم والألغاز، الجزء الثالث، مكتبة الموسوعة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، عنيزة، القصيم.

٩٧ – محمد بن أحمد الثميري و محمد بن عيد الضويحي/ الفنون الشعبية في الجزيرة العربية، المطبعة العمومية بدمشق، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

٩٨ – محمد بن سعد الرقراق/ لمحات من ماضي الزبير، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٩٩ - محمد بن سعد بن حسين/ أمير شعراء النبط، صحيفة الجزيرة، العدد ٨٩٧٨، تاريخ ١٤١٧/١٢/٢١هـ.

١٠٠ - محمد بن سعد بن حسين/الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد آثاره الأدبية، ج١، مطابع اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠١ - محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي/ ابتسامات الأيام في انتصارات الإمام، مطبعة السنة النبوية، القاهرة.

١٠٢ - محمد بن عبدالله الحمدان/ ديوان السامري والهجيني، دار قيس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، الرياض.

١٠٣ - محمد بن عبدالله الحمدان/ ديوان السامري والهجيني، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، الرياض.

١٠٤ - محمد بن عمر بن عقيل/ أوزان الشعر العامي بلهجة أهل نجد والإشارة إلى بعض ألحانه وفيه دراسة علمية تحليلية لعلم العروض، مازن للطباعة، ١٤١٢هـ، أبها، المملكة العربية السعودية.

١٠٥ - محمد بن ناصر العبودي/ الأمثال العامية في نجد، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

١٠٦ - محمد سعيد كمال/ الأزهار النادية من أشعار البادية، جـ ٦ يشتمل على: جميع شعر الشاعر الكبير المشهور محمد العبدالله القاضي، الطائف: مكتبة المعارف.

١٠٧ - محمد سعيد كمال/ الأزهار النادية من أشعار البادية، جـ١٠ يشتمل على: شعر فارس هذا الميدان ونابغة العصر والزمان الشاعر الكبير محمد بن لعبون، الطائف: مكتبة المعارف.

١٠٨ - محمد سعيد كمال/ الأزهار النادية من أشعار البادية، جـ١٢ يشتمل على أشعار: الشاعر الكبير محسن بن عثمان الهزاني والشاعر الكبير سليم بن عبدالحي الأحسائي، الطائف: مكتبة المعارف.

١٠٩ - محمد علي الهاشمي/ كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١١٠ - مروان قباني (دراسة)/ كتاب المدهش- أبي الفرج جمال الدين بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت: الطبعة الأولى ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

١١١ - مسعود بن سند بن سيحان/ التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية، الجزء الثاني، ص ٢٤٠ - ٢٤٩ ط ١٩٦٩م الكويت.

١١٢ - مطلق بن محمد البادي/ الأنوار الهادية من أشعار البادية، ديوان ابن بادي، (روائع من الشعر الشعبي القديم والجديد) الجزأين الأول والثاني، الطبعة الرابعة.

١١٣ - مهدي محمد ناصر الدين (تحقيق) ديوان جميل بثينة، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١١٤ - مهدي محمد ناصر الدين (شرح)/ ديوان جميل بثينة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، بيروت.

١١٥ - نافل علي هادي الحربي/ديوان المجموعة الظريفة من نوادر الأشعار النبطية والروايات الطريفة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١١٦ - يحيى الربيعان/ ابن لعبون حياته وشعره، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٣م.

١١٧ - يحيى الربيعان/ محمد بن لعبون ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٦م.

١١٨ - يحيى عبدالله المعلمي/ محمد بن لعبون أمير شعراء النبط، مجلة فواصل، العدد ٣٠ نوفمبر ١٩٩٦م.

١١٩ - يوسف بن عيسى القناعي/ الملتـقطات، ٦ جـ في المجلد،الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

المراجع الأجنبية:

1 - Saad Abdullah Sowayan, Nabati Poetry, The Oral Poetry of Arabia, the Arab Gulf States Folklore Centre, Doha, Qatar, 1985.

2 - Albert Socin, Diwan aus Centralarabien. H. Stumme, ed. 3 parts, Leipzig: Abhandlungen der philoogisch-historischen classe der Koniglich sachsischen Gesellschaft der Wissenschaften, No. 19

✷✷✷✷

نبذة عن المؤلف
الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون

١- السيرة العلمية:

- حصل على الشهادة الجامعية: جيولوجيا-كيمياء - ١٩٧٣م - جامعة الملك سعود بالرياض.
- درجة الماجستير: جيولوجيا نفط - ١٩٧٧م - جامعة تلسا - بأوكلاهوما.
- درجة الدكتوراه: جيولوجيا النفط -١٩٨٢م جامعة الملك عبد العزيز بجدة

٢- النشاطات العلمية:

شارك بأبحاث علمية في عشرات المؤتمرات واللقاءات الجيولوجية عربياً ودولياً، وعضو في مجلس إدراة الجمعية السعودية لعلوم الأرض وعضو في عدد من الجمعيات العلمية عربياً ودولياً.

٣- المؤلفات:

- حقب الحياة القديمة، من الكتاب الموسوعي: دليل مصطلحات صخور المملكة العربية السعودية - باللغة الانجليزية (الجزء الأول).
- أمير شعراء النبط محمد بن لعبون: مدخل لدراسة سيرته وشعره.
- نشر عدداً كبيراً من المقالات والأبحاث الأدبية والجغرافية والعلمية، في العديد من الدوريات والمجلات والجرائد السعودية والعربية.
- له تحت الطبع عدد من الكتب والأبحاث.